

سلسلة تفسير القرآن الكريم (٨)



التفسير المنهجي

مِنْ سورَةِ يونسَ - نِهايَةِ سورَةِ هودٍ

تأليف

د. جمال أبو حسّان

إشراف

الأستاذ عمر خليل يوسف

المراجعة العلمية

الأستاذ الدكتور عمر سليمان الأشقر



دار المنهل

ناشرون وموزعون

هاتف: 5698308 - فاكس: 5639185 ص.ب 926428 - عمان 11190 الأردن

http:\www.dmanhal.com

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة
المكتبة الوطنية
(٢٠٠٦/١/٨٧)

٢٢٢,٦

أبو حسان، جمال
التفسير المنهجي: من سورة يونس - إلى نهاية سورة هود / جمال أبو حسان. عمان: دار المنهل، ٢٠٠٦

(١٩١) ص (سلسلة القرآن الكريم؛ ٨)
ر.إ: (٢٠٠٦/١/٨٧).
الواصفات: / القرآن// التفاسير// الاسلام/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى
2006

رقم الإجازة: 2006 / 1 / 43
رقم الإيداع: 2006 / 1 / 86
التصنيف الدولي: 9957-08-484-4

مؤلّفو السلسلة

- الأستاذ الدكتور فضل عباس
- الدكتور أحمد نوفل
- الدكتور صلاح الخالدي
- الأستاذ الدكتور أحمد شكري
- الدكتور جمال أبو حسّان


بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المُقدِّمَةُ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ، وَالصّلاةُ والسّلامُ على نبِّينا محمَّدٍ خاتمِ الأَنبياءِ والمُرْسَلينَ ، وعلى آلهِ وصَحْبهِ ومن سارَ على دربهِ إلى يوم الدين ، وبعدُ ،

فإنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ كلامُ اللهِ المُعجزُ ، أنزلَهُ على نَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ ؛ ليُخْرِجَ به الناسَ من الظُّلْماتِ إلى النّور ، ويَهدِيَهُم به إلى كلِّ خيرٍ ورشادٍ ، كما قالَ سبحانَهُ : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (إبراهيم : ١) ، وقالَ تعالى : ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦) .
وقد وردَ في عَدَدٍ مِنَ الأَحاديثِ الحثُّ على تعلُّم القرآنِ ومُدَارَسَتِهِ ، ومِنْ ذَلِكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ :«خيرُكُمْ مَنْ تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ»[(١)] ، وَقولُهُ : « وما اجتمعَ قومٌ في بَيتٍ من بُيوتِ اللهِ يَتْلُونَ كتابَ اللهِ وَيتدارَسُونَهُ بينَهَم إلاَّ نَزلتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ ، وغَشِيَتْهُم الرَّحمةُ ، وحفَّتْهُم الملائكةُ ، وذَكَرَهُمْ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[(٢)] .

وقد بَذلَ المُسْلِمُونَ على مرِّ العُصور جُهوداً كثيرة مُتَوالِيَةً في خِدْمة هذا الكِتاب العزيز ، ومِنْ بينِ هذه الجهودِ ما يتعَّلقُ بتبيينِ مَعاني الآياتِ وتَفْسيرها ، وكان لكلِّ تفسيرٍ مِيزَتُهُ وخَصائِصُهُ .

ومِيزةُ هذا التفسير أنَّه أُعِدَّ لِيكونَ مِنْهاجاً للتَّدْريس في المَدارسِ التي تلتزمُ في مِنْهاجِها تدريسَ الطلبةِ تفسيرَ القرآنِ الكريمِ كاملاً ، والتزمَ مُؤَلِّفُوهُ السَّيْرَ على نَمَطٍ مُتقارَبٍ مُتدرِّجٍ ، وفيما يلي أَهمُّ النِّقاطِ التي تمَّ الالتزامُ بها :

* اختيارُ العبارةِ السَّهْلَةِ الواضِحَةِ بمايتناسبُ مَعَ أَعمارِ الطَّلَبَةِ ومستوياتِهم .
* بَدْءُ كلِّ درسٍ بتبيينِ مَعاني المفرداتِ والتراكيبِ التي يحتاجُ الطلبةُ إلى معرفَتِها .
* التَّعْريفُ بالسُّورَةِ بإيجازٍ قبلَ الشروعِ في تفسيرِها .

(١) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، رقم الحديث (٤٦٣٩) .
(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، رقم الحديث (٤٨٦٧) .

* تفسيرُ الآياتِ بصورةٍ معتدلةٍ وبعبارةٍ قريبةٍ مباشرةٍ .

* الرَّبْطُ بينَ آياتِ الدَّرْسِ السَّابقِ والتَّالي .

* اختيارُ القولِ الرَّاجحِ في معنى الآيةِ ، وعدمُ إشغالِ الطلبةِ بالأقوالِ المتعدِّدةِ أو الضعيفةِ .

* الالتزامُ بمنهَجِ السَّلَفِ في تَفسيرِ آياتِ الصِّفاتِ .

* إغْناءُ كُلِّ درسٍ بعدَدٍ مِنَ الأنشطةِ المناسبةِ ذاتِ الصِّلَةِ بالآياتِ لِحَفْزِ الطالبِ على البحثِ والتفكيرِ وترسيخِ المعلومةِ في ذهنهِ ، ولذا فالمأمولُ من السَّادَةِ المدرسينَ ، ومِنَ الطلبةِ ، الاعتناءْ بهذه الأنشطةِ وعدمُ إهمالِها ، ومُناقشةُ ما يتمُّ التوصُّلُ إليهِ في الفصلِ أو طابورِ الصباحِ أو تعليقُهُ في مجلَّةِ المدرسةِ .

* إتْباعُ كلِّ دَرْسٍ بعدَدٍ من العِبَرِ والدروسِ المُستنْبَطَةِ من الآياتِ الكريمةِ ، والمأمولُ من المدرِّسِ والطالبِ قراءةُ هذه العِبَرِ والرَّبْطُ بينها وبينَ الآيةِ التي استُنْبِطَتْ منها ، والحرصْ على الإفادةِ منها في تقويمِ السُّلوكِ وتنميةِ التفكيرِ وترسيخِ القِيَمِ الإسلاميةِ التي تضمَّنَتْها .

* خَتْمُ كُلِّ دَرْسٍ بعددٍ من الأسئلةِ المتنوِّعةِ التي تهدِفُ إلى تقويمِ الطالبِ وتبيينِ مقدارِ استيعابهِ للدَّرسِ وحَفزِهِ على البحثِ عن الإجابةِ لِلأَسئلَةِ في مظانِّها .

* تذييلُ بعضِ الدُّروسِ بفائدةٍ أو روايةٍ أو حادثةٍ أو حديثٍ له صلةٌ بموضوعِ الدَّرْسِ بهدَفِ إمْتاعِ القارىءِ وإفادتِهِ بهذه المَعْلومةِ .

* تخَريجُ الأحاديثِ النَّبويَّةِ ورواياتِ أَسْبابِ النُّزولِ ، والحرصُ على الاقتصارِ على الصَّحيحِ من رواياتِ الأحاديث .

واللهَ تعالى نَسأَلُ أن يَجعلَ هذا العملَ خالصاً لِوَجْهِهِ الكريمِ ، وأَنْ يَنْفَعَ به ، وأَنْ يتقَبَّلَهُ بقَبُولٍ حَسَنٍ ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ [البقرة : ١٢٧] .

* * *

الدَّرْسُ الأَوَّلُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الأَوَّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ
وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

هذهِ السّورَةُ مَكيّةٌ وتَشتَمِلُ عَلى (١٠٩) آياتٍ ، وقدِ ابْتَدأَتْ بالإشارةِ إلى مَكانةِ الكِتابِ الكَريمِ ، وما يَقولُهُ المُشْركونَ في شأنِ النَّبيِّ ﷺ ، ثُمَّ ذِكْرِ الكَوْنِ وآياتِ اللهِ تَعالى فيهِ ، والجزاءِ يوم القيامةِ ، وسُنَّةِ اللهِ تَعالى في الكافِرينَ ، وقُدرةِ اللهِ تَعالى عَلى كُلِّ شيءٍ وعَجْزِ الأَوْثانِ عنْ أيِّ شيءٍ . وفيها الإشارةُ إلى التَّحدّي بأنْ يَأتوا بِسورَةٍ ولوْ مُفْتَراةٍ ، وفيها التَّهديدُ الشَّديدُ بعذابِ اللهِ تَعالى ، وأَحوالُ نُفوسِ النّاسِ ، ومُراقَبَةُ اللهِ تَعالى لأعمالِهِمْ ، ثُمَّ انتقلَ بَعْدَ ذلِكَ إلى التَّسريةِ عنِ النَّبيِّ ﷺ ، لأَلَمِهِ مِنْ كُفْرِهِمْ مع قيامِ الحُجَّةِ القاطعةِ لأعمالِهِمْ ، وسرّى عنهُ بِذكْرِ قَصَصِ الأنبياءِ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيْهِم ـ مع أقوامِهِمْ ، فجاءتْ قِصَّةُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، وقصةُ موسى وهارونَ عليهما السَّلامُ معَ فِرْعَوْنَ وبَني إسْرائيلَ ، ثُمَّ إشارةٌ إلى قِصّةِ يونُسَ عَلَيْهِ السّلامُ وبهِ سُمِّيَتِ السّورَةُ ، واتَّجه البَيانُ في السّورَةِ مِنْ بَعْدَ ذلِكَ إلى النَّبيِّ ﷺ لِتمامِ العِظَةِ والاعْتِبارِ .

مَعاني المُفْرَداتِ :

الكتابِ الحكيم	الكِتابِ المُبَرّأ مِنَ الخَلَلِ والتَّناقُضِ والاخْتِلافِ .
قَدَمَ صِدْقٍ	سابقةً ومَنْزِلَةً رَفيعَةً .



التَّفسيرُ :

ابتدأتْ هذهِ السّورَةُ بالحُروفِ المُقطَّعَةِ ، وهذهِ الحروفُ قدْ بُدِئَتْ بِها سَبْعٌ وعِشْرونَ سورَةً مَكِّيَّةً واثْنَتانِ مَدنِيتانِ .

والعَرَبُ لم يَكونوا يَسْتَعمِلونَ هذهِ الحُروفَ بِهذهِ الطَّريقةِ في مُفْتَتَحِ كَلامِهِمْ ، وهو أُسلوبٌ بديعٌ غايَتُهُ اسْتِجْلابُ أذْهانِ المُستَمِعينَ إلى ما سَيُلقى عَلَيْهِمْ ، لأنَّ العربيَّ يشدُّهُ الأُسلوبُ الغريبُ ، ولمّا كانَ وضْعُ هذهِ الحُروفِ بهذا الشَّكْلِ غَريباً عليهِ ، فإنَّهُ فَوْرَ أنْ يُلقى إلى مَسْمَعِهِ هذهِ الحروفُ في ابتداءِ الكلامِ ، فإنَّ الأمْرَ يَسترعيهِ وَيشدُّ انْتِباهَهُ . وهذا ـ واللهُ أعلمُ ـ هو المقصودُ لإثارةِ أذْهانِ العربِ إلى ما سَيُلْقى عَلَيْهِم ، ولِذلكَ تجدُ هذهِ السّورَةَ الّتي ابْتُدِئَتْ بهذهِ الحروفِ ، فإنَّها بَعْدَ تلك البدايةِ لابُدَّ فيها مِنْ حديثٍ عنِ القُرْآنِ الكَريمِ إمّا صَراحةً ، وإمّا ضِمْناً ، وهذا ـ واللهُ أعلمُ ـ هو المقصودُ ، أنْ يُثارَ انتباهُ العربِ إلى هذا القُرآنِ الكَريمِ بهذا الأُسلوبِ البَديعِ ، معَ الإشارةِ الواضِحَةِ إلى أنَّ هذا القُرآنَ الكَريمَ مؤلَّفٌ مِنْ جِنْسِ هذهِ الحُروفِ الّتي يَنْطِقونَ بها .

﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ .

يُشيرُ اللهُ تَعالى إلى الآياتِ القرآنيّةِ المُحْكَمَةِ البَيِّنَةِ ، فالقُرآنُ حكيمٌ لاشْتِمالِهِ على الحِكْمَةِ ، والقُرْآنُ مُحْكَمٌ لخُلوِّهِ عنِ الكَذِبِ والافْتِراءِ ، والزِّيادَةِ والنُّقْصانِ ، حكيمٌ فيما تَضمَّنَهُ مِنْ معانٍ وتَوْجيهاتٍ وتَرْبيةٍ وتَشْريعٍ وتَعليمٍ ، فهوَ حكيمٌ في هذا كُلِّهِ ، فلا يُمكِنُ أنْ يوجَدَ فيهِ خَلَلٌ .

وبعدَ بيانِ الحِكْمَةِ المُشْتَمِلِ عَلَيْها هذا الكتابُ الكَريمُ ، توجَّهَ النَّظَرُ إلى الاسْتِعْجابِ مِنَ المُشْرِكينَ ، والإنْكارِ عَلَيْهِم ، كيفَ يَعجبونَ مِنْ أنْ يوحِيَ اللهُ إلى رَجُلٍ منهُمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ .

أَبَلَغَ الجَهْلُ وسوءُ التَّفكيرِ بِمُشْرِكي مَكَّةَ ومَنْ عَلى شاكِلَتِهِمْ ، أنْ كانَ إيحاؤُنا إلى رجلٍ مِنْهُمْ يَعرفُهُمْ ويَعْرِفونَهُ ، لكيْ يُبلِّغَهُمُ الدّينَ الحَقَّ أمْراً عَجَباً ، يَدعوهُمْ إلى الدَّهْشةِ والاسْتِهزاءِ بالموحَى إليهِ ﷺ حتّى لكأَنَّ النُّبوَّةَ في زَعْمِهِمْ تَتنافى مَعَ البَشريةِ . إنَّ الّذي يَدعو إلى العَجَبِ حَقّاً هو ما تَعجَّبوا منهُ ، لأنَّ اللهَ تَعالى اقْتَضَتْ حِكمَتُهُ أنْ يَجعَلَ رُسلَهُ إلى النّاسِ مِنَ البَشَرِ ، لأنَّ كُلَّ جِنْسٍ يَأْنَسُ لِجنْسِهِ ويَنفِرُ مِنْ غيرِهِ ، وهوَ سُبْحانَهُ أعلمُ حيثُ يجعلُ رِسالَتَهُ . ورِسالةُ الرَّسولِ ﷺ إلى قَوْمِهِ مُشْتَمِلَةٌ عَلى أمْرَيْنِ :

الأَوّلُ : إنذارُ النّاسِ وتَخويفُهُمْ عذابَ اللهِ إنْ هُمْ أَصرّوا عَلى الكُفْرِ وعدمِ الإيمانِ .

الثاني : تَبشيرُ النّاسِ المُؤْمنينَ بأنَّ لهُمُ المَنْزِلَةَ الرَّفيعَةَ عندَ ربِّهِمْ .

وهكذا يَفْرحُ المُؤْمنونَ بوَعْدِ اللهِ تعالى لَهُمْ ، وأمّا الكافِرونَ المُتعجِّبونَ أصْلاً مِنْ بعْثَةِ الرُّسلِ صلواتُ اللهِ عَلَيْهِم فإنَّهمْ سُرعانَ ما يُطلِقونَ الاتّهاماتِ ويُوَجِّهونَها إلى الأنْبياءِ صلواتُ اللهِ عَلَيْهِم ويُعلنونَها في النّاسِ ، وهُنا قالوا عنِ النَّبيِّ ﷺ إنّهُ ساحِرٌ مُبينٌ ، سِحْرُهُ مِنَ الوُضوحِ بحيثُ لا يُحْتاجُ معهُ إلى بيانٍ . وهكذا يَسعى الكافِرونَ دائِماً للصَّدِّ عنْ سَبيلِ اللهِ تَعالى بالتُّهَمِ الكاذِبَةِ لأنبياءِ اللهِ المُخْلِصينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ليسَ للحُروفِ الّتي تتركَّبُ منها الكَلماتُ معانٍ مُنْفَصِلَةٌ .

٢ـ الحروفُ المُقَطَّعَةُ في أوائِلِ بعضِ السُّوَرِ لِجلْبِ انْتباهِ السّامِعينَ مِنَ العَرَبِ وغيرِهِمْ .

٣ـ السُّوَرُ المَبدوءةُ بالحُروفِ المُقَطَّعَةِ ، فيها الحديثُ عنِ القُرآنِ الكَريمِ إمّا صَراحةً وإمّا ضِمْناً .

٤ـ مُهمّاتُ الرُّسُلِ مُنْحصِرَةٌ في الإنْذارِ والتَّبشيرِ .

٥ـ يَتعجَّلُ الكافِرُ صدّهُ عنْ سبيلِ اللهِ تَعالى بالأراجيفِ والتُّهَمِ الكاذِبَةِ .

٦ـ يُلاقي الأنبياءُ كثيراً مِنَ الشَّدائِدِ حينَ يُقابِلُهُمُ الكافِرونَ بالتُّهَمِ الباطِلَةِ .

٧ـ عَلى الدّاعيةِ المُسْلِمِ أنْ لا يَستسلِمَ لأباطيلِ خُصومِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

الكتابِ الحكيمِ ، قَدَمَ صِدْقٍ .

٢ـ بيِّنِ السِّرَّ مِنْ وَضْعِ الحُروفِ المُقَطَّعةِ في أوائِلِ بعضِ السُّوَرِ الكَريمةِ .

٣ـ كَيفَ يَستقبلُ الكافِرونَ دَعْوَةَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السّلامُ ؟

٤ـ مِمَّ كانَ العَجَبُ في هذهِ السّورةِ الكَريمةِ ؟

٥ـ اشْتَمَلتِ السّورةُ الكَريمةُ عَلى أُمورٍ عِدَّةٍ ، هاتِ خَمْسَةً مِنْها .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أسْماءَ خمسِ سُوَرٍ بَدأتْ بالحروفِ المُقطَّعَةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني

سورَةُ يونُسَ - القِسْمُ الثّاني

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن
شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ
ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

العَرْشِ : مَخلوقٍ عَظيمٍ مِنْ مَخلوقاتِ اللهِ تَعالى .

يُدبِّرُ الأمْرَ : يُقَدِّرُ أُمورَ الخَلْقِ عَلى وَفْقِ حِكْمَتِهِ .

حَميمٍ : ما بَلَغَ أقْصى دَرجاتِ الحرارةِ .

التَّفسيرُ :

لمّا حَكى اللهُ تَعالى لَنا عَنِ الكُفّارِ وتَعجُّبِهِمْ مِنَ الوَحْيِ والبَعْثِ والرِّسالةِ ، أخذَ سُبْحانَهُ وتَعالى في بيانِ مَظاهرِ قُدْرتِهِ وعَظمَتِهِ ، الّتي تُدْلي إلى إثباتِ إلهيَّتِهِ سُبْحانَهُ ، وأنَّهُ وَحدهُ القادِرُ ، ثَبَتَ بِهذا أنَّهُ سُبْحانَهُ يختارُ مَنْ يشاءُ ويَخْلُقُ ما يشاءُ ، قالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ .

بَيَّنَتْ هذهِ الآيَةُ مِنْ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ تَعالى ثلاثةَ أشياءَ :

الأوّلُ خَلْقُ السّموات والأرضِ في ستَّةِ أيام ، وهذه الأيّامُ قيلَ إنّها مِنْ أيّام الدُّنْيا ، وقيلَ هي مِنَ الغَيْبِ الّذي لا مَصْدَرَ لإدْراكِهِ إلاّ القرآنُ الكَريمُ ، فالواجبُ أنْ نَقِفَ عِندَهُ ولا نَتعدّاهُ . والمقصودُ بِذِكْرِها هنا : الإشارةُ إلى حِكْمَةِ التَّقديرِ والتَّدبيرِ والنِّظامِ الّذي يَسيرُ معَ الكَوْنِ مِنْ بدْئِهِ إلى مُنتَهاهُ .

الثّاني أنّهُ سُبْحانَهُ اسْتَوى عَلى العَرْش يُدبِّرُ الأمْرَ . وهذا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعالى عَنْ شأنٍ مِنْ شُؤونِهِ ، أُدْرِجَ ضِمْنَ بيانِ مَظاهِرِ قُدرَتِهِ تَعالى . وهذهِ الشُّؤونُ الإلهيّةُ كُلُّها ، هيَ مِنَ الغَيْبِ الّذي لَمْ يُطْلِعْنا اللهُ تَعالى إلاّ عَلى لَمْحَةٍ مِنْ لَمَحاتِهِ لِنفْهَمَ عنهُ تَعالى ما أرادَهُ .

والظّاهِرُ أنَّ المُرادَ هُنا مِنْ قولِهِ : ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ ما يَخصُّ تدبيرَ شُؤونِ الخَلْقِ ، وأنّهُ سُبْحانَهُ قد تَمَّ له ما أرادَهُ مِنْ خَلْقِهِ وهو يُسَيِّرُهُ ويُديرهُ ويُشْرِفُ عَلَيْهِ كما يُريدُ ويَشاءُ .

الثّالثُ ما مِنْ شَفيعٍ إلاّ مِنْ بَعْدِ إذْنِهِ . وهذا بيانُ اسْتِقلالِ الخالِقِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وهذا مَظْهَرٌ مِنْ مَظاهِرِ عَظَمَتِهِ ، إذِ السُّلطانُ والقَهْرُ والغَلَبَةُ والتَّدبيرُ كلُّها لهُ وحْدَهُ ، ولا أحدَ يَستطيعُ أنْ يفعلَ شيئاً إلاّ أنْ يَأذَنَ لهُ اللهُ تَعالى بذلكَ .

يُدَلِّلُ اللهُ تَعالى عَلى كَمال قُدرتِهِ فيخاطِبُنا بقولِهِ : إنَّ ربَّكُمْ أَيُّها النّاسُ ، هو اللهُ الّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ وما فيهِما في ستَّةِ أيّام ، لا يعلمُ إلاّ اللهُ تَعالى مَداها ، ثُمَّ هَيْمَنَ بعظيمِ سُلْطانِهِ وحْدَهُ ودبّرَ أُمورَ مَخلوقاتِهِ ، فليسَ لأحدٍ سُلطانٌ مَعَ اللهِ تَعالى في شيءٍ ، ولا يَستطيعُ أحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ أنْ يَشْفَعَ لأحَدٍ إلاّ بإذنِهِ تَعالى ، وصَدِّقوا رسولَهُ ﷺ ، وآمِنوا بكتابِهِ ، وعَلَيْكُم أنْ تَذكُروا نِعمةَ اللهِ تَعالى وتَدبَّروا آياتِهِ الدّالَّةَ عَلى وَحْدانيّتِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنّ مَرْجِعَ العِبادِ جميعاً إليهِ ، وأنَّهُ سَيُجازي كلَّ إنسانٍ بما يَسْتَحِقُّهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ .

وكما بدأَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى الخَلْقَ ، فإليهِ وحْدَهُ مَرْجِعُكُمْ ومَرْجِعُ المَخلوقاتِ كُلِّها ، وقدْ وعدَ اللهُ تَعالى بذلك وَعْداً صادِقاً لا يَتخلَّفُ وإليهِ سُبْحانَهُ مَرْجِعُكُمْ ، ومَرْجِعُ الخَلْقِ . وبعدَ فناءِ الإنسانِ سَيُعيدُهُ بِقُدْرَتِهِ ، لِيُثيبَ المُؤْمنينَ المُطيعينَ جزاءَ ما عَمِلوا : جنّاتِ النَّعيمِ ، وأمّا الكافِرونَ فلهُمْ شرابٌ في جَهنَّمَ شديدُ الغَلَيانِ ، ولهُمْ عذابٌ موجِعٌ جزاءَ كُفرِهِمْ . ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى مظاهِرَ أُخْرى لِقُدْرتِهِ وهَيْمَنَتِهِ على خَلْقِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

يُخبِرُ اللهُ تعالى عمّا خلَقَ مِنَ الآياتِ الدّالَّةِ عَلى كَمالِ قُدرَتِهِ وعَظيمِ سُلطانِهِ ، إنّهُ تَعالى جَعلَ سُلطانَ الشَّمسِ بالنَّهارِ وسُلْطانَ القمرِ باللّيلِ .

وقدّرَ سُبْحانَهُ وتَعالى القمرَ منازِلَ ، فأوّلُ ما يَبدو القمرُ صغيراً ، ثُمَّ يتزايَدُ نورُهُ وجِرْمُهُ حتى يَكْتَمِلَ ويَصيرَ بَدْراً ، ثُمَّ يَشْرَعُ في النَّقْصِ حتّى يَرجعَ على حالَتِهِ الأُولى ، فبالشَّمْسِ تُعْرَفُ الأيّامُ ، وبِسَيْرِ القَمَرِ تُعْرَفُ الشُّهورُ والأعوامُ ، وذلِكَ كُلُّه لِتَسْتَعينوا أيُّها النّاسُ بهذا في تَقديرِ مَواقيتِكُمْ وتَعْلَموا عَدَدَ السِّنينَ والحِسابَ . وما خَلَقَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى ذلِكَ إلاّ بالحِكْمَةِ ولِحِكْمَةٍ ، وهو سُبْحانَهُ يَبسُطُ في كتابِهِ الآياتِ الدّالّةَ عَلى أُلوهيّتِهِ ، وكمالِ قُدْرتِهِ لكيْ تَتَدَّبروها بِعُقولِكُمْ وتَسْتَجيبوا لِما يَقتضيهِ العِلْمُ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذا البيانَ بلونٍ آخَرَ مِنْ ألوانِ قُدرَتِه الدّالّةِ عَلى أُلوهيّتِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾

إنَّ في تعاقُبِ اللّيلِ والنَّهارِ ، واختلافِهِما طولاً وقِصَراً ، وحَرّاً وبَرْداً وعدمِ سَبْقِ أحدِهِما الآخَرَ ، وكذلِكَ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرضِ وما فيهِما مِنْ أنواعِ الإنْسِ والجِنِّ ، والحيوانِ والنّباتِ ، والنُّجومِ وغيرِ ذلكَ مِنَ المَخْلوقاتِ الّتي لا تُعَدُّ ولا تُحْصى ، إنَّ في ذلِكَ كلِّهِ لأدلّةً واضِحةً ، وحُجَجاً بَيِّنَةً على أُلوهيّةِ الخالِقِ سُبْحانَهُ وقُدرتِهِ لِمَنْ يَتجنَّبونَ غَضَبَهُ ويَخافونَ عذابَهُ .

وبهذِهِ الآياتِ الكَريمةِ يَظهَرُ لنا أنَّ القُرآنَ الكَريمَ قدْ سَلَكَ أنْجَعَ الوسائلِ في مُخاطبَةِ الفِطْرَةِ البَشَرِيَّةِ ، حيث لَفَتَ الأنظارَ إلى ما اشْتَملَ عَلَيْهِ هذا الكونُ مِنْ مخلوقاتٍ مُشاهَدَةٍ مَحسوسةٍ تدلُّ على وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى وقُدرتِهِ النافِذةِ ، ورَحمتِهِ السّابغةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، منها :

١ـ الكَوْنُ مَليءٌ بالآياتِ والعِبَرِ الدّالَّةِ عَلى وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى .

٢ـ ضَرورةُ أنْ يَسلُكَ الدّاعِيَةُ مسالِكَ الأدِلّةِ لِبيانِ أُلوهيَّةِ اللهِ تَعالى وَوحدانيَّتِهِ .

٣ـ لا سُلطانَ لأحدٍ في هذا الكَوْنِ إلاّ للهِ تَعالى ، والمَخلوقاتُ عاجِزَةٌ عن فِعْلِ شيءٍ إلاّ بأَمْرِه .

٤ـ ضَرورةُ التأمُّلِ والتَّدبُّرِ بما في الكونِ مِنْ آياتٍ عَظيمةٍ .

٥ـ فِعْلُ اللهِ تَعالى كلُّهُ حقٌّ وليسَ فيهِ باطلٌ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

العرشِ ، يدبِّرُ الأمْرَ ، حميمٍ .

٢ـ ما سِرُّ ذِكْرِ (ستَّةِ أيامٍ) في هذهِ الآياتِ ؟

٣ـ ماذا تَستفيدُ مِمّا يلي :

أ ـ ما مِنْ شفيعٍ إلاّ مِنْ بعدِ إذْنِه .

ب ـ إليهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً .

ج ـ لِتَعْلَموا عددَ السِّنينَ والحسابَ .

٤ـ هاتِ خمساً مِنْ دلائِلِ قُدرةِ اللهِ تَعالى وعَظَمتِهِ ، ذُكِرتَ في هذهِ الآياتِ .

٥ـ ما سِرُّ ذِكْرِ آياتِ القُدرَةِ بعدَ بيانِ عَجَبِ المُشرِكينَ مِنَ الرَّسولِ ﷺ والرِّسالةِ ؟

* * *

الدَّرْسُ الثّالِثُ

سورَةُ يونُسَ - القِسْمُ الثّالِثُ

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا
غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ
فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- لا يَرْجونَ لِقاءَنا : لا يَتوقَّعونَ الرُّجوعَ إليْنا .
- مَأْواهُم : مَلجأُهُمْ .
- دَعْواهُمْ : دُعاؤُهُمْ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْضَ مظاهرِ قُدرَتِهِ الدّالَّةِ على أُلوهيَّتِهِ وَوحدانيَّتِهِ ، بَيَّنَ سُبْحانَهُ تَعالى لَنا ما أعدَّهُ مِنْ جزاءٍ وثوابٍ للطّائِعينَ ، وما أعدَّهُ مِنْ عذابٍ لِلعاصينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ بادِئاً بجزاءِ العاصينَ ، لأنَّ المَقامَ مَقامُ تَهديدٍ وتخويفٍ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ ﴾ .

إنَّ الَّذينَ لا يَرْجونَ ولا يَتوقَّعونَ لِقاءَنا يومَ القيامةِ لِحسابِهِمْ على أعمالِهِمْ في الدُّنْيا ، ورَضوا بالحياةِ الدُّنْيا رِضاءً جَعَلَهُمْ لا يُفكِّرونَ إلاّ في التَّشبُّعِ مِنْ زينَتِها ومُتَعِها ، واطْمَأنّوا بها اطْمِئناناً

جَعَلَهُمْ يَفرحونَ بِها ويَسكنونَ إليْها ، هؤلاءِ هُمُ الَّذينَ غَفِلوا عنْ آياتِ اللهِ تَعالى القُرْآنيَّةِ والكَوْنيَّةِ الدَّالَّةِ على وَحدانيَّتِهِ تَعالى وقُدرَتِهِ ، ولمْ يَخطُرْ لهمْ على بالٍ شيءٌ مِمّا تَدلُّ عَلَيْهِ هذهِ الآياتُ مِنَ العِبَرِ والعِظاتِ .

وقدِ اشْتملَتْ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ على بيانِ ثلاثةِ أوْصافٍ لهؤلاءِ الأشْقياءِ الَّذينَ حُرِموا لَذَّةَ التَّمَتُّعِ بآياتِ اللهِ تَعالى ، وهِيَ :

أوّلاً عدمُ إيمانِهِمْ بلقاءِ اللهِ تَعالى ، بحيثُ صاروا لا يَطْمَعونَ في ثوابٍ ولا يَخافونَ مِنْ عقابٍ ، لإنْكارِهِمُ الدَّارَ الآخِرَةَ وما فيها مِنْ أهوالٍ .

ثانياً رضاؤُهُمْ بالحياةِ الدُّنْيا ، بحيثُ صارَ همُّهُمْ في هذهِ الدُّنْيا التَّمَتُّعَ بِلَذائِذِها وشَهَواتِها ، والاكْتِفاءَ بِها والاسْتِغراقَ بِطَلَبِها .

ثالثاً غَفلتُهُمْ عنْ آياتِ اللهِ تَعالى : وتلكَ الآياتُ معَ عِظَمِها ووُضوحِها إلاّ أنَّهُمْ تَغافَلوا عَنْها ، وانْشَغلوا بما أحبّوا مِنْ مُتَعِ هذهِ الحياةِ .

وبهذا يَظهَرُ أنَّ هؤلاءِ الأشْقياءَ قدْ آثَروا دُنياهُمْ على أُخْراهُمْ ، واسْتَحبّوا العَمى على الهُدى ، واسْتَبْدَلوا الّذي هَو أدْنى بالَّذي هُوَ خَيْرٌ .

ثُمَّ بَيَّنَ لَنا ربُّنا سُبْحانَهُ وتَعالى مَصيرَ هؤلاءِ الأشْقياءِ ، فقالَ تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

أولئكَ المُتَّصِفونَ بتلكَ الصّفاتِ الخَسيسَةِ مَقرُّهُمْ ومَلجأُهُمُ الّذي فيهِ نِهايَتُهُمْ هُوَ النّارُ ، وبئسَ المَصيرُ ، بِسَبَبِ ما اكْتَسبوهُ مِنْ سيِّئاتٍ وآثامٍ ، وما اقْتَرفوهُ مِنْ مُنكَراتٍ شَغلَتْهُمْ عنِ اللهِ تَعالى والدّارِ الآخِرَةِ .

أمّا السُّعداءُ الَّذينَ اسْتَسْلَموا لِما أرادَ اللهُ تَعالى وانقادوا لَهُ ، فلهُمْ جزاءٌ غيرُ هذا ؛ ذلِكَ ما بيَّنَهُ ربُّنا فيما يلي ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾ .

إنّ الَّذينَ آمنوا إيماناً صَحيحاً ، وعَمِلوا في دُنياهُمُ الأعْمالَ الصّالِحَةَ الّتي تَرْفَعُ دَرَجاتِهِمْ عندَ رَبِّهِمْ ، يُرشدُهُمْ ربُّهُمْ تَباركَ وتَعالى ، ويوصِلُهُمْ بسَبَبِ إيمانِهِمْ وعَمَلِهِمُ الصّالحِ إلى غايَتِهِمْ ، وهي الجَنَّةُ الّتي تَجري مِنْ تَحتِها الأنْهارُ ، ويَنْعُمونَ فيها نَعيماً خالِداً لا يَحولُ عنْهُمْ ولا يَزولُ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى بعضَ شَأْنِ هؤلاءِ المُؤْمنينَ في الجَنَّةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

دعاءُ المُؤْمنينَ في هذهِ الجنّاتِ تَسبيحُ اللهِ تَعالى وتَنْزيهُهُ عمّا كانَ يقولُهُ الكافِرونَ في الدُّنْيا ، وتَحيّتُهُمْ التّي يُحيّيهِمْ بِها اللهُ تَعالى ، وتَحيّةُ المَلائكةِ لهُمْ ، وتَحيّةٌ بعضِهِمْ لِبَعْضِهِمْ الآخرِ ، تقريرُ الأمْنِ والاطْمِئْنانِ .

وهذهِ التَّحيّةُ كما يَظهرُ تكونُ مِنَ اللهِ تَعالى كَما في قولِهِ سُبْحانَه : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤٤] وتكونُ مِنَ المُؤْمنينَ فيما بَيْنَهُمْ كَما يَظهَرُ مِنْ قولِهِ تَعالى : ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ . [الرعد : ٢٣ـ٢٤] وتكونُ مِنَ المُؤْمنينَ فيما بَيْنَهُمْ كما يَظهَرُ مِنْ قولِهِ تَعالى : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ . [مريم : ٦٢] .

ثُمَّ بَيّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ خاتِمَ دُعائِهِمْ دائماً حَمْدُ اللهِ تَعالى على تَوفيقِهِ إيّاهُمْ للإيمانِ ، وظَفَرِهِمْ بِرِضْوانِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ ، وهذا مِنْ شُكْرِ المُؤْمِنينَ لربِّهِمْ تَباركَ وتَعالى على ما أنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمْ وَوفّقَهُمْ إليه .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ مَنْ لا يَرجو لِقاءَ اللهِ تَعالى لا يَفوزُ بِرِضْوانِهِ تَعالى ، وسَيكونُ مَصيرُهُ إلى النّارِ .

٢ـ الغَفْلَةُ عَنْ آياتِ اللهِ تَعالى والرِّضا بالحياةِ الدُّنْيا سبيلٌ لِقَسْوَةِ القَلْبِ .

٣ـ النَّعيمُ العَظيمُ لِمَنْ آمَنَ باللهِ تَعالى وعَمِلَ صالِحاً ، وداومَ عَلى ذِكْرِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لا يَرْجونَ لقاءَنا ، مأواهُمْ ، دَعْواهُمْ .

٢ـ ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ أوصافاً عِدّةً للأشقياءِ ، اذْكُرْ هذهِ الأوْصافَ ، وبَيِّنْ ما الجَزاءُ الّذي أعدَّهُ اللهُ تَعالى لهُمْ .

٣ـ وازِنْ بينَ الأشْقياءِ والصّالحينَ كما ذَكرتْهُمْ هذهِ الآياتُ الكَريمَةُ مِنْ حَيْثُ الأوْصافُ والجَزاءُ .

٤ـ في قولِهِ تَعالى : ﴿تحيَّتُهُمْ فيها سلامٌ﴾ ثلاثةُ أنواعٍ مِنَ التَّحيّةِ ، اذْكُرْها ، واذْكُرِ الدَّليلَ عَليْها مِنَ القُرآنِ الكَريمِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ صِفَةَ التَّحيةِ الّتي يُحيّي المُسلمونَ بِها بَعْضَهُم بعضاً في الدُّنْيا .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابِعُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا
يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ
قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟
لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ
كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يُعَجِّلُ اللهُ	يُقدِّمُ الشَّيءَ على أوانِهِ (قَبْلَ أَوانِهِ) .
يَعْمَهونَ	يَتردَّدونُ ويَتحيَّرونَ .
الضُّرُّ	الشِّدَّةُ .
المُسرِفينَ	المُتجاوِزينَ الحُدودَ .
القُرونَ	الأقوامَ في الأزمنةِ الماضيةِ .
خلائِفَ	خُلفاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ في الأرضِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ الأشْقياءِ والمُتَّقينَ ، أتْبَعَ ذلِكَ بِذِكْرِ بَعْضِ مَظاهِرِ فَضْلِهِ ولُطْفِهِ على عبادِهِ وما جُبِلوا عَلَيْهِ مِنْ صِفاتٍ وَطبائِعَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ والَّتي تَليها في بَيانِ شَأنٍ مِنْ شُؤونِ البَشَرِ وغَرائزِهِمْ فيما يَعْرِضُ لهمْ في حياتِهِمُ الدُّنيا مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ ، وَنَفْعٍ وضُرٍّ ، وشُعورِهِمْ بالحاجةِ إلى اللهِ تَعالى واللُّجوءِ إلى دُعائِهِ لأَنْفُسِهِمْ وعَليْها ، واسْتعجالِهِمُ الأُمورَ قبلَ أوانِها ، وهذا تعريضٌ بالمُشركينَ وحُجَّةٌ عَلى ما يأتونَ مِنْ شِرْكٍ ، وما يُنكِرونَ مِنْ أمْرِ البعثِ .

ولو أجابَ اللهُ تَعالى ما يَستعجلُ بهِ النّاسُ عَلى أنفسِهِمْ مِنَ الشَّرِّ مِثْلَ اسْتِعجالِهِمْ لِطَلَبِ الخَيْرِ لأَهْلَكَهُم ، وأبادَهُمْ جميعاً ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ يَتلطَّفُ بِهِمْ ، فيُرْجِىءُ هلاكَهُمُ انتظاراً لِما يَظْهَرُ مِنهُمْ ، حَسَبَ ما عَلِمَهُ فيهِمْ ، فَتَتَّضِحُ عدالَتُهُ في جزائِهِمْ ، إذْ يُترَكونَ والأدِلَّةُ قائمةٌ عَلَيْهِم ، ويَتَعمَّدونَ الانْحِرافَ والاتِّجاهَ إلى طريقِ الضَّلالِ والظُّلمِ ، وبذلكَ تقومُ عَلَيْهِمُ البيِّنةُ ، وتَلزَمُهُمُ الحُجَّةُ بَعْدَ أنْ أصرّوا واسْتَمرّوا في ضَلالِهِمْ وحَيْرَتِهِمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى طبيعةَ الإنْسانِ في حالتي العُسْرِ واليُسْرِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

وإذا أصابَ الإنْسانَ ضُرٌّ في نفسِهِ ، أو مالِهِ ، أو نحوَ ذلكَ أحسَّ بَضَعْفِهِ ، ودعا ربَّهُ على أيِّ حالٍ من حالاتِهِ ، مُضْطَجِعاً ، أو قاعِداً ، أنْ يَكشِفَ ما نَزَلَ بهِ ، فلمّا اسْتَجابَ اللهُ تعالى لهُ ، فَكَشَفَ عنهُ ضُرَّهُ ، انْصَرَفَ عن جانِبِ اللهِ تَعالى ، وعادَ إلى عِصْيانِهِ ، ونَسِيَ فَضْلَ اللهِ تَعالى عليهِ ، كأنَّهُ لم يُصِبْهُ ضُرٌّ ، ولَمْ يَدْعُ اللهَ تَعالى إلى كَشْفِهِ ، وكمِثْلِ هذا المَسْلكِ زيَّنَ الشَّيْطانُ للكافِرينَ ما عَمِلوا مِنْ سوءٍ وما اقْتَرفوا مِنْ باطِلٍ .

وبَعْدَ أنْ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى جانِباً من شأنِهِ مَعَ النّاسِ ، ومن شأنِهِمْ مَعهُ ، أتْبَعَ ذلكَ بِبَيانِ مَصيرِ الأُمَمِ الظّالِمَةِ ، لِيَكونَ في ذلكَ عبرةٌ وعِظَةٌ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

ولقدْ أهْلَكْنا القُرونَ السّابقةَ يا أهْلَ مكَّةَ حينَ اسْتَمرّوا في ظُلْمِهِمْ وعِنادِهِمْ ، وحينَ أصرّوا عَلى الكُفْرِ بَعْدَ أنْ جاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بالدَّلائِلِ الدّالَّةِ عَلى وَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى ، وعلى صِدْقِهِمْ فيما يُبلِّغونَهُ عن ربِّهِمْ ، فَعليكُمْ أيُّها الغافلونَ أنْ تَتوبوا إلى رُشْدِكُمْ ، وأنْ تَتَّبعوا الحَقَّ الّذي جاءَكُمْ بهِ نَبيُّكُمْ ﷺ ، كيْ لا يُصيبَكُمْ ما أصابَ الظّالِمينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ، وقدْ عَلِمَ اللهُ تَعالى أنَّهُ لنْ يَحصُلَ منهُمْ

إيمانٌ بسببِ تَشبُّثِهِمْ بالكُفْرِ والعِصيانِ ، فاعتَبروا يا كُفّارَ مَكَّةَ ، فكَما أهْلَكْنا مَنْ قَبْلَكُمْ مِمّنْ لم يُؤمِنوا ، سَنجزي المُجرمينَ السّائِرينَ عَلى دَرْبِهِمْ بإهْلاكِهِمْ كذلكَ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى شَأْنَ هذهِ الأُمّةِ المُحمَّديَّةِ المُبارَكةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

ثُمَّ جَعلناكُمْ أَيُّها المُكَلَّفونَ باتِّباعِ النَّبيِّ ﷺ خُلَفاءَ في الأَرضِ ، تَعْمرونَها مِنْ بعدِ أُولئكَ الأقوامِ المَهْلَكينَ لِنَرى ونُشاهِدَ ونَعلمَ أيَّ عَمَلٍ تَعملونَ في خِلافَتِكُمْ ، فَنُجازيَكُمْ عَلى ذلِكَ الجزاءَ المُناسِبَ الّذي تَقتضيهِ حِكْمَتُنا وإرادَتُنا ، وذلكَ بَعْدَ أنْ عَرَفْتُمْ ما جَرى عَلى أسْلافِكُمْ ، وليسَ النَّظَرُ هنا مُراداً منهُ أنَّ اللهَ تَعالى لا يَعلمُ الأشياءَ إلاّ بَعْدَ حُدوثِها ، وإنَّما المُرادُ : يُعامِلُكُمْ مُعاملةَ مَنْ يَطلبُ العِلْمَ بأعمالِكُمْ لِيُجازِيَكُمْ بِحَسَبِها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ فَزَعُ الإنسانِ إلى اللهِ تَعالى حينَ تُصيبهُ المَصائِبُ .

٢ـ ضَرورةُ أخْذِ العِبْرَةِ مِنْ مَصارِعِ المُهْلَكينَ ، فاللهُ تَعالى لا يُعذِّبُ النّاسَ ظُلْماً .

٣ـ إنَّ اللهَ تَعالى لَيُمْلي للظّالِمِ حتّى إذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ ، فمَنْ ظَلَمَ نالَ عاقبةَ ظُلْمِهِ .

٤ـ اللهُ تَعالى يُقَدِّرُ في الكَوْنِ ما يُريدُه هُوَ لا ما أرادَهُ عِبادُهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يُعَجِّلُ اللهُ ، يَعْمَهونَ ، الضُّرُّ ، المُسرِفينَ ، القُرونَ ، خَلائِفَ .

٢ـ لِماذا لا يُعَجِّلُ اللهُ تَعالى للنّاسِ في إجابةِ ما يَطلبونَ وبخاصةٍ إذا كانَ شرّاً ؟

٣ـ لِماذا ذكرَ اللهُ تَعالى إهلاكَ القُرونِ السّابقةِ الظّالِمَةِ ؟

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ طبيعةَ الإنْسانِ في حالتي السَّلامةِ والضُّرِّ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ماذا تَستفيدُ مِمّا يلي :

أ ـ أهلكْنا القُرونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمّا ظَلَموا .

ب ـ جاءَتْهُمْ رسُلُهُمْ بالبيِّناتِ .

ج ـ لِننظُرَ كيفَ تعْمَلونَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفترِكَ أسماءَ ثلاثةِ أقوامٍ جاءوا قبلَ بِعثةِ مُحمّدٍ ﷺ ، واكْتُبِ العَذابَ الّذي لَحِقَ بِهِمْ .

* * *

الدَّرْسُ الخامِسُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الخامِسُ

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ
بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ
عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ
فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا
لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بيِّناتٍ : واضحاتٍ .

تِلْقاءِ نَفْسِي : مِنْ عِندي .

مِنْ قَبْلِهِ : مِنْ قَبْلِ القُرآنِ .

افْتَرى : ادّعى كَذِباً .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى طَبيعةَ الإنْسانِ في حالِ السَّلامةِ وحالِ الضُّرِّ ، بَيَّنَ لنا هُنا بعضَ المُقْتَرَحاتِ الفاسِدَةِ الّتي اقتَرَحَها المُشرِكونَ عَلى النَّبيِّ ﷺ ، وردَّ عليها بما يُبطِلُها ، فقالَ تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ .

وإذا تُتْلى عَلى أُولئكَ المُشْرِكينَ آياتُنا الواضِحةُ البيِّنَةُ ، المُنزَّلَةُ عليكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ ، قالَ المُشرِكونَ عَلى سبيلِ العِنادِ والحَسَدِ والسُّخريَةِ والاسْتِهزاءِ : هاتِ لنا قُرآناً آخرَ سِوى هذا القرآنِ الّذي جِئْتَنا بهِ ، أو بَدِّلْهُ بأَنْ تَجعلَ مكانَ الآيِ الّتي فيها سَبٌّ لآلِهَتِنا آيةً أُخْرى فيها مَدْحٌ أو نحوَ ذلكَ . فلمّا قالوا ذلكَ أمَرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ بقولِهِ : قلْ لهُمْ عَلى سبيلِ التَّوبيخِ والإنْكارِ : لا يَصِحُّ لي بحالٍ مِنَ الأحوالِ ، ولا يجوزُ أنْ أُبدِّلَ هذا القرآنَ مِنْ عِنْدِ نَفْسي ، ما أنا إلاّ مُتَّبِعٌ ومُبلِّغٌ ما يوحى إليَّ مِنْ ربّي ، إنّي أخافُ إنْ عَصيْتُ ربّي عذابَ يومٍ عظيمٍ ، وإذا كانَ شأْني أنْ أخافَهُ تَعالى مِنْ أيّةِ مَعصيةٍ ولو كانتْ صغيرةً ، فكيفَ لا أخشاهُ إنْ عَصيْتُهُ بِتَبديلِ كلامِهِ اسْتِجابةً لأهوائِكُمْ .

ثُمَّ لقَّنَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ ردّاً آخَرَ عَلَيْهِمْ ، زِيادةً في تَسفيهِ أفْكارِهِمْ والإنكارِ عَلَيْهِم ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

قلْ لهمْ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ : لو شاءَ اللهُ تَعالى أنْ لا أَتْلُوَ عَلَيْكُمْ هذا القرآنَ لَفَعَلَ ، ولو شاءَ أنْ يَجعلَكُمْ لا تَدرونَ مِنهُ شيئاً لفَعَلَ أيضاً ، فإنَّ مَرَدَّ الأُمورِ كُلِّها إليهِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ شاءَ وأرادَ أنْ أتْلُوَ هذا القرآنَ عَلَيْكُمْ ، وشاءَ أنْ يُعلِمَكُمْ بِهِ بواسِطَتي ، فأنا رسولٌ مُبلِّغٌ ما أمَرَني ربّي بِتَبليغِهِ ، فأنتُمْ تَعلمونَ أنّي مَكَثْتُ فيما بيْنَكُمْ مُدَّةً طويلةً مِنَ الزّمانِ ، قبلَ أنْ أُبلِّغَكُمْ هذا القرآنَ ، حَفِظتُمْ خلالَ هذهِ المُدّةِ أحوالي ، وأحَطْتُمْ خُبْراً بأَقْوالي وأفْعالي ، وعَرفْتُمْ أنّي لمْ أقرأْ عليكُمْ مِنْ آيةٍ أو سورةٍ ، ممّا يشهدُ أنَّ هذا القرآنَ إنّما هوَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، أفَجهِلْتُمْ هذا الأمْرَ كُلَّهُ بالرَّغمِ مِنَ وُضوحِهِ وجَلائِهِ ، فَصِرْتُمْ لا تَعقلونَ ؟ إنَّ أمثالَ هذهِ الاقْتِراحاتِ المُتعنِّتَةِ الّتي اقْتَرَحْتُموها لا يُمكِنُ لأَحدٍ تَنفيذُها إلاّ اللهُ تَعالى .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهُ لا أحَدَ أكثرَ ظُلْماً ممّنْ كَذَبَ على اللهِ تَعالى أو كذَّبَ بآياتِهِ . وحَكَمَ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم بالإجرامِ وأنَّهمْ لا يُفْلِحونَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

لا أحدَ أظلَمَ ولا أعتى ولا أشدَّ إجْراماً مِمّنِ افْتَرى عَلى اللهِ تَعالى كَذِباً وتقوَّلَ عَلَيْهِ ، وزَعَمَ

أنَّ اللهَ تَعالى أرْسَلَهُ ولم يَكُنْ كَذلِكَ ، فليسَ أحدٌ أكبرَ جُرْماً ولا أشَدَّ ظُلْماً مِنْ هذا ، ومثلُ هذا لا يَخْفى أمرُهُ على الأغبياءِ فكيفَ يَشْتَبهُ حالُ هذا بالأنبياءِ ؟ فإنَّ مَنْ قالَ هذهِ المَقالَةَ صادِقاً أو كاذِباً ، فلابُدَّ أنَّ اللهَ تَعالى يُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الأدلَّةِ على برِّهِ أو فُجورِهِ ما هُوَ أظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ . فإنَّ الفَرْقَ بينَ النَّبيِّ ﷺ وبَيْنَ مُسيلمَةَ الكذّابِ لِمَنْ شاهَدهُما ، أظْهَرُ مِنَ الفَرْقِ بَيْنَ الضُّحى وبين نِصفِ اللّيلِ ، فَمِنْ شِيَمِ كُلٍّ منهُما وأفعالِهِ وكلامِهِ يَستدلُّ مَنْ لهُ بَصيرةٌ على صِدْقِ النَّبيِّ ﷺ ، وكَذبِ مُسيلمَةَ الكَّذابِ . إنَّ مَنْ بَلَغَ بهِ الإجرامُ إلى هذا الحَدِّ لا يُمكِنُ أنْ يكونَ مِنَ المُفْلِحينَ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أقبحَ رذائِلِ هؤلاءِ المُشرِكينَ المُجرِمينَ ، وهيَ عِبادَتُهُمْ غَيْرَ اللهِ تَعالى ، ودَعواهُمْ أنَّ أصْنامَهُمْ سَتشْفَعُ لهمْ عندَ اللهِ تَعالى :

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٨ ﴾ .

ويَعبدُ هؤلاءِ المُشركونَ ، المُفترونَ على اللهِ تَعالى أصْناماً باطِلَةً ، لا تَضرُّهُمْ ولا تَنفعُهُم ، ويقولونَ : هؤلاءِ الأصنامُ يَشْفَعونَ لَنا عِندَ اللهِ تَعالى في الآخِرَةِ ، قُلْ لهمْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ : هل تُخْبرونَ اللهَ تَعالى بِشَريكٍ لا يَعلمُ اللهُ تَعالى لَهْ وُجوداً في السَّمواتِ ولا في الأرضِ ؟ تنزَّهَ اللهُ تَعالى عَنِ الشَّريكِ ، وعمّا تَزْعُمونَهُ بعبادةِ هؤلاءِ الشُّركاءِ .

وهَكذا شَأْنُ المُضلِّينَ في كلِّ زمانٍ ، يَتَّخذونَ مِنْ أهوائِهِمْ آلِهَةً ، ثُمَّ يُحاوِلونَ إيجادَ المُسوِّغِ لهذهِ الآلِهَةِ ، لأجْلِ أنْ يُقنِعوا أنفُسَهُمْ والآخَرينَ مَعهُمْ بصوابِ ما يفعلونَ وَهُمْ على الضَّلالِ المُبينِ ، فالواجِبُ على العاقِلِ الحَذَرُ مِنْ هؤلاءِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لا يَتوانى أصْحابُ الباطِلِ مِنَ التَّرويجِ لِباطِلِهِمْ والدِّفاعِ عنهُ باسْتِخدامِ ما أمْكَنَ مِنَ الحُجَجِ والبَراهينِ الكاذِبَةِ .

٢ـ مُهِمَّةُ النَّبيِّ ﷺ مَكشوفةٌ وواضِحَةٌ لِقوْمِهِ ولِلنّاسِ أجْمَعينَ .

٣ـ الكَذِبُ عَلى اللهِ تَعالى والتَّكذيبُ بآياتِهِ مِنَ الجرائِمِ العَظيمةِ .

٤ـ الشِّرْكُ باللهِ تَعالى أكبرُ جَريمةٍ اقْتَرَفَها الإنسانُ ، واللهُ تَعالى مُنَزَّهٌ عنْ أنْ يكونَ لهُ شريكٌ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

بَيِّناتٍ ، تِلقاءِ نَفْسي ، مِن قَبلِهِ .

٢ـ ذَكَرتْ هذهِ الآياتُ الكَريمةُ مَطالِبَ الكُفّارِ واقْتِراحاتِهِمْ .

أـ اذْكُرْ هذهِ المَطالبَ .

ب ـ اذْكُرْ رَدَّ القرآنِ عَليْها .

٣ـ بيِّن ماذا تَستفيدُ مِمّا يلي :

أـ إن أتَّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إليَّ .

ب ـ فقدْ لَبِثْتُ فيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ .

٤ـ اكْتُبْ في كلِّ فراغٍ ما يُناسِبُهُ مِنْ آياتِ الدَّرْسِ :

أـ إن أتَّبِعُ إلاّ ما . . . . إليَّ .

ب ـ قلْ لو شاءَ اللهُ. . . . . عَليْكُمْ .

ج ـ فمَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ. . . . . عَلى اللهِ كَذِباً .

دـ ويَقولونَ هؤُلاء. . . . . عندَ اللهِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبِ الآياتِ مِنْ سورةِ الحاقَّةِ الدّالَّةَ على تَهديدِ الرّسولِ ﷺ إذا قالَ ما لَمْ يُنزِّلْهُ اللهُ عَلَيْهِ .

* * *

الدَّرسُ السَّادِسُ

سورَةُ يونُسَ - القِسْمُ السَّادِسُ

وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

النّاسُ : الجِنْسُ البَشَريُّ .

كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِنْ ربِّكَ : هي ما قضاهُ اللهُ تَعالى بِشَأْنِهِمْ

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بعضَ أوهامِ المُشرِكينَ وقَبائِحِهِمْ ، بَيَّنَ أنَّ الاخْتِلافَ هو الّذي أَوْصَلَ النّاسَ إلى هذهِ الحالةِ مِنَ الشِّرْكِ بَعْدَ أنْ كانوا عَلى الخَيْرِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ .

وما كانَ الناسُ في تَكوينِهِمْ إلاّ أمةً واحدةً بِمُقْتَضى الفِطْرَةِ ، فقدْ كانوا يَعيشونَ كَأُسْرَةٍ واحدةٍ ، حتّى كَثُروا وتَفرَّقوا وصاروا عشائِرَ وقبائلَ وشُعوباً تَختلِفُ حاجاتُها وتَتعارَضُ مَنافِعُها ، فتَتعادى وتَتقاتَلُ في أُمورِ الدُّنْيا ، ثُمَّ إنَّ اللهَ تَعالى بَعَثَ إليْهِمُ الرُّسُلَ لإرْشادِهِمْ وهِدايَتِهِمْ بِمُقْتَضى وحَيْهِ تَعالى ، فكانَتْ تلكَ الطَّبيعةُ الإنْسانيَّةُ الّتي استعدَّتْ لِلخيْرِ والشَّرِّ سَبباً في أنْ يَغْلِبَ الشرُّ عَلى بَعْضِهِمْ

بِسَبَبِ تَحكُّمِ الأَهْواءِ ونَزَعاتِ الشَّيطانِ ، فاخْتَلفوا أيضاً بِسبَبِ ذلك ، ولولا حُكْمٌ سابقٌ مِنْ ربِّكَ تَبارَكَ وتَعالى يا مُحمّدُ ﷺ بإمْهالِ الكافِرينَ ، وإرجاءِ هَلاكِهِمْ إلى مَوْعِدٍ مُحدَّدٍ عندَهُ ، لَعجَّلَ لهمُ الهَلاكَ والعذابَ بسببِ هذا الخِلافِ الّذي وَقَعوا فيه .

وقدْ تَضمَّنَتْ هذهِ الآيةُ الكَريمَةُ الوعيدَ الشَّديدَ عَلى الاخْتِلافِ المُؤدّي إلى التَّفْرقةِ في الدّينِ وإلى الشِّقاقِ والنِّزاعِ ، كما تَضمَّنَتْ تَسليةَ الرّسولِ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ قومِهِ ، فكأنَّ اللهَ تَعالى يقولُ : الاخْتِلافُ مِنْ طَبيعةِ البَشَرِ ، فلا تَنتظِرْ مِنَ النّاسِ جميعاً أنْ يَكونوا مُؤْمنينَ .

وبَعْدَ هذا حَكى اللهُ تَعالى لنا لَوْناً آخرَ مِنْ ألوانِ تَعنُّتِ المُشرِكينَ وَجهالاتِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ .

والمُرادُ بالآيةِ الّتي طَلَبوها ، آيةً كونيّةً سِوى القرآنِ الكَريم ؛ بأنْ يَكونَ معَهُ ﷺ ناقةٌ كناقةِ صالحٍ عليهِ السلامُ مَثَلاً ، أو أيُّ شيءٍ آخرُ مثلُ هذا ، فهُمْ بهذا لا يَعدّونَ القُرآنَ الكَريمَ مُعجزةً للنَّبيّ ﷺ .

فهؤلاءِ المُشرِكونَ يقولونَ للنَّبيِّ ﷺ : هلاّ أَنزلَ اللهُ تَعالى عليكَ آيةً أُخْرى سِوى القُرْآنِ الكَريمِ تكونُ شاهِدَةً لكَ بالنُّبوَّةِ ؟ وإنّما طلَبَ المُشْرِكونَ هذا الطَّلَبَ عَلى سَبيلِ العِنادِ والكُفْرِ لا عَلى سَبيلِ الاسترشادِ والتثبُّتِ ، وقدْ رَدَّ اللهُ تَعالى عليهِمْ بقولِهِ : ﴿ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ . [الأنعام : ١١١] .

ثُمَّ أمَرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ أنْ يقولَ لَهُمْ في الجوابِ عَلى مَطالبِهِمْ هذهِ : إنَّ هذهِ المَطالِبَ الّتي طَلبْتُموها هيَ مِنَ الغيْبِ الّذي اسْتأثَرَ اللهُ تَعالى بِعلْمِهِ ، فقدْ يُجيبُكُمُ اللهُ تَعالى إلى ما طَلبْتُموهُ وقدْ لا يُجيبُكُمْ ، فانْتَظِروا ما يَقضيهِ اللهُ تَعالى في أمْرِ تعنُّتِكُمْ في مَطالِبِكُمْ ، فإنّي مَعكُمْ مِنَ المُنتَظِرينَ لِقضائِهِ تَعالى وقَدَرِهِ ، ولِما يفعلُهُ بي وبكُمْ .

وقدْ حَكى القرآنُ الكَريمُ جُمْلةً مِنْ مَطالبِ المُشرِكينَ المُتعنِّتةِ ، الّتي غايَتُها إيقاعُ الرّسولِ الكَريمِ ﷺ في الحَرَجِ ، ومنها ما جاءَ في سورةِ الإسراءِ ، حَيْثُ قالَ تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ . [الإسراء : ٩٠-٩٣] .

ثُمَّ إنَّ اللهَ تَعالى عرضَ لنا بَعْدَ ذلكَ صورةً مِنْ أحوالِ النُّفوسِ البَشَريَّةِ وطَبائِعِها المُخْتَلِفةِ في حالتيِّ السَّراءِ والضَّراءِ فقالَ تَعالى :

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾﴾ .

ومِنْ شأنِ النّاسِ أنّنا إذا أَنْعَمْنا عَليهِمْ مِنْ بعدِ شِدَّةٍ أصابَتْهُمْ في أنفُسِهِمْ أو أهليهِمْ أو أموالِهِمْ ، لمْ يَشْكُروا اللهَ تَعالى عَلى ما أنْعَمَ بِهِ علَيْهِمْ بَعْدَ صَرْفِ الضُّرِّ عَنْهُمْ ، بلْ هُمْ يُقابلونَ ذلكَ بالإمعانِ في التّكذيبِ والكُفْرِ بالآياتِ الكَريمةِ ، ولَمّا كانَ أمْرُهُمْ كذلكَ أمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يقولَ لهمْ : إنَّ اللهَ تَعالى قادِرٌ عَلى إهْلاكِكُمْ والإسْراعِ بِتَعْذيبِكُمْ ، لولا حُكْمٌ سابقٌ مِنهُ بإمْهالِكُمْ إلى مَوْعِدٍ احتصَّ وحْدَهُ تَعالى بِعِلْمِهِ ، إنَّ رُسُلَنا مِنَ المَلائكَةِ المُوكَّلينَ بكُمْ يَكتبونَ كلَّ ما تفعلونَهُ وتَمْكُرونَهُ ، واللهُ تَعالى سَيُحاسِبُكُمْ ويُجازيكُمْ عليهِ ، وقولُهُ تَعالى : ﴿ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مِنْ قبيلِ المُشاكَلَةِ ، بمعنى أنَّ اللهَ تَعالى يَعلمُ ما يُخْفونَهُ وهو أسرعُ في المُحاسَبةِ عَلَيْهِ .

وهَكذا هو شَأْنُ النّاسِ عندما يَرفعُ اللهُ تَعالى عنهُمُ البُؤْسَ ، سُرعانَ ما يُفاجئوا عبادَ اللهِ تَعالى بالمَكْرِ بَدَلاً مِنَ الحَمْدِ والشُّكْرِ ، فإذا أصابَ الإنسانَ المطرُ بَعْدَ الجَدْبِ والشِّدَّةِ قالَ : إنَّ مَطَرَنا لآتٍ في فصلِ الشِّتاءِ ، ولم يَعْزُ ذلكَ إلى فضلِ اللهِ تَعالى ، وإذا نَجا مِنْ مَكروهٍ حاقَ بهِ قالَ : نَجَوْتُ بالمُصادفَةِ ، وهكذا أَهْلُ مَكَّةَ عِنْدَما أصابَهُمُ الجوعُ والقَحْطُ والجَدْبُ حتّى أكلوا العِظامَ والمَيْتَةَ ، ثُمَّ سألوا النَّبيَّ ﷺ الدُّعاءَ لإزالةِ ما هُمْ فيهِ ، فَكَشفَ اللهُ تَعالى عَنهُمُ الجَهْدَ والبَلاءَ ، وما زادَهُمْ ذلِكَ إلاّ جُحوداً وكُفراً ومَكْراً وفساداً[١] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ فِطْرَةُ النّاسِ الأُولى هيَ الخَيْرُ ، وما تَفرَّقوا إلاّ بِسَبَبِ اخْتِلافِهِمْ .

٢ـ تعنُّتُ المُشركينَ في طَلَبِ الآياتِ لإحْراجِ الرّسولِ ﷺ .

٣ـ لا يَمْلكُ النبيُّ ﷺ أنْ يُجيبَ النّاسَ إلى ما يَطلبونَ فالأمْرُ للهِ تَعالى .

٤ـ فَضْلُ اللهِ تَعالى ورحمتُه بعبادِهِ ، إذْ لَمْ يُسَرِّعْ لهمْ بالقَضاءِ والحِسابِ ولم يُعاجِلْهُمْ بالعُقوبَةِ .

---

(١) انظر صحيح البخاري حديث رقم : (٤٨٢٢) .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

٢ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

النّاسَ ، كلمةٌ سَبَقَتْ مِنْ ربِّكَ ، اللهُ أسْرعُ مكْراً .

٣ـ ماذا نَستفيدُ مِمّا يلي :

أـ وما كانَ النّاسُ إلاّ أمّةً واحدةً .

ب ـ فقلْ إنّما الغَيْبُ للهِ .

ج ـ إنَّ رُسُلَنا يَكْتُبونَ ما تَمكُرونَ .

٤ـ بيِّنْ فضلَ اللهِ تَعالى ورحمَتَهُ بعبادِهِ مِنْ خِلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ .

٥ـ أظهرتِ الآياتُ الكَريمَةُ جَهْلَ الكُفّارِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٦ـ أظهرتِ الآياتُ الكَريمَةُ شِدَّةَ مُعاناةِ النَّبيِّ ﷺ مِنْ قومِهِ ، بيِّنْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ آيةً تَدلُّ عَلى خُطورةِ التَفرُّقِ والتّنازُعِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ السّابِعُ

هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا
جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ
فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ
نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ
أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ
كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ريحٌ عاصِفٌ	: ريحٌ شديدةٌ .
ظَنّوا	: أيْقَنوا .
يَبْغونَ في الأرضِ	: يَعيثونَ فيها فساداً .
كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ	: كأنَّها لم تَكُنْ عامِرَةً .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تعالى طَرَفاً مِنْ أحوالِ النّاسِ ، وذَكَرَ سُرعَةَ مَكْرِهِمْ عندما يَكونونَ في حالِ السَّلامَةِ ، ذَكَرَ اللهُ تَعالى شَيئاً مِنْ فَضْلِهِ عَلى عبادِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

إنَّ اللهَ تَعالى الّذي تَكفُرونَ بنِعَمِه ، وتُكذِّبونَ بآياتِهِ ، هُوَ الّذي يُمكِّنُكُمْ مِنَ السَّيْرِ والسَّعْيِ في البَرِّ مُشاةً ورُكْباناً ، وفي البَحْرِ بما سَخَّرَ لكمْ مِنَ السُّفنِ الّتي تَجْري على الماءِ ، بما يُهيِّئُ اللهُ تعالى لها من ريحٍ طيِّبةٍ تَدْفَعُها في أمانٍ إلى غايَتِها ، حتّى إذا اطْمَأْنَنْتُمْ وَفَرِحْتُمْ بها ، هبَّتْ ريحٌ عاصِفَةٌ أثارتْ عليكُمُ المَوْجَ مِنْ كلِّ جانبٍ ، وأيْقَنتُمْ أنَّ الهلاكَ واقعٌ لا مَحالةَ في هذهِ الشدَّةِ ، وفي تلكَ السّاعاتِ العَصيبةِ واللَّحظاتِ الحَرِجَةِ ، لا تَجدونَ ملجأً غيرَ اللهِ تَعالى ، فَتدعونَهُ مُخلِصينَ في الدُّعاءِ ، وموقِنينَ أنّهُ لا مُنقِذَ لَكمْ سِواهُ ، مُتعهِّدينَ له تَعالى بالإيمانِ لَئِنْ أنْجاكُمْ مِنْ هذهِ الكُرْبَةِ لَتؤمِنُنَّ بهِ ولَتكونُنَّ مِنَ الشّاكرينَ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ بيانٌ واضِحٌ أنَّ الخَلْقَ جُبلوا على الرُّجوعِ إلى اللهِ تَعالى في الشَّدائِدِ ، وأنَّ المُضْطَرَّ يُجابُ دُعاؤُهُ وإنْ كانَ كافِراً ، وهذا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعالى بعبادِهِ . وفي الآيةِ أيضاً أنَّ المُشرِكينَ كانوا لا يَلتفِتونَ على آلِهتِهِمْ في مثلِ هذهِ الأحْوالِ الرَّهيبةِ ، لِعلْمِهِمْ أنَّهُ لا يَنفعُهُمْ إلاّ اللهُ تَعالى ، فواعَجَباً لِكثيرٍ مِنَ المُسلمينَ يَلجأونَ في بَعْضِ شَدائِدِهِمْ وأهوالِهِمْ إلى مَنْ ليسَ بيدِهِ نَفَعٌ ولا ضَرٌّ ، ويَنسوْنَ إلهَهُمُ الأعظمَ سُبْحانَهُ وتَعالى . ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهُ بَعْدَ أنْ سَكَنَتِ العاصِفَةُ وهدأتْ وانْخَفَضَتِ الأمواجُ بَعْدَ ذلِكَ الدُّعاءِ العريضِ ، وقدْ سَكنتِ النُّفوسُ ، ووصلتِ السُّفُنُ إلى شاطىء الأمانِ ، كانتِ النَّتيجةُ أيضاً بَغْياً وكُفْراً ، قالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

فلمّا أنْجاهُمْ مِمّا تَعرَّضوا لهُ مِنَ الهلاكِ ، نَقَضوا عَهْدَهُمْ ، وعادوا مُسرِعينَ إلى الفَسادِ الّذي كانوا فيهِ مِنْ قبلُ . يا أيُّها الناسُ : أنتمُ الّذينَ تَضرَّعْتُمْ إليْنا في ساعاتِ الشّدَّةِ ، وسُرعانَ ما عُدتُمْ إلى البَغْيِ والفَسادِ بعدَ زوالِ تلكَ الشِّدَّةِ ناقِضينَ عَهدَكُمْ ، اعْلَموا أنَّ عاقبةَ اعتدائِكُمْ وظُلْمِكُمْ سَتَرْجِعُ عَلَيْكُمْ وحْدَكُمْ ، وإنَّ ما تَتمتَّعونَ بهِ في دُنياكُمْ متاعٌ دُنيويٌّ زائِلٌ ، ثُمَّ إلى اللهِ تَعالى مَصيرُكُم في النِّهايةِ ، فَيَجْزيكُمْ بأعمالِكُمُ الّتي أسْلَفْتُموها في دُنياكُمْ إنْ خَيْراً فَخيرٌ ، وإنْ شرّاً فَشَرٌّ ، وسوفَ يُنبِّئُكُمْ ربُّكُمْ بما كُنتمْ تَعملونَ في هذهِ الدُّنْيا .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مَثَلاً لِمَتاعِ الحياةِ الدُّنيا الزّائِلِ ، ولِزُخْرُفِها الفانِيينِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

ما حالةُ الدُّنيا في رَوْعَتِها وبَهْجَتِها ، ثُمَّ في فنائِها بَعْدَ ذلِكَ ، إلاّ كحالةِ الماءِ يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ فَيختلِطُ بهِ نباتُ الأرضِ ممّا يأكلُهُ النّاسُ والحيوانُ ، فيَزْدَهِرُ ويُثْمِرُ وتَزدانُ بهِ الأرضُ نَضارة وبَهجةً ، حتى إذا بَلَغَتْ هذهِ الزّينةُ تَمامَها ، وأيْقَنَ أهلُها أنّهمْ مالِكونَ زِمامَها ومُنتفِعونَ بثمارِها وخَيْرِها ، فاجأها أمْرُنا بزوالِها ، فَجَعَلْناها كالشَّيْءِ المَحصودِ ، كأنَّها لمْ تَكنْ آهِلَةً بسُكّانِها ، وآخِذَةً بَهجَتَها مِنْ قبلُ ، ففي كِلتا الحالتَيْنِ نَضارةٌ وازْدِهارٌ يَبتهِجُ بهما النّاسُ ، ثُمَّ يَعقُبُها زوالٌ ودمارٌ . وكما بَيَّنَ اللهُ تَعالى ذلِكَ بالأمثالِ يُفصِّلُ ما فيها مِنْ أحكامٍ وآياتٍ لقومٍ يَتفكَّرونَ ويَعقِلونَ .

وهذهِ الآيةُ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تَعالى للمُتشبِّثِ بالدُّنيا الرَاغِبِ في زَهْرَتِها وحُسْنِها . ووجهُ التَّمثيلِ فيها أنَّ غايةَ هذهِ الدُّنْيا الّتي يَنتفِعُ بها المَرْءُ ، إنّما هو كِنايةٌ عنْ هذا النّباتِ الّذي لَمّا عَظُمَ الرَّجاءُ في الانْتِفاعِ بهِ ، وقَعَ اليأسُ منهُ ، ولأنَّ المُتَمَسِّكَ بالدُّنيا إذا نالَ مِنْها بُغْيَتَهُ أتاهُ المَوْتُ ، فَسَلبَهُ ما هو فيهِ مِنْ نعيمِ الدُّنْيا ولَذّاتِها .

والآيةُ الكَريمَةُ تُشيرُ إلى حَقيقةٍ بدأتْ تَتكشَّفُ بَوادِرُها ، وهي تَسخيرُ الإنسانِ لِلْعِلْمِ لِخدْمَتِهِ ، وقدِ اسْتَطاعَ بذلكَ أنْ يُسيطِرَ عَلى ما يُحقِّقُ أهدافَهُ ، حتّى إذا ما قاربتْ هذهِ الحقيقةُ عَلى الاكْتِمالِ ، وظَنَّ الإنسانُ أنَّهُ قدْ بَلَغَ أوْجَ المعرفةِ ، أتى أمرُ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١- إنَّ مِنَ الواجِبِ عَلى الإنْسانِ الإكثارَ مِنْ دُعاءِ اللهِ تَعالى في حالَتَي الشِّدَّةِ والرَّخاءِ .

٢- يَنْبَغي لِلْعاقِلِ أنْ لا يَغتَرَّ بزُخْرُفِ الحياةِ الدُّنْيا وزينَتِها ، فكلُّ متاعٍ زائلٌ .

٣- في ضَرْبِ الأمثالِ للنّاسِ إيقاظٌ لِضَمائِرِهِمْ وتَنبيهٌ لَهُمْ .

٤- يَنْبَغي لِلْعاقِلِ ألاّ يَأْمَنَ نِقْمَةَ اللهِ تَعالى .



التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

عاصِفٍ ، ظَنّوا ، يَبغونَ في الأرْضِ ، حَصيداً ، كأنْ لَمْ تَغْنَ بالأَمْسِ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّه لا مَنْجى ولا مَهْرَبَ مِنَ اللهِ تَعالى إلاّ إليهِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ هاتِ الآياتِ التي تَدُلُّ على كُلٍّ مِمَّا يَلي :

أـ الكُفْرُ مَرتَعُهُ وَخيمٌ .

ب ـ الآلِهَةُ لَمْ تَنفعْ أصحابَها ونَفَعَهُمُ اللهُ .

ج ـ سُرعةُ فسادِ الإنسانِ في حالِ السَّلامةِ .

د ـ رِقَّةُ القَلْبِ عندَ الخَوْفِ .

٤ـ بيِّنْ كيفَ تُطبِّقُ المَثَلَ المَضروبَ في الآياتِ عَلى حالِ الإنسانِ .

٥ـ ما الفائدةُ مِنْ ضَرْبِ المَثَلِ ؟

٦ـ وُصِفَتِ الرِّيحُ في الآياتِ بِوَصْفيْنِ :

أـ اذْكُرْهُما .

ب ـ بيِّنْ مَعنى كُلٍّ مِنْهما .

ج ـ أثَرُها عَلى المِلاحَةِ البَحريَّةِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفترِكَ مَثَلاً آخرَ ضَرَبَهُ اللهُ للحياةِ الدُّنْيا مِمّا جاءَ في سورةِ الكَهْفِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثّامِنُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ
وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ
كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ
قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ
لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ
بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ
وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **دارِ السّلامِ** : الجنّةِ ، لأنَّها دارُ السّلامةِ والأَمْنِ .
- **لا يَرْهَقُ** : لا يَلْحَقُ .
- **قَتَرٌ** : غُبارٌ فيه سَوادٌ .
- **ذِلَّةٌ** : هَوانٌ وصَغارٌ .
- **عاصِمٍ** : مُنْقِذٍ .
- **أُغْشِيَتْ** : أُلْبِسَتْ وغُطِّيَتْ .
- **زَيَّلْنا** : مَيَّزْنا .
- **تَبْلو** : تَخْتَبِرُ .
- **أَسْلَفَتْ** : قَدَّمَتْ .



التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ تَعالى حالَ الحياةِ الدُّنْيا ، وهَوانَها ، وقِصَرِ التَّمتُّعِ بِها ، أتْبَعَ ذلكَ بِدَعوةِ النّاسِ جَميعاً إلى العَمَلِ الصّالحِ الّذي يوصِلُهُمْ إلى الجَنَّةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾

واللهُ تَعالى يَدعو عِبادَهُ إلى الإيمانِ والعَمَلِ الصّالِح ، وهِيَ الدَّعوةُ الّتي توصِلُ إلى جنَّةِ دارِ الأَمْنِ والطُّمَأْنينَةِ ، وهو سُبْحانَهُ يَهدي مَنْ يشاءُ هِدايَتَهُ ـ لِحُسْنِ اسْتِعدادِهِ وَمَيْلِهِ إلى الخَيْرِ ـ على الطَّريقِ الحَقِّ وهو الإسلامُ .

والهِدايةُ الإلهيَّةُ لِلْعِبادِ نَوْعانِ : هدايَةُ دَلالةٍ وإرْشادٍ ، وهذهِ هِدايَةٌ عامَّةٌ لِجميعِ الخَلْقِ ، حيثُ دَلَّهُمُ اللهُ تَعالى عَلى طريقِ الخَيْرِ وبَيَّنَ لَهُمْ مَعالِمَهُ ، وحَذَّرهُمْ مِنْ طريقِ الشَّرِّ وبَيَّنَ لهُمْ مَعالِمَهُ . وهِدايةُ تَوفيقٍ وَتثبيتٍ ، وهي الخاصَّةُ بِمَنْ يَختارُهُ اللهُ تَعالى لِيَشْرُفَ بِعُبودِّيةِ ربِّهِ تبارَكَ وتَعالى .

ثُمَّ بَيَّنَ تَبارَكَ وتَعالى حُسْنَ عاقبةِ الّذينَ اسْتَجابوا لِدَعْوَتِهِ واتَّبعوا صِراطَهُ المُستقيمَ ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

للّذينَ أحْسَنوا بالاسْتِجابةِ لِدعْوَةِ اللهِ تَعالى ، فآمَنوا وعَمِلوا الخَيْرَ لِدينِهِمْ ودُنْياهُمْ ، لَهُمُ المَنزلةُ الحُسْنى في الآخِرَةِ وهيَ الجَنَّةُ ، ولهُمْ زِيادةٌ على ذلكَ فَضْلاً مِنَ اللهِ تَعالى وتكرُّماً ، ولا يَغشى وُجوهَهُمْ كآبَةٌ مِنْ هَوْلٍ أو هوانٍ ، وهؤلاءِ هُمْ أهلُ الجنَّةِ الّذينَ يَنْعُمونَ فيها أبَداً . وفُسِّرَتِ الزِّيادةُ في هذهِ الآيةِ بالنَّظَرِ إلى اللهِ تَعالى يومَ القيامةِ ، فقدْ أخرجَ الإمامُ مسلمٌ في صَحيحهِ عنْ صُهيْبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تلا هذهِ الآيةَ وقالَ : « إذا دخلَ أهْلُ الجنَّةِ الجنَّةَ قالَ : يقولُ اللهُ تَعالى تُريدونَ شَيْئاً أَزيدُكُم ؟ فَيقولونَ : ألمْ تُبيِّضْ وُجوهَنا ؟ ألمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ وتُنجِّنا مِنَ النّارِ ؟ قال : فَيُكْشَفُ الحِجابُ ، فما أُعْطوا شَيْئاً أحبَّ إليْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجَلَّ »[١] .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ الظّالِمينَ بعدَ أنْ بَيَّنَ حُسْنَ عاقبةِ المُحْسِنينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ، فقالَ تَعالى :

---

(١) صحيح مسلم حديث رقم ٢٩٧ .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةِۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

والَّذينَ لَمْ يَسْتَجيبوا لِدَعوةِ اللهِ تَعالى ، فَكَفروا واقْتَرفوا المَعاصي ، فَسَيُجزَوْنَ بِمِثْلِ ما عَملوا مِنْ سوءٍ ، ويَغشاهُمُ الهَوانُ ، وليسَ لَهُمْ واقٍ يَمنعُهُمْ مِنْ عَذابِ اللهِ تَعالى ، وَوُجوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ مِنَ الغَمِّ والكآبةِ ، كأنَّما أُسْدِلَ عليْها سوادٌ مِنْ ظُلْمَةِ اللّيلِ ، وهُمْ أهلُ النّارِ يَشْقَوْنَ فيها أبَداً .

وهَكَذا نَرى في هذهِ الآياتِ الكَريمَةِ تَصويراً بَديعاً لِما عَلَيْهِ المُؤْمِنونَ الصّادِقونَ مِنْ صِفاتٍ حَسَنةٍ ، ومِنْ جَزاءٍ كَريمٍ ، يَتجلّى في رَفْعِ دَرَجاتِهِمْ ، وفي رِضا اللهِ تَعالى عَنهُمْ . كَما نَرى في هذهِ الآياتِ أيْضاً وَصْفاً مُعجزاً لأَحْوالِ الخارجينَ عنْ طاعَتِهِ ، وعَنِ المَصيرِ المُؤْلِمِ الّذي يَنتظرُهُمْ يومَ القيامةِ : ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔاۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار : ١٩] .

وبعدَ هذا البيانِ عنْ هاتَيْنِ الصُّورَتَيْنِ ، وهَذيْنِ النّوعيْنِ مِنَ الطّائِعينَ والعاصينَ ، حَكَى لنا القرآنُ الكَريمُ جانِباً مِنَ الأقوالِ الّتي تدورُ بَيْنَ المُشرِكينَ وشُركائِهِمْ يومَ القيامةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

واذْكُرْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ أوْ أيُّها الإنْسانُ العاقِلُ هَوْلَ المَوْقِفِ ، يومَ نَجمعُ الخلائقَ كافَّةً ثُمَّ نقولُ لِلَّذينَ أشْرَكوا فَعَبدوا آلِهَةً غيرَ اللهِ : قِفوا مَكانَكُمْ أنْتُمْ ومَنِ اتَّخَذْتُموهُمْ شُرَكاءَ مِنْ دونِ اللهِ تَعالى ، حتّى تَنْظُروا ما يُفْعَلُ بِكُمْ ، وهنالكَ تقعُ الفُرْقَةُ بينَ المُشرِكينَ والشُّرَكاءِ ، ويَتبَرَّأُ الشُّرَكاءُ مِنْ عابِديهِمْ قائِلينَ لَهُمْ : لم نَدْعُكُمْ إلى عِبادَتِنا ، وما كُنتُم تَعبدونَنا ، وإنَّما كُنتُمْ تَعبدونَ أَهْواءَكُمْ . والمَقصودُ بقولِ الشُّرَكاءِ هذا التَبرّي مِنَ المُشرِكينَ ، وتَوبيخُهُمْ عَلى أفكارِهِمُ الفاسِدَةِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مِنْ قَوْلِ الشُّرَكاءِ ما يُؤَكِّدُ هذا التَّبَرّي والإنكارَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

فَكَفى أنْ يكونَ اللهُ تَعالى شهيداً وحَكَماً بَيْنَنا وبَينَكُمْ ، فهو سُبْحانَهُ يَعلمُ حالَنا وحالَكُمْ ، ويعلمُ أنَّنا كُنّا في غَفلةٍ عَنْ عِبادَتِكُمْ لنا ، بحيثُ أنّنا ما فَكَّرْنا فيها ولا رَضينا بها ، وهَكَذا يَتنَصَّلُ الشُّرَكاءُ مِنَ المُشرِكينَ لِتَنْقَطِعَ بالمُشرِكينَ السُّبُلُ ، ويَعْلَموا أنَّ وَعْدَ اللهِ تَعالى حَقٌّ ، وأَنَّهم عَلى الباطِلِ ، وأنَّهُمْ لَنْ يَنْتَفِعوا مِنْ باطِلِهِمْ بشيءٍ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذهِ الآياتِ الكَريمةِ بِبيانِ أحوالِ النّاسِ في هذا اليومِ العَظيمِ ، فقالَ تَعالى :

﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ۝٣٠﴾ .

هُنالكَ في ذلكَ المَوْقفِ الهائِلِ الشَّديدِ تَختبرُ كلُّ نَفْسٍ مُؤمنةٍ أو كافِرَةٍ ما سَلَفَ مِنْها مِنْ أعمالٍ ، فَترى ما كانَ نافِعاً أو ضارّاً مِنْ هذهِ الأعمالِ ، وتَرى الجَزاءَ المُناسِبَ عنْ كُلِّ عَمَلٍ بَعْدَ أنْ عادَ الجميعُ إلى اللهِ تَعالى مَوْلاهُمُ الحَقُّ ، لِيَقْضِيَ بَيْنَهُم بِقَضائِهِ العادِلِ ، وقدْ غابَ عَنِ المُشْرِكينَ في هذا المَوْقِفِ ما كانوا يَفترونَهُ مِنْ أنَّ هناكَ آلِهةً أُخْرى سَتَشفَعُ لهُمْ ، وأيْقَنوا في ذلِكَ المَوْقِفِ بِوَحْدانيَّةِ اللهِ تعالى ، وبَطَلَ عِنْدَهُمْ ما كانوا يَفْتَرونَهُ عَلى اللهِ تعالى .

وهَكَذا نَرى هذِهِ الآياتِ الكَريمةَ تُصوِّرُ أحوالَ النّاسِ يومَ الدّينِ تَصويراً بَليغاً مُؤَثِّراً ، يَتجلّى فيهِ مَوْقِفُ الشُّرَكاءِ مِنْ عابديهِمْ ، وموقفُ كلِّ إنسانٍ مِنْ عَمَلِهِ الّذي قَدَّمَهُ في الدُّنْيا .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كَثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ اللهُ تعالى لا يَدعو إلاّ إلى الخَيْرِ والأمْنِ والسَّلامةِ والطُّمَأنينةِ .

٢ـ جزاءُ كُلِّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِها ، والحَسَنَةُ تُضاعَفُ بِفَضْلِ اللهِ تَعالى .

٣ـ وعْدُ اللهِ تَعالى للمُحسنينَ بزيادةِ ثوابِهِمْ ، وإشراقِ وُجوهِهِمْ .

٤ـ ذِلّةُ وجوهِ الظّالمينَ يومَ القيامةِ وانْكِسارُها واسْودادُها .

٥ـ لا عاصِمَ مِنْ أمرِ اللهِ تَعالى إلاّ مَنْ رَحِمَ ، والخَلْقُ كُلُّهُمْ سَيُحْشَرونَ إلى اللهِ تَعالى .

٦ـ تَبَرّي الشُّرَكاءِ مِنَ المُشرِكينَ ، وانْحِسارُ الأملِ وانْقِطاعُهُ لَدَيْهِمْ .

٧ـ خضوعُ الخَلْقِ جَميعاً لإرادةِ اللهِ تَعالى ، واسْتِسلامُهُمْ لِشهادَتِهِ سُبْحانَهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

دارِ السّلامِ ، ولا يَرْهَقُ وُجوهَهُمْ قَتَرٌ ولا ذِلّةٌ ، عاصِمَ ، أُغْشِيَتْ وُجوهُهُمْ ، زَيَّلْنا بَيْنَهُمْ .

٢ـ ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمَةُ صُورَتيْنِ مُتَضادَّتيْنِ وحالينَ مُختلفيْنِ للمُؤْمِنينَ والكافرينَ ، بيِّنْ كُلّاً مِنْهُما .

٣ـ ما مَوْقِفُ الشُّرَكاءِ مِنَ المُشرِكينَ ؟ وماذا تَستفيدُ مِنْ هذا المَوْقفِ ؟

٤ـ كيفَ تَستدلُّ مِنَ الآيةِ الأخيرةِ (٣٠) عَلى اسْتِسْلامِ الخَلْقِ كُلِّهِمْ للهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

١ـ في سورةِ الفاتحةِ يَطْلُبُ العَبْدُ مِنْ ربهِ الهِداية ، اكْتُبِ الآيةَ الدَّالّةَ عَلى ذلكَ .

٢ـ اكْتُبْ مِنْ سورةِ البَقَرةِ ما يدلُّ عَلى انْقِطاعِ الصِّلَةِ بينَ التّابعِ والمَتبوعِ يومَ القِيامَةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعُ

سورةُ يونُسَ ـ القِسْمُ التّاسِعُ

قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ
وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ
ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ
فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى
ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا
ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أنّى : كيفَ .

تُصْرَفونَ : تتْرَكونَ عِبادةَ اللهِ وتَعبدونَ غيرَهُ .

حقّتْ : وجَبَتْ وثَبَتَتْ .

كلمةُ ربِّكَ : قضاؤُهُ وحُكْمُهُ .

تُؤْفَكونَ : تَتحوّلونَ مِنَ الحقِّ إلى الباطلِ .

لا يَهِدِّي : لا يَهْتَدي بنفسِهِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ الحديثِ عَنِ الحَشْرِ وأهْوالِهِ ، ساقتِ السّورَةُ الكَريمةُ عدَداً مِنَ الآياتِ الكَريمةِ ، وفيها مِنَ

الأدِلَّةِ المُقْنِعَةِ على وَحدانيةِ اللهِ تَعالى ، وقُدرَتِهِ ، وذلكَ عنْ طريقِ السّؤالِ والجَوابِ ، لأنَّهُ أوْقَعُ في النّفْسِ وأعْوَنُ على الفَهْمِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

أُدْعُ أيُّها الرّسولُ ﷺ إلى التَّوْحيدِ الخالِصِ ، وقُلْ للنّاسِ : مَنِ الّذي يَأتيكُمْ بالرِّزْقِ مِنَ السَّماءِ بإنْزالِ المَطرِ ، ومِنَ الأرضِ بإخْراجِ النَّباتِ والثَّمرِ ؟ ومَنِ الّذي يَمنحُكُمُ السَّمْعَ والأبْصارَ ؟ ومَنْ يُخرِجُ الحيَّ مِنَ الميِّتِ كالنَّباتِ ، وهو حيٌّ مِنَ الأرضِ ، وهِيَ مَواتٌ ؟ ومَنْ يُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ كالإنسانِ يَسْلُبُ عنهُ الحياةَ ، وكالطَّيْرِ مِنَ البَيْضَةِ ونحوِ ذلكَ ؟ ومَنِ الّذي يُدبِّرُ ويُصرِّفُ جَميعَ أُمورِ العالَمِ كُلِّهِ بِقُدْرَتِهِ وحِكْمَتِهِ ؟ فَسَيَعْتَرِفونَ لا مناصَ ، بأنَّ اللهَ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ فاعلُ ذلكَ كُلِّهِ ، فَقُلْ لهُمْ أيُّها الرّسولُ ﷺ عندَ اعترافِهِمْ بذلكَ : ألَيْسَ مِنَ الواجبِ المُؤكَّدِ أنْ تُذعِنوا للحقِّ وتَخافوا اللهَ تَعالى مالِكَ المُلْكِ ؟ كيفَ تَعترِفونَ بأنَّ اللهَ وحدَهُ هُوَ الخالِقُ لِما سَبَقَ والفاعِلُ لهُ والقادِرُ عَلَيْهِ ، ومعَ ذلِكَ تُشرِكونَ معَهُ آلِهَةً أُخْرى فَتعْبُدونَها منْ دونِ اللهِ ؟ أفلا تَتَّقونَ عذابَهُ يومَ القيامةِ ؟ إنَّ هذا المَسْلَكَ يَدُلُّ على ضَعْفِ التَّفْكيرِ ، وانْطماسِ العُقولِ وجَهالةٍ بَلَغتْ غايَتَها .

وَقَدِ اشتملتْ هذهِ الآيةُ على خمسةِ أدلَّةٍ لإثْباتِ وَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى وقُدرَتِهِ ، وهيَ :

أولاً اللهُ تَعالى الرّازقُ مِنَ السّماءِ والأرضِ .

ثانياً اللهُ تَعالى مالِكُ السَّمْعِ والبَصَرِ .

ثالثاً اللهُ تَعالى مُخرِجُ الحيَّ مِنَ المَيِّتِ .

رابعاً : اللهُ تَعالى مُخرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحيِّ .

خامِساً اللهُ تَعالى مُدبِّرُ الأُمورَ كُلَّها .

وخَصَّ اللهُ تَعالى مِنَ الإنسانِ حاسَّتَيِّ السَّمْعِ والبَصَرِ ، لأنَّ لَهُما أعظَمَ الأثَرِ في حياةِ الإنْسانِ ، ولأنَّهُما قَدِ اشْتَمَلَتا في تَركيبِهِما على ما يُبْهِرُ العُقولَ ، ويَشْهَدُ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالى وعَجيبِ صُنْعِهِ .

ثُمَّ أرشدَ اللهُ تَعالى الخَلْقَ إلى الطَّريقِ الحَقِّ لو كانوا يَعقِلونَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾

فذلِكُمُ اللهُ تَعالى الّذي أقْرَرْتُمْ بهِ ، هُوَ وحْدَهُ ربُّكُمُ الّذي تَحقَّقتْ رُبوبيَّتُهُ ، ووجَبَتْ عِبادَتُهُ دونَ سِواهُ ، ولَيْسَ بَعْدَ الحَقِّ مِنْ توحيدِ اللهِ تَعالى وعِبادَتِهِ إلاّ الوُقوعُ في الضَّلالِ ، وهُوَ الإشْراكُ باللهِ تَعالى وعِبادةُ غَيْرِهِ ، فكيفَ تَنْصرِفونَ أيُّها النّاسُ عنِ الحَقِّ إلى الباطِلِ ؟

وبعدَ هذا بَيّنَ اللهُ سُبْحانَهُ سُنَّتَهُ الّتي لا تَتخلَّفُ ولا تَتبدَّلُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

مِثْلَ ما ثَبَتَ أنَّ اللهَ تَعالى هو الرَّبُّ الحَقُّ ، وأنَّهُ ليسَ بعدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلالُ ، ثَبَتَ أيضاً الحُكْمُ والقضاءُ مِنهُ تَعالى عَلى الَّذينَ فَسَقوا عنْ أمْرِهِ ، وعَموا وصَمّوا عَنِ الحقِّ أنَّهمْ لا يُؤْمِنونَ بهِ ، لأنَّهم إنْ يَرَوْا سبيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذونَهُ سَبيلاً ، وإنْ يَرَوْا سَبيلَ الغَيِّ يَتَّخذونَهُ سَبيلاً ، هَكذا شأْنُهُمْ ، وهكذا دَيْدَنُهُمْ ، فكيفَ يُوفَّقونَ لطاعةِ اللهِ تَعالى وعِبادَتِهِ ؟

ثُمَّ ساقَ اللهُ تَعالى لَنا في هذهِ السّورَةِ أدِلَّةً أُخرى عَلى وَحدانيَّتِهِ وقُدْرتِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

قلْ أيُّها الرَّسولُ لهؤلاءِ المُشركينَ : هلْ مِنْ مَعبوداتِكُمْ الّتي جَعلتُموها شُركاءَ للهِ تَعالى مَنْ يَستطيعُ أنْ يُنْشِئَ الخَلْقَ ابتداءً ، ثُمَّ يُعيدُهُ بعدَ فَنائِهِ ؟ إنَّهْم سَيعجَزونَ عنِ الجوابِ! فقُلْ لهمْ حينئذٍ : اللهُ تَعالى وَحْدَهُ هُوَ الّذي يُنْشِىءُ الخَلْقَ مِنْ عَدَمٍ ثُمَّ يُعيدُهُ بَعْدَ فنائِهِ ، فكيْفَ تَنْصَرِفونَ عنِ الإيمانِ بهِ ؟

وجَعَلَ اللهُ تَعالى إعادةَ المَخلوقاتِ بَعْدَ مَوْتِها حُجَّةً عَليْهِمْ في التَّدليلِ عَلى قُدرَتِهِ ، مَعَ عدمِ اعْترافِهِمْ بهذهِ الإعادةِ ، للإيذانِ بِسُطوعِ أدلَّتِها وَوُضوحِها ، ذلكَ أنَّ القادرَ عَلى البَدْءِ يكونُ أَقْدَرَ عَلى الإعادةِ ، كما قالَ تَعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ [الروم : ٢٧] .

ثُمَّ ساقَ اللهُ تَعالى دَليلاً آخرَ عَلى وَحدانيَّتِهِ وقُدرتِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

قلْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ لهؤلاءِ المُشرِكينَ : هلْ مِنْ مَعبوداتِكُمُ الّتي جَعَلْتُموها شُركاءَ للهِ تَعالى مَنْ يَستطيعُ التَّمييزَ بينَ الهُدى والضَّلالِ ، فَيُرْشِدُ سِواهُ إلى الدِّينِ الحَقِّ ، فَيُنْزِلَ كِتاباً أو يُرْسِلَ رسولاً ، أو يُشَرِّعَ شريعةً ، أو يَضَعَ نِظاماً دَقيقاً لهذا الكَوْنِ ، أو يَحُثَّ العقولَ على التَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ في السَّمواتِ والأرضِ ؟ فَسَيَعْجَزونَ عنِ الإجابةِ! فقلْ لهُمْ : هلِ القادرُ على الهدايةِ إلى الحَقِّ أَوْلى بالاتِّباعِ والعِبادةِ أمِ الّذي لا يَستطيعُ أنْ يَهتدِيَ بنفسِهِ ؟ وهو بالأوْلى لا يَهدي غَيْرَهُ ، إلاّ إذا هَداهُ غَيرُهُ ؟ كرؤوسِ الكُفْرِ ، والأحْبارِ ، والرُّهبانِ الَّذينَ اتَّخذتُموهُمْ أرْباباً مِنْ دونَ اللهِ تَعالى ، فما الّذي جَعَلَكُمْ تَنْحَرِفونَ حتّى أَشْرَكْتُمْ هؤلاءِ مَعَ اللهِ تَعالى ؟ وما هذهِ الحالُ العَجيبةُ الّتي تُجْبِرُكُمْ على تلكَ الأَحْكامِ الغَريبةِ ؟

ثُمَّ وبَّخَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ المُشركينَ بما هُمْ أَهْلُهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

وما يَتّبعُ أكْثَرُ المُشركينَ في مُعتقداتِهِمْ إلاّ ظُنوناً باطِلَةً وأَوْهاماً كاذِبَةً لا دَليلَ عَليْها ، والظَّنُّ ـ على وجهِ العُمومِ ـ لا يُفيدُ ، ولا يُغْني عَنِ العِلْمِ الحَقِّ أيَّ غَناءٍ ، ولا سيّما إذا كانَ ظَنّاً وهْمِيّاً كظَنِّ هؤلاءِ المُشركينَ ، وإنَّ اللهَ تَعالى عليمٌ بما يَفعلُهُ رُؤساءُ الكُفْرِ وأَتْباعُهُمُ الّذينَ يُقلِّدونَهُمْ ، وسَيُجازيهِمْ على ذلكَ .

وخَصَّ أكثرَهُمْ بالذِّكْرِ ، إمّا لأنَّ هناكَ قِلَّةً منهمْ يَعرِفونَ الحَقَّ كَما يَعرِفونَ أبناءَهُمْ ، لكنَّهُمْ لا يَتّبعونَهُ عِناداً وجُحوداً وحَسَدا ، كما قالَ تَعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٣٣] ، أو للإشارةِ إلى أنَّ قِلَّةً مِنهمْ تَعْرِفُ الحَقَّ وسَتَتْبَعُهُ في الوقتِ الّذي يُريدُهُ اللهُ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الحقُّ والضَّلالُ نَقيضانِ لا يَجْتَمِعانِ .

٢ـ طريقةُ السّؤالِ والجَوابِ في عَرْضِ الأدلَّةِ نافعةٌ ومُفيدَةٌ .

٣ـ الآياتُ والأدلَّةُ عَلى وَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى واضِحَةٌ وكَثيرةٌ .

٤ـ المُشرِكونَ يُقِرّونَ بِقُدْرَةِ اللهِ تَعالى لكنَّهُمْ يَتعالَوْنَ عنِ الحَقِّ ، ويَتبَّعونَ الظَّنَّ .

٥ـ مَنْ لا يَمْلِكُ الهِدايَةَ لنفسهِ لا يَمْلِكُها للآخرينَ ، واللهُ وحْدَهُ الهادي إلى سواءِ السَّبيلِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

أنَّى تُصرَفونَ ، حقَّتْ كلمةُ ربِّكَ ، أنّى تُؤْفكونَ ، لا يَهِدِّي .

٢ـ بَسَطَ اللهُ تَعالى مِنَ الأدِلَّةِ عَلى وَحدانيَّتِهِ في هذهِ الآياتِ سَبْعاً ، اذْكُرْها ، واذْكُرْ دَليلَها مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمَةُ ما الّذي دَفَعَ المُشرِكينَ إلى ما هُمْ فيهِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ ما قيمةُ الظَّنِّ أمامَ الحَقِّ ؟

٥ـ اخترْ مِنْ آياتِ الدّرْسِ الكَلِمةَ المُناسِبَةَ لكلٍّ مِنَ الفَراغاتِ التّاليةِ :

أـ فَسَيقولونَ اللهُ فقلْ أفلا ....

ب ـ قلِ اللهُ يَبدأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ فأنّى ....

ج ـ فماذا بَعْدَ الحَقِّ إلاّ الضَّلالُ فأنَّى ....

نَشاطٌ :

ـ ارْجِعْ إلى أحدِ كُتبِ عِلْمِ التَّجويدِ أو كُتبِ التّفسيرِ ، وبيِّنْ مَعنى كلمةِ : يهدِّي ، وأصْلَ تَركيبِها ، وما طرأَ عَليْها .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ العاشِرُ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ أَن يُفۡتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ
فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ
ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن
قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ
بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ
أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوۡ كَانُواْ لَا
يَعۡقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَفْتَري : يَدَّعي كَذِباً أنَّهُ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى .

تَصديقَ الَّذي بينَ يديهِ : مُصدِّقاً لِما جاءَ قَبْلَهُ مِنَ الكُتبِ .

تَفصيلَ الكِتابِ : بيانَ الأحكامِ الشَّرْعيَّةِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ساقتِ السّورَةُ الكَريمةُ أَلْواناً مِنَ البَراهينِ الدّالَّةِ على وَحْدانيَّةِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ ، وعلى صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ فيما يُبلِّغُهُ عَنْ ربِّهِ ، وعلى أنَّ هذا القرآنَ الكَريمَ مِنْ عندِ اللهِ تعالى ، عادتِ السّورَةُ الكَريمَةُ للحديثِ عَنِ القُرْآنِ الكَريمِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

ما كانَ يَتأتّى في هذا القُرْآنِ أنْ يَفتريَهُ أحَدٌ مِنَ النّاسِ ، ويَدَّعي كَذِباً أنّهُ مِنْ عندِ اللهِ ، لأنّهُ في إعجازِهِ وهِدايَتِهِ وإحْكامِهِ لا يُمْكِنُ أنْ يكونَ مِنْ عندِ غيرِ اللهِ تَعالى ، فهو حَقّاً مِنْ عندِ اللهِ جاءَ مُصَدِّقاً لِما سَبَقَهُ مِنَ الكُتُبِ السَّماويَّةِ فيما جاءتْ بهِ مِنَ الحَقِّ ، ومُوَضِّحاً لِما كَتَبَ وَأَثْبَتَ مِنَ الحَقائِقِ والشَّرائِعِ ، ولا شَكَّ في أنَّ هذا القرآنَ مُنَزَّلٌ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى وأنّهُ مُعْجِزٌ لا يَقْدِرُ أحدٌ على مِثْلِهِ .

وبهذا نَرى أنَّ الآيةَ الكَريمةَ وصَفتِ القُرْآنَ الكَريمَ بِصِفاتٍ خَمْسٍ ، وهِيَ :

أوّلاً : لا يَصِحُّ أنْ يُفْتَرى هذا القرآنُ ويُنْسبَ إلى غيرِ اللهِ تَعالى .

ثانياً : مُصدِّقٌ لِما قَبْلَهُ مِنَ الكُتبِ السّماويَّةِ .

ثالثاً : مُفَصِّلٌ لِتعاليمِ الشَّريعةِ الإلهيَّةِ ومُبَيِّنٌ لأحْكامِها .

رابعاً : ذلكَ الكتابُ لا رَيْبَ فيهِ .

خامساً : هو مِنْ عندِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ بَيّنَ اللهُ تَعالى مَزاعِمَ المُشرِكينَ حوْلَ القُرآنِ الكَريمِ ، وردَّ عليْهِمْ مُتحدِّياً ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

بلْ يقولُ هؤلاءِ المُشْرِكونَ : اخْتَلَقَ محمَّدٌ ﷺ هذا القرآنَ مِنْ عندِهِ ، فأَمَرَ اللهُ تَعالى نَبِيَّهُ ﷺ أنْ يَقولَ لَهُمْ عَلى سبيلِ التَّبكيتِ والتَّحدّي : إنْ كانَ الأمْرُ كما زَعَمْتُمْ مِنْ أنّي أنا الّذي اخْتَلَقْتُ هذا القرآنَ ، فَأْتوا أنتُمْ يا فُصَحاءَ العَرَبِ بسورةٍ مثلِهِ في البَلاغةِ والهِدايةِ وقُوَّةِ التَّأْثيرِ ، وقدْ أَبَحْتُ لكُمْ معَ ذلِكَ أنْ تَدعوا لِمُعاوَنَتِكُمْ ومُساعَدَتِكُمْ في بُلوغِ غايَتِكُمْ كلَّ مَنْ تَستطيعونَ دَعوَتَهُ سِوى اللهِ تَعالى .

وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ قدْ تَحدَّتِ العَرَبَ وأثارَتْ حَماسَتَهُمْ ، وأرْخَتْ لهُمُ الحَبْلَ ، وعرّضتْ بِعَدَمِ صِدْقِهِمْ ، حتّى تَتوفَّرَ دواعيهِمْ عَلى المُعارَضَةِ الّتي زَعَموا أنَّهُمْ أهلٌ لَها .

ثُمَّ انتقلتِ السّورةُ الكَريمَةُ مِنْ تَوْبيخِهِمْ عَلى كَذِبِهِمْ وجُحودِهِمْ ، إلى تَوْبيخِهِمْ عَلى جَهْلِهِمْ وغَبائِهِمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

بلْ سارَعَ هؤلاءِ المُشرِكونَ إلى تَكذيبِ القُرآنِ الكَريمِ مِنْ غيرِ أنْ يَتدبَّروا ، ويَعلَموا ما فيهِ ، فلمْ يَنظُروا فيهِ بأنفُسِهِمْ ، ولم يَقِفوا عَلى تَفسيرِهِ وبَيانِ أحْكامِهِ بالرُّجوعِ إلى غَيْرِهِمْ ، وبِمثْلِ هذهِ الطَّريقةِ

في التَّكذيبِ مِنْ غيرِ عِلْمٍ كَذَّبَ الكافِرونَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقةِ رُسُلَهُمْ وكُتُبَهُمْ ، فانْظُرْ أيُّها الإنْسانُ ما آلَ إليهِ أمْرُ المُكذِّبينَ السّابقينَ مِنْ خُذلانِهِمْ وهَلاكِهِمْ بالعذابِ ، وهذهِ سُنَّةُ اللهِ تَعالى في أمثالِهِمْ .

ثُمَّ فصَّلَ اللهُ تَعالى أحوالَهُم ومَواقِفَهُمْ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

ومِنْ هؤلاءِ الَّذينَ بُعِثْتَ إليْهِمْ يا مُحمَّدُ ﷺ مَنْ يُؤمِنُ بهذا القُرآنِ ، ويَتَّبِعُكَ ويَنْتَفِعُ بما أُرْسِلْتَ بهِ ، ومِنهُمْ مَنْ لا يُؤمِنُ بهِ أبَداً لاسْتحبابِهِمْ العَمى عَلى الهُدى .

ومَعنى قولِهِ تَعالى : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أيْ : وربُّكَ أعلمُ بهؤلاءِ الَّذينَ أفْسَدوا في الأرضِ بالشِّرْكِ والظُّلْمِ والفُجورِ ، وسَيُحاسِبُهُمْ عَلى ذلِكَ يومَ الدّينِ حِساباً عَسيراً . فالآيَةُ تهديدٌ ووعيدٌ . ثُمَّ طَمْأنَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بالبَراءَةِ مِنَ الشِّرْكِ والمُشركينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾

وإنْ أصَرّوا عَلى تَكذيبِكَ أيُّها الرَّسولُ ﷺ بَعْدَ وُضوحِ الأدِلَّةِ عَلى نُبُوَّتِكَ ، فقلْ لَهُمْ : إنَّ لي جزاءَ عَمَلي ، ولكُمْ جزاءُ عَمَلِكُمْ كَيْفَما كانَ ، وإنّي مُسْتَمِرٌّ في دَعوَتي ، وأنْتُمْ لا تُؤاخَذونَ بِعَمَلي ، وأنا لا أُؤاخَذُ بِعَمَلِكُمْ ، فافْعَلوا ما شِئتُمْ ، وسُيجازي اللهُ تَعالى كُلاًّ بما كسَبَ .

وهذهِ الآيَةُ الكَريمةُ تَسليةٌ للرَّسولِ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ قومِهِ ، وإعلامٌ لَهُ بأنَّ وظيفَتَهُ البَلاغُ ، أمّا حسابُ أعْمالِهِمْ فَعلى اللهِ تَعالى . ثُمَّ صَوَّرَ اللهُ تَعالى ما عليهِ أولئِكَ الجاحِدونَ مِنْ جَهالاتٍ وغَباءٍ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

ومِنْ هؤلاءِ المُشْركينَ يا مُحمّدُ ﷺ مَنْ يَستمِعونَ إليْكَ ، وأنْتَ تَقرأُ عليْهِمُ القرآنَ ، وتُرْشِدُهُمْ إلى ما يَنفعُهُمْ ، ولكنَّهُمْ يَستمِعونَ بلا تَدبُّرٍ أو فَهْمٍ ، فهلْ أنتَ يا محمَّدُ ﷺ في إمكانِكَ أنْ تُسْمِعَ الصُّمَّ ، ولوِ انضمَّ إلى صَمَمِهِمْ عدمُ تَعقُّلِهِمْ ؟ فإنَّ الأصَمَّ العاقِلَ ربَّما تَفرَّسَ واسْتَدلَّ إذا وقَعَ في صَماخِهِ دويُّ الصَّوْتِ ، فإذا اجْتَمَعَ سَلْبُ السَّمْعِ والعَقْلِ جميعاً فقدْ تَمَّ الأمْرُ .

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

ومِنْ هؤلاءِ المُشركينَ يا مُحمَّدُ ﷺ مَنْ يَنظُرُ إليْكَ ، ويُشاهِدُ البَراهينَ الدّالّةَ على صِدْقِكَ ، فإنَّ وجْهَكَ ليسَ بوجهِ كَذّابٍ ، ولكنَّهُ لا يَتَّبِعُ دَعوتَكَ جُحوداً وعِناداً ، فهلْ أنْتَ في إمْكانِكَ أنْ تَهدِيَ العُمْيَ ولوِ انضمَّ إلى فُقْدانِ بَصَرِهِمْ فُقدانُ بَصيرَتِهِمْ .

وفي هاتَيْنِ الآيتَيْنِ نَعى اللهُ على المُشرِكينَ جَهالاتِهِمْ ، وانْطِماسَ بَصائِرِهِمْ ، بحيثُ صاروا لا يَنتفِعونَ بِنِعَمِ اللهِ تَعالى الّتي أنعمَ بِها عَلَيْهِمْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ القرآنُ الكَريمُ مُعجزةُ الرّسولِ ﷺ ، وكلامُ اللهِ تعالى الّذي لا يَستطيعُ أحدٌ أنْ يَأْتي بِمِثْلِهِ .

٢ـ عَجْزُ العَرَبِ عنِ الإتْيانِ بِمِثْلِ القُرْآنِ الكَريمِ دَليلُ صِدْقِ الرّسولِ ﷺ .

٣ـ الظّالمونَ هُمُ الّذينَ افْتَرَوْا عَلى اللهِ تَعالى الأكاذيبَ .

٤ـ ليسَ عَلى الرّسولِ ﷺ إلاّ البَلاغُ ، ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخْرى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتَّراكيبِ التّاليةِ :

يَفْتَري ، تَصديقَ الّذي بينَ يديهِ ، تَفصيلَ الكِتابِ .

٢ـ وَصَفَ اللهُ تَعالى القرآنَ الكَريمَ بأوصافٍ ، بيِّنْها معَ ذِكْرِ الدَّليلِ عَلى ما تَقولُ .

٣ـ علامَ يدلُّ عَجْزُ العَرَبِ عنْ أنْ يَأْتوا بِمِثْلِ القُرآنِ الكَريمِ ؟

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ وجْهَ الشَّبَهِ بَيْنَ مُشركي العَرَبِ ومَنْ سَبَقَهُمْ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ ما الدَّليلُ عَلى أنَّ العرَبَ في دَواخِلِهِمْ كانوا مُصَدِّقينَ بِنُبُوَّةِ النَّبيِّ ﷺ ؟

٦ـ امْلأ الفراغَ بالكلمةِ القُرآنيةِ المُناسبةِ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ فيما يَلي :

أـ وما كانَ هذا القرآنُ أنْ (   ) مِنْ دونِ اللهِ .

ب ـ قلْ فأتوا بِسورَةٍ (   ) .

ج ـ أفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ ولو كانوا لا (   ) .

دـ أفَأَنتَ تَهْدي العُمْيَ ولو كانوا لا (   ) .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفترِكَ آيةَ سورةِ البَقرةِ الدّالّةَ عَلى التّحدّي .

الدَّرْسُ الحادي عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الحادي عَشَرَ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا
سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ
بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ
فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا
يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَتعارَفونَ بَيْنَهُمْ : يَتَعرَّفُ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ .

بَعْضَ الّذي نَعِدُهُمْ : العَذابَ الّذي وُعِدوهُ .

بالقِسْطِ : بالعَدْلِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ السّورَةُ الكَريمةُ أَحْوالَ المُشرِكينَ في الدُّنْيا ، ومَواقِفَهُمْ مِنْ دَعوةِ الحَقِّ أَتْبَعَتْ ذلِكَ بالحديثِ عَنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى فيهِمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

إنَّ اللهَ تَعالى قدِ اقْتَضَتْ سُنَّتُهُ في خَلْقِهِ ، وحِكْمَتُهُ وإرادَتُهُ أنْ لا يَظْلِمَهُمْ شيئاً ، كَأَنْ يُعذِّبَهُمْ مَثَلاً مَعَ إيمانِهِمْ وطاعَتِهِمْ لهُ ، أو يُنْقِصَهُمْ شيئاً مِنَ الأسبابِ التّي يَهْتَدونَ باسْتِعمالِها إلى ما فيهِ خَيرُهُمْ ، ولكنَّ النّاسَ همُ الّذينَ يَظْلِمونَ أنفُسَهُمْ بإيرادِها مَوارِدَ المَهالِكِ عَنْ طَريقِ اجْتراحِ السَّيئاتِ ،

واقْتِرافِ الموبِقاتِ ، الموجِبَةِ للعُقوباتِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

ثُمَّ وجَّهَ اللهُ تَعالى إلَيْهِمُ الإنذارَ بالحَشْرِ يومَ القِيامَةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

وأنْذِرْهُمْ أَيُّها الرَّسولُ ﷺ يومَ نَجمَعُهُمْ للحساب فَيَتحقَّقونَ مَجيءَ اليوم الآخِرِ بَعْدَ أنْ كانوا يُكَذِّبونَ بهِ ، ويتذَّكرونَ حياتَهُمْ في الدُّنْيا كأنَّها ساعةٌ مِنَ النَّهارِ لَمْ تَتَّسِعْ لِما كانَ يَنْبَغي مِنْ عَمَلِ الخَيْرِ ، ويَعرِفُ بَعضُهُمْ بَعْضاً ، ويَأْخُذونَ يَتلاوَمونَ عَلى ما كانوا عليهِ مِنَ الكُفْرِ والضَّلالِ ، وقدْ خَسِرَ المُكَذِّبونَ باليومِ الآخِرِ ، فلمْ يُقَدِّموا في دُنْياهُمْ عَمَلاً صالِحاً ، ولم يَظْفَروا بِنعيمِ الآخِرَةِ بكُفْرِهِمْ .

والمَقصودُ بهذا التَّشبيهِ ، بيانُ أنَّ هذهِ السَّنواتِ الطَّويلةَ الّتي قَضاها هؤلاءِ المُشرِكونَ في الدُّنْيا يَتمتَّعونَ باللَّهْوِ واللَّعِبِ ، ويَستبعِدونَ أنَّ هناكَ بَعْثاً وحِساباً ، قدْ زالَتْ عنْ ذاكرتِهِمْ في يوم القيامةِ ، حتّى لَكأنَّهُمْ لَمْ يَمْكُثوا فيها سِوى وقتٍ قَصيرٍ ، لا يَتَّسِعُ لأكثرَ مِنَ التَّعارُفِ القليلِ معَ الأقاربِ والجيرانِ والأَصْدقاءِ ، حتّى لَكأنَّ ذلكَ النَّعيمَ الّذي تَقَلّبوا فيهِ دَهْراً طَويلاً لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ . ومِثْلُ هذهِ الآيةِ الكَريمةِ قولُهُ تَعالى : ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ . [الأحقاف : ٣٥] .

ثُمَّ سلّى اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ عمّا وَقَعَ منهُمْ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

إنّ هؤلاءِ المُشرِكينَ الّذينَ عادَوْكَ أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ لا يَخْفى عَلَيْنا أمرُهُمْ ، ونحنُ إمّا نُرِيَنَّكَ بِبَصرِكَ فتُشاهِدَ بعضَ الّذي نَعِدُهُمْ مِنَ العذابِ الدُّنيويِّ ، وإمَّا نَتوفَيَنَّكَ قبلَ ذلِكَ ، وفي كِلتا الحالتيْنِ فإنَّ مصيرَهُمْ بِأَيْدينا ، ومَرجِعُهُمْ إليْنا وحْدَنا في الآخِرَةِ ، فَنُعاقِبُهُمُ العُقوبَةَ الّتي يَسْتَحقّونَها .

وقدْ أنجزَ اللهُ تَعالى وعْدَهُ لنبيِّهِ ﷺ ، فَسلَّطَ عَلى المُشرِكينَ القَحْطَ والمَجاعَةَ ، حتّى كانوا لِشدَّةِ جوعِهِمْ يَروْنَ كأنَّ بينَهُمْ وبينَ السَّماءِ دُخاناً ، ونَصَرَ اللهُ تَعالى المُسلِمينَ عَلَيْهِمْ في غَزْوَتي بَدْرٍ ويومَ الفَتْحِ ، وكلُّ ذلكَ حَدَثَ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ مِنْ مَظاهِرِ رَحمتِهِ بعبادِهِ أنْ جَعَلَ لكلِّ أُمَّةٍ رَسولاً يَهديها إلى الحَقِّ وإلى الطَّريقِ المُستقيمِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

إنَّه سُبْحانَهُ وتَعالى اقْتَضتْ حِكْمَتُهُ أنْ يَجعلَ لكلِّ جماعةٍ مِنَ النّاسِ رَسولاً يُبلِّغُهُمْ ما أمَرَهُ اللهُ تَعالى بتبليغِهِ ، ويشهدُ عليْهِمْ بذلك يومَ القيامةِ ، فإذا جاءَ رسولُهُمْ وشَهِدَ عَليْهِمْ بأنَّهُ قدْ بَلَّغَهُمْ ما أمَرَهُ اللهُ تَعالى بهِ ، قَضى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ بالعَدْلِ ، فحَكَمَ بِنَجاةِ المُؤْمنينَ وبِعُقوبةِ الكافِرينَ ، ولا يظلمُ ربُّكَ أحَداً .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى شِدَّةَ عِنادِهِمْ وجُحودِهِمْ ، وأنَّهُمْ بَعْدَ كلِّ هذهِ الآياتِ لَمْ يُؤمِنوا ولَمْ يُصَدِّقوا ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾

ويُمْعِنُ الَّذينَ كَفروا في التَّكذيبِ باليومِ الآخِرِ ، فَيَسْتَعجلونَهُ مُتهكِّمينَ ، ويَقولونَ متى هذا الّذي تَعِدُنا بهِ مِنَ العذابِ الأليمِ الّذي تُهدِّدُنا بهِ ؟ إنّنا نَتعجَّلُهُ ، فَأْتِ بهِ إنْ كنتَ أنتَ وأصْحابُكَ مِنَ الصّادِقينَ في دَعواكُمْ أنَّ هناكَ عذاباً يَنتظِرُنا .

وبعدَ هذا ، أمَرَ اللهُ تَعالى رسولَهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ عَليْهِمْ ، ويُسْكِتَ أفواهَهُمُ الّتي ما فَتِئَتْ تَتكلَّمُ إلاّ بالجَدَلِ العَقيمِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

قلْ يا محمّدُ ﷺ لِهؤلاءِ الجاهِلينَ المُتَعجِّلينَ لِلْعَذابِ : إنَّني لا أمْلِكُ لِنَفْسي شَيْئاً مِنَ الضُّرِّ فأدفَعُهُ عنها ، ولا شيئاً مِنَ النَّفعِ فأجْلِبُهُ لها ، لكنَّ الّذي يَمْلِكُ ذلكَ هُوَ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ ، فهوَ سُبْحانَهُ الّذي يَملِكُ أنْ يُنزِلَ العذابَ في أيِّ وقتٍ يشاءُ ، فَلِماذا تَطلُبونَ منّي ما ليسَ في قُدْرَتي ، إنّ لكلِّ أمّةٍ مِنَ الأُممِ أجَلاً قدَّرهُ اللهُ تَعالى لانْتِهاءِ حياتِها ، فإذا حانَ وقتُ هذا الأجَلِ ، هَلَكتْ في الحالِ دونَ أنْ تَتقدَّمَ عَلى الوقتِ المُحدَّدِ لوقْتِها ساعةً أو تتأخَّرَ ساعةً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِد الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ ـ العَدْلُ كلُّهُ إلى اللهِ تَعالى ، ولا يَظلِمُ ربُّكَ أحَداً .

٢ ـ الظُّلْمُ إنّما يَقعُ مِنَ النّاسِ بعضِهِمْ لبعضٍ .

٣ـ عندَ قيامِ السّاعةِ تَحِلُّ بالكافِرينَ النَّدامةُ ، ويَنْسى الكافِرُ أيّامَ دُنْياهُ .

٤ـ اللهُ تَعالى لا يُضيعُ شيئاً ولا تَخْفى عليهِ خافِيَةٌ .

٥ـ لا يُعذِّبُ اللهُ تَعالى أُمَّةً دونَ أنْ يُرسِلَ إليْها رسولاً .

٦ـ اسْتِعجالُ الكافِرينَ بالعذابِ دليلٌ عَلى جَهْلِهِمْ وَفسادِ عُقولِهِمْ .

٧ـ آجالُ الأُمَمِ مُحدَّدَةٌ ومُقَدَّرَةٌ لا يَتقدَّمونَ عنْها ولا يَتأخَّرونَ ، فلا تَهْلِكُ أُمَّةٌ قبلَ حُلولِ أجَلِها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَتعارَفونَ بَيْنَهُمْ ، بَعْضَ الّذي نَعِدُهُمْ ، بالقِسْطِ .

٢ـ ماذا تفهمُ مِنَ الآياتِ التّاليةِ :

أـ إنّ اللهَ لا يَظلِمُ النّاسَ شَيْئاً .

ب ـ ويومَ يَحشرُهُم كَأَنْ لَمْ يَلْبَثوا إلاّ ساعةً .

ج ـ ولكلِّ أمةٍ رسولٌ .

دـ وَيَقولونَ متى هذا الوَعْدُ .

٣ـ تَحقَّقَ وعْدُ اللهِ تَعالى لِنبيِّهِ ﷺ في قولِهِ : ﴿نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ الأمْرَ كُلَّهُ بيدِ اللهِ تَعالى ، وضِّحْ ذلِكَ ذاكِراً دليلَهُ .

٥ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ حَماقةَ الجاهِلينَ في اسْتِعجالِ عذابِ اللهِ تَعالى ، بَيِّنْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أسماءَ خمسةٍ مِنَ الرُّسُلِ والأقوامِ الَّذينَ بُعِثَ إليْهِمْ كلٌّ مِنهُمْ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّاني عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ - القِسْمُ الثّاني عَشَرَ

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم
بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا
بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم
بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟
ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ
إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أرَأَيْتُمْ : أَخْبروني .

بَياتاً : لَيْلاً .

يَستنبِئونَكَ : يَطْلُبونَ مِنْكَ الأخْبارَ المُهِمَّةَ .

أسَرّوا النَّدامَةَ : أخْفَوْها حينَ رأوْا مُقدِّماتِ العذابِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ سُنَّةِ اللهِ تَعالى في الَّذينَ ظَلَموا ، بَيّنتِ السّورةُ الكَريمةُ شَيْئاً مِنَ الحُجَجِ الّتي قابَلَ بِها رَسولُ اللهِ ﷺ اسْتِهْزاءَ المُشْرِكينَ وتَقَوُّلَهُمْ عَلى اللهِ تَعالى ما لا يَعلمونَ ، قالَ تَعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

أخْبِروني أَيُّها الحَمْقى الجاهِلونَ : أيُّ دافعٍ جعلَكُمْ تتعجّلونَ نُزولَ العذابِ ؟ إنَّ وُقوعَ العذابِ

سواءٌ أكانَ بالّليلِ أمْ النّهارِ لا يُمكِنُ دفْعُهُ ، ولا يُمكِنُ أنْ يَتعجَّلَهُ عاقِلٌ ، لأنّهُ كلُّهُ مكروهٌ مُرُّ المَذاقِ ، موجبٌ للنِّفارِ والخَوْفِ منهُ ، فكيفَ ساغَ لكُمْ أيُّها الجاهِلونَ أنْ تَستعجِلوا نُزولَ شيءٍ فيهِ هَلاكُكُمْ ومَضرَّتُكُمْ ؟

وهذهِ الآيةُ توبيخٌ لِلمُشْرِكينَ عَلى اسْتِعجالِهِمْ وُقوعَ شيءٍ مِنْ شَأْنِ العُقَلاءِ أنْ يَرْجوا عدَمَ وُقوعِهِ ، وفي قولِهِ تعالى : ﴿ مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ استْفهامٌ يُفيدُ : التّهويلَ والتّعظيمَ ، أي : ما أعظمَ ما يَستعجِلونَ بهِ ؟

ثُمَّ وبّخَ اللهُ تَعالى المُشرِكينَ الّذينَ سَيوقِنونَ بالعذابِ حينَ يُشاهِدونَهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

إنّكم أيُّها الجاهِلونَ لَسْتُمْ بصادِقينَ فيما تَطلبونَ ، لأنّكُمْ قبلَ وُقوعِ العَذابِ تَتعجّلونَ وُقوعَهُ ، فإذا ما وَقعَ وشاهدْتُمْ أهوالَهُ وذُقْتُم مَرارتَهُ آمنتُمْ بأنّهُ حَقٌّ ، وتحوّلَ اسْتِهزاؤُكُم إلى تصديقٍ وإذعانٍ وتحسُّرٍ ، ثُمَّ يُقالَ لَهُمْ عند ذلكَ : الآنَ آمنتُمْ بهِ ؟ معَ أنّكُمْ كنتمْ قبلَ ذلكَ تَستهزِءونَ بهِ وتَقولونَ للرّسولِ ﷺ ولِمَنِ اتّبعَهُ : متى هذا الوعدُ إنْ كنتُمْ صادِقينَ ؟ ألاَ فاعْلَموا أنَّ إيمانَكُمْ في هذا الوقتِ غيرُ مقبولٍ ، ولا نافعٍ ، لأنّهُ جاءَ في غيرِ أوانِهِ ، وصدقَ اللهُ العظيمُ إذ يقولُ : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [غافر ٨٤-٨٥] .

ثُمَّ زادَ اللهُ تَعالى في تَأْنيبِهِم بما يُؤكِّدُ تَوبيخَهُمْ وأنّهُمْ على ضَلالٍ مُبينٍ ، فقالَ تَعالى :

﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

ثُمَّ يُقالُ يومَ القيامةِ للّذينَ ظَلَموا أنفسَهُمْ بإصْرارِهِمْ عَلى الكُفْرِ واقْترافِ المُنْكَراتِ : ذوقوا العذابَ الباقي الدّائِمَ ، فإنّكمْ لا تُجزَوْنَ الآنَ إلاّ عَلى أعمالِكُمُ الّتي كَسبْتُموها في الدُّنْيا مِنْ كُفْرٍ بالحَقِّ ، وإيذاءٍ للدُّعاةِ إليهِ ، وتَكذيبٍ بوَحْيِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ بَيّنَ اللهُ تعالى أيضاً شَيْئاً مِنَ اسْتِهزائِهِمْ بالنَّبيِّ ﷺ عنْ طريقِ بَعْضِ ما كانوا يَطلبونَهُ ويَسألونَ النَّبيَّ ﷺ ، قالَ تعالى :

﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

إنّ هؤلاءِ الكافِرينَ يَطلبونَ منكَ أيُّها الرّسولُ ﷺ عَلى سبيلِ التّهكُّمِ والاسْتِهزاءِ ، أنْ تُخبرَهُمْ عنْ هذا العذابِ الّذي تَوعَّدتَهُمْ بهِ ، أهوَ واقعٌ بهمْ على سبيلِ الحَقيقةِ ، أمْ هو غيرُ واقعٍ وتُحدِّثُهُمْ عنهُ عَلى سبيلِ الإرْهابِ والتّهديدِ ؟ ثُمَّ أرشدَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ للرَّدِّ عَلَيْهِم بقولِهِ : قلْ لَهُمْ : نَعمْ وحَقِّ ربّي ، إنَّ العذابَ الّذي أخْبَرْتُكُمْ عنهُ لا مَحيصَ لكمْ عنهُ ، ولا مَهْرَبَ لكُمْ مِنْهُ ، وما أنتُمْ

بِمُعجزي اللهِ تَعالى إذا أرادَ أنْ يُنزِلَهُ بكمْ في أيِّ وقتٍ يُريدُهُ ، بلْ أنتُمْ في قَبضتِهِ وتحتَ سُلطانِهِ ومُلْكِهِ ، فاتَّقوا اللهَ تَعالى ، بأنْ تُخلِصوا لهُ العبادَةَ ، وتَتَّبِعوا رَسولَهُ ﷺ فيما جاءَكُمْ بِهِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهُمْ لنْ يَسْتَطيعوا افْتِداءَ أنْفُسِهِمْ مِنَ العَذابِ عندَ وُقوعِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

ولَوْ أنَّ كُلَّ ما في الأرضِ مَمْلوكٌ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ بارتكابِ الشِّرْكِ والجُحودِ ، لارْتَضَتْ سَريعاً أنْ تُقدِّمَهُ فِداءً لِما تَستقبلُهُ مِنْ عذابٍ تَراهُ يومَ القيامةِ وتُعاينُ هَوْلَهُ ، وحينئذٍ يَتردَّدُ النَّدَمُ والحَسْرَةُ في سرائِرِهِمْ لِعجْزِهِمْ عنِ النُّطْقِ بهِ ، ولِشدّةِ ما دَهاهُمْ مِنَ الفَزَعِ لِرؤيةِ ذلكَ العذابِ ، ونَفَذَ فيهِمْ قَضاءُ اللهِ تَعالى بالعَدْلِ وهُمْ غيرُ مَظلومينَ في هذا الجَزاءِ ، لأنَّهُ نَتيجةُ ما قدَّموا في الدُّنْيا .

ثُمَّ ساقَ اللهُ تَعالى بعضَ ما يَدُلُّ عَلى كَمالِ قُدرَتِهِ وعَظيمِ مُلْكِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

لِيَعْلَمِ النّاسُ أنَّ للهِ تَعالى وحْدَهُ لا لِغيرِهِ ، مُلْكُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ مِنْ مَخلوقاتٍ ، وهو سُبْحانَهُ يَتصرَّفُ فيها وِفْقَ إرادَتِهِ وَمَشيئتِهِ مِثْلَما يَتصرَّفُ المالِكُ فيما يَمْلِكُهُ ، فهو يُعطي مَنْ يشاءُ ، ويغفِرُ لِمَنْ يشاءُ ، ويتوبُ عَلى مَنْ يشاءُ : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . ولِيَعْلَمِ النّاسُ كذلكَ أنَّ وعْدَ اللهِ تَعالى حَقٌّ ، فلا يُعجِزُهُ شيءٌ ، ولا يَفْلِتُ مِنْ جزائِهِ أحَدٌ ، ولكنَّهُمْ قدْ غرَّتْهُمُ الحياةُ الدُّنْيا ، فلا يَعْلَمونَ ذلكَ عِلْمَ اليَقينِ .

وفي قولِهِ تَعالى : ﴿ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَعلمونَ﴾ إنْصافٌ لِلقِلَّةِ المُؤمِنَةِ مِنَ النّاسِ الّتي عَلِمَتِ الحَقَّ فاتَّبَعَتْهُ وصدَّقَتْهُ ، ووقَفَتْ إلى جانِبِ الرَّسولِ ﷺ تُؤيِّدُهُ ، وتَفتدي دَعوتَهُ بالنَّفْسِ والمالِ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى مَظهرَيْنِ بارِزيْنِ مِنْ مَظاهِرِ خُضوعِ الكوْنِ بما فيهِ لإرادَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، فقالَ :

﴿ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

إنَّ اللهَ تَعالى يَهَبُ الحياةَ بعدَ عَدَمٍ لِمَنْ أرادَ لهُ ذلِكَ ، ويَسْلُبُ الحياةَ بَعْدَ وُجودِها مِمّنْ أرادَ منهُ ذلكَ ، وإليهِ سُبْحانَهُ وتَعالى المَرْجِعُ في الآخِرَةِ ، يُحاسِبُ النّاسَ على ما بَدَرَ منهمْ مِنْ أعمالٍ ، إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فَشَرٌّ ، ومَنْ كانَ كذلكَ لا يَعْظُمُ عليهِ شيءٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لا يَتْرُكُ اللهُ تَعالى أنْبياءَهُ ، صَلواتُ اللهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِمْ دونَ نَصْرٍ أو تَأْييدٍ .

٢ـ الكافِرونَ والمُكَذِّبونَ دائِماً يَقولونَ عَلى اللهِ تَعالى ما لا يَعْلمونَ .

٣ـ اسْتِعْجالُ الكافِرينَ لِعذابِ اللهِ تَعالى دليلٌ عَلى جَهْلِهِمْ وحَماقَتِهِمْ .

٤ـ لا يَقبلُ اللهُ تَعالى الإيمانَ عندَ مُعايَنةِ الكافِرينَ العذابَ ، ولا يَقبلُ مِنْهُمُ الفِداءَ .

٥ـ مَنْ فاتَهُ خَيْرُ الإيمانِ حُرِمَ الدُّنْيا والآخِرَةَ .

٦ـ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ هَوَ الرَّبُّ والمالِكُ والمُتَصرِّفُ في هذا الكَوْنِ وما فيهِ ، والإحْياءُ والإماتَةُ بِيَدِهِ .

التَّقْويم :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

أرأيْتُمْ ، بياتاً ، يَسْتَنبئونَكَ ، أسرّوا النَّدامَةَ .

٢ـ وصَفَ اللهُ تَعالى الكافِرينَ في الآياتِ الكَريمَةِ بأوْصافٍ عِدَّةٍ ، منها :

المُجرِمونَ ، الَّذينَ ظَلَموا ، بَيِّنْ ماذا تَستفيدُ مِنْ ذلِكَ .

٣ـ كَيفَ لقَّنَ اللهُ تَعالى حُجَّتَهُ لِنبيِّهِ في الرَّدِّ عَلى الكافِرينَ ؟

٤ـ بَيِّنْ حالةَ المُشركينَ حينَ يُعاينون العذابَ .

٥ـ بَيِّنْ مَظاهِرَ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى الَّتي ذَكَرَها في هذهِ الآياتِ .

٦ـ هاتِ خمسةً مِمّا تُرْشدُ إليه الآياتُ الكَريمَةُ .

٧ـ اخْتَرْ مِنَ الآياتِ صَدْرَ الآيةِ المُناسِبَةِ لكلٍّ مِنَ النِّهاياتِ التّاليةِ .

أـ ولكنَّ أكثرَهُمْ لا يَعلمونَ .

ب ـ وإليهِ تُرْجَعونَ .

ج ـ إنَّهُ لَحَقٌّ وما أنْتُمْ بِمُعجِزينَ .

دـ هلْ تُجْزَوْنَ إلاّ بِما كُنتُمْ تَكْسِبونَ .

هـ ـ ماذا يَسْتَعْجِلُ منهُ المُجْرِمونَ .

و ـ وكُنْتُمْ بهِ تَسْتَعْجِلونَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّالِثَ عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عَشَرَ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾
قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا
ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَوْعِظَةٌ : تَذكيرٌ بالتزامِ الحَقِّ والخَيْرِ .

فَلْيَفرَحوا : فَلْيُسَرّوا ، وتَظهرَ عَلَيْهِم علائِمُ السُّرورِ والبِشْرِ .

تَفْتَرونَ : تَكذِبونَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ بيانِ تلكَ الحُجَجِ الإلهيَّةِ ساقَ اللهُ تَعالى حُجَجاً تُبَيِّنُ مَظاهِرَ قُدرَتِهِ تَعالى ، وكَمالِهِ ورأْفَتِهِ بِالنّاسِ ورَحْمَتِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ الكَريمةُ جَمَعَتْ أَرْبَعاً مِنْ فضائِلِ القُرآنِ الكَريمِ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى لِعبادِهِ ، وهيَ الّتي لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنها إلاّ واحدةٌ لَكَفَتِ النّاسَ ، فكيفَ بِها مُجتَمِعَةً ؟ وهي :

أولاً : مَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ .

ثانياً : شِفاءُ أَمْراضِ النُّفوسِ .

ثالثاً : هِدايَةٌ وإرشادٌ يوصِلُ النَّاسَ إلى ربِّهِمْ .

رابعاً : رَحْمَةٌ لِمُتَّبِعيهِ .

ومَعنى الآيةِ الكَريمَةِ : يا أيُّها النّاسُ قدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ تَعالى وعلى لِسانِ رَسولِهِ ﷺ كِتابٌ جامِعٌ لِكُلِّ ما تَحتاجونَ إليهِ مِنْ أُمورِ الخَيْرِ ، فهو مَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ تَرِقُّ لها القُلوبُ ، وتَخشَعُ لها النُّفوسُ ، وإرشادٌ إلى التَّرغيبِ في الخَيْرِ ، والتَّرهيبِ مِنْ عَمَلِ السّوءِ ، وفيهِ أخبارُ مَنْ سَبقوكُمْ وتَوجيهُ نَظَرِكُمْ إلى عَظَمةِ الخالِقِ ، لِتُدْرِكوا عَظَمةَ الخالِقِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، وفيهِ دواءٌ لأَمْراضِ قُلوبِكُمْ مِنَ الشِّرْكِ والنِّفاقِ ، وما يتعلَّقُ بها مِمّا يُكدِّرُ صَفْوَها ، وفيهِ هدايةٌ إلى الطَّريقِ المُستقيمِ ، وفي هذا كُلِّهِ رَحْمَةٌ للمُؤْمنينَ تَرفَعُهُمْ إلى أعلى الدَّرَجاتِ وتُكَفِّرُ ما حَدَثَ مِنهُمْ مِنْ سيِّئاتٍ .

ثُمَّ وجَّهَ اللهُ تَعالى العِبادَ إلى سُلوكِ الطَّريقِ الخَيِّرَةِ في التَّعبيرِ عَنِ الفَرَحِ والسُّرورِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قلْ يا مُحمَّدُ للنّاسِ الَّذينَ يُؤْثِرونَ الحياةَ الدُّنْيا عَلى الآخِرَةِ ، اجْعَلوا فرحَكُمُ الأكبرَ ، وسُرورَكُمُ الأَعْظَمَ بِفَضْلِ اللهِ تَعالى الّذي شَرَعَ لكُمْ هذا الدِّينَ وأنْزَلَ لَكُمْ هذا القرآنَ عَلى لِسانِ رسولِهِ ﷺ ، وليَكُنْ فَرَحُكُمْ كذلكَ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعالى الّتي وَسِعَتْ كلَّ شَيءٍ ، وهِيَ بالمُؤْمنينَ أَوْسعُ ، ولا يَكُنْ فَرَحُكُمْ بما تَجْمَعونَ في هذهِ الدُّنْيا مِنْ أموالٍ زائلةٍ ومُتَعٍ فانيةٍ .

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ أنْ يَرُدَّ على أُولئكَ الَّذينَ أَحلّوا وحَرَّموا حَسَبَ أهوائِهِمْ دونَ أنْ يَأْذَنَ اللهُ تَعالى لَهُمْ بشيءٍ مِنْ ذلِكَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ .

قلْ أَيُّها الرَّسولُ ﷺ لِلْكُفّارِ الَّذينَ أُوتوا بَعْضَ متاعِ الحياةِ الدُّنْيا : أَخْبروني عمّا مَنَحكُمُ اللهُ تَعالى مِنْ رزقٍ حلالٍ طيِّبٍ ، فأَقَمْتُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مُشَرِّعينَ ، تَجعلونَ بَعْضَهُ حلالاً ، وبَعْضَهُ حَراماً ، دونَ أَنْ تَأْخُذوا بِشَرْعِ اللهِ تَعالى ؟ إنَّ اللهَ تَعالى لمْ يأْذَنْ لكُمْ في شيءٍ مِنْ ذلِكَ ، بلْ أنْتُمْ تكذِبونَ عَلى اللهِ تَعالى ، وما ذلكَ إلاّ بِحَسَبِ أهوائِكُمْ ورَغَباتِكُمُ المُضلَّةِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ زَجْرٌ كبيرٌ ووعيدٌ شديدٌ لِمنْ يَقولُ في شيءٍ هذا حلالٌ ، وهذا حرامٌ مِنْ دونِ عِلْمٍ ، إنَّ في الآيةِ الكَريمةِ باعِثاً عَلى الاحْتياطِ في الدّينِ عَلى أقْصى الغاياتِ ، فمَنْ لمْ يَستيْقِنْ مِنَ الحُكْمِ فلا عَلَيْهِ إلاّ أنْ يَسكُتَ ، وإلاّ عُدَّ مِنَ المُفترينَ عَلى اللهِ تَعالى الكَذِبَ .

ثُمَّ توعَّدَ اللهُ تَعالى هؤلاءِ الكذّابينَ بسوءِ المَصيرِ عَلى تلك الجُرْأَةِ والكَذِبِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

ما الّذي يَظنُّهُ يومَ القيامةِ أُولئكَ الّذينَ كانوا يَفترونَ الكَذِبَ عَلى اللهِ تَعالى ، فَيَدَّعونَ التَّحليلَ والتَّحريمَ مِنْ غير أنْ يكونَ عِنْدَهُمْ دَليلٌ ؟ إنَّ اللهَ تَعالى أنْعَمَ عَلَيْهِمْ نِعَماً كثيرةً ، وأحلَّها لَهُمْ بِفَضْلِهِ ، وشَرَعَ لَهُمْ ما فيهِ خَيْرُهُمْ ، ولكنَّ الأكْثَرينَ مِنَ النّاسِ لا يَشْكُرونَ اللهَ تَعالى عَلَيْها ، بلْ يَفترون عَلى اللهِ تَعالى الكَذِبَ زوراً وبُهْتاناً . وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ دليلٌ عَلى قُصورِ الإنْسانِ في تأديةِ واجبِ الشُّكْرِ للرَّحيمِ الرَّحمنِ ، فَنِعَمُهُ سُبْحانَهُ سابِغَةٌ ، وفَضلُهُ عَميمٌ ، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ لا يَشْكُرونَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ نُزولُ القرآنِ الكَريمِ عَلى النَّبيِّ ﷺ مِنْ أعْظَمِ نِعَمِ اللهِ تَعالى عَلى الإنسانِ .

٢ـ الشِّفاءُ والهِدايةُ والمَوْعِظةُ والرَّحمةُ كلُّها في هذا القرآنِ العَظيمِ .

٣ـ حُطامُ الدُّنْيا زائِلٌ ومُتَعُها فانِيةٌ ، والتَّشبُّثُ بها خِداعٌ وغُرورٌ .

٤ـ لا يكونُ التَّحليلُ والتَّحريمُ إلاّ للهِ تَعالى ، والقَوْلُ في دينِ اللهِ بغيرِ عِلْمٍ افْتِراءٌ وكَذِبٌ .

٥ـ وجوبُ الاحْتياطِ في الفَتْوى ، وإجابةِ السّائلينَ عن قضايا الدّينِ .

التَّقْويم :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

مَوْعِظةٌ ، فَلْيَفْرَحوا ، تَفْتَرونَ .

٢ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمَةُ مَزايا القرآنِ الكَريمِ وفَضائِلَهُ ، اذْكُرْها .

٣ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمَةِ عَلى ما يلي :

أ ـ لا يَفْرَحُ المُؤمِنُ إلاّ بِفَضْلِ اللهِ تَعالى ورَحْمَتِهِ .

ب ـ ما عندَ اللهِ تَعالى هُوَ خَيْرٌ مِمّا يَجمَعُهُ النّاسُ في الدُّنْيا .

ج ـ الكُفّارُ يُحِلّلونَ ويُحَرِّمونَ حَسَبَ أهوائِهِمْ .

د ـ لَمْ يأذنِ اللهُ تَعالى لأحَدٍ أنْ يَقولَ عليهِ بغيرِ عِلْمٍ .

هـ ـ وُجوبُ التَّريُّثِ في الفَتْوى .

و ـ نِعَمُ اللهُ تَعالى عَلى النّاسِ أكْبَرُ مِنْ شُكْرِهِمْ لهُ .

ز ـ القَليلُ مِنَ النّاسِ يَشكُرُ اللهَ تَعالى .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ حديثاً يُبيِّنُ عُقوبةَ مَنْ أفْتى بغيرِ عِلْمٍ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعَ عَشَرَ

سورةُ يونُسَ - القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ
تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ
وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ
لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

شأنٍ	أمْرٍ .
تُفيضونَ فيهِ	تَخوضونَ وتَنْدَفِعونَ فيهِ .
يَعْزُبُ	يَغيبُ ويَبْعُدُ .
العِزَّةَ	الغَلَبَةَ والقُوّةَ والمَنْعَةَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذَكَّرَ اللهُ تَعالى عِبادَهُ ببعضِ فَضْلِهِ عَلَيْهِمْ ، وما يَجبُ عَلَيْهِم مِنْ شُكْرِهِ ، عَطَفَ على ذلكَ تَذكيرَهُ إيّاهُمْ بإحاطةِ عِلْمِهِ سُبْحانَهُ بِكُلِّ صَغيرٍ وكَبيرٍ في هذا الكَوْنِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ .

وما تكونُ أيُّها الرّسولُ ﷺ في شأْنٍ مِنْ شؤونِكَ الخاصَّةِ بكَ ، أو العامَّةِ الّتي تدعو فيها إلى اللهِ تَعالى بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ ، وما تَتْلو مِنْ أجلِ ذلكَ الشّأْنِ مِنْ قُرآنٍ يَنْزِلُ عَليْكَ ، وأنتمْ أيُّها النّاسُ لا تَعْمَلونَ مِنْ عَمَلٍ صَغيرٍ أو كَبيرٍ إلاّ كانَ اللهُ تَعالى شاهِداً عَلَيْهِ ومُطَّلِعاً ، وسَيُجازيكُمْ عَلى ذلِكَ ، فاللهُ تَعالى لا يَغيبُ عنهُ شيءٌ مَهْما كانَ صَغيراً لا في الأرْضِ ولا في السَّماءِ ، فَكُلُّ صَغيرٍ وكَبيرٍ عندَ اللهِ تَعالى مَكْتوبٌ مُسَجَّلٌ ومَحفوظٌ ، فلا تَخْفى عَلى اللهِ تَعالى خافِيَةٌ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ عُبِّرَ عَنْ عَمَلِ النَّبيِّ ﷺ بـ (شَأْنٍ) وفي ذلكَ إشارةٌ إلى أنَّ أعمالَهُ كُلَّها عظيمةٌ وخَطيرةٌ ، حتّى العَمَلَ العادِيَّ منها ، ذلكَ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ هو القُدْوَةُ الصّالِحَةُ لغيرِهِ مِنَ النّاسِ ، وهَكذا شَأْنُ العُظَماءِ .

وبعدَ هذا البيانِ ، بَشَّرَ اللهُ تَعالى أولياءَهُ بِحُسْنِ العاقِبَةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

تَنَبَّهوا أيُّها النّاسُ ، واعْلَموا أنّ المُوالينَ للهِ تَعالى بالإيمانِ والطّاعةِ يُحبُّهُمُ اللهَ تَعالى ويُحبّونَهُ ، ولا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنَ الخِزْيِ في الدُّنْيا ولا مِنَ العَذابِ في الآخِرَةِ ، ولا هُمْ يَحزَنونَ عَلى ما فاتَهُم مِنْ عَرَضِ الدُّنْيا ، لأنَّ لَهُمْ عندَ اللهِ تَعالى ما هو أعْظَمُ مِنْ ذلِكَ وأكْثَرُ .

وَمقامُ الوِلايةِ هذا مَقامٌ عَظيمٌ لا يَتوصَّلُ المَرْءُ إليهِ إلاّ بالاجْتِهادِ الدَّءوبِ في طاعةِ اللهِ تَعالى ، بحيثُ لا يَرى العبدُ في دُنْياهُ إلاّ آثارَ نِعمةِ اللهِ تَعالى في كُلِّ شَيْءٍ ، فإنْ رأى يَرى دَلائِلَ القُدرَةِ الإلهيَّةِ ، وإنْ سَمِعَ آياتِ اللهِ تَعالى الدّالّةِ عَلى انْفرادِ اللهِ تَعالى بالتَّصرُّفِ في هذا الكَوْنِ ، وإنْ نَطَقَ بالثَّناءِ عَلى اللهِ تَعالى ، وإنْ تَحرَّكَ في خِدْمَتِهِ ، وإنْ اجْتَهَدَ في طاعةِ ربِّهِ ، ففي هذهِ الحالةِ يكونُ المَرْءُ قريباً مِنْ ربِّهِ مُحِبّاً لهُ ، فينالُ مَرتبةَ الوِلايةِ الّتي هيَ عُنوانُ رِضا اللهِ تَعالى عَلى العبدِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أَوْصافَ هؤُلاءِ الأولياءِ بقولِهِ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

إنّ الأولياءَ المُشارَ إليْهِمْ همُ الّذينَ صَدَّقوا بكُلِّ ما جاءَ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، واسْتَسْلَموا للحقِّ ، واجتنَبوا المَعاصي ، وخافوا اللهَ تَعالى في كلِّ أعمالِهِمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما لِهؤلاءِ الأولياءِ عندَ اللهِ تَعالى مِنَ المَزِيَّةِ والفَضْلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

لِهؤلاءِ الأولياءِ البُشْرى بالخَيْرِ في الدُّنْيا ، وذلكَ بما وعَدَهُمُ اللهُ تَعالى بِهِ مِنْ نَصْرٍ وعِزٍّ ، وفي الآخرةِ يتحقَّقُ لهمْ وعْدُهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بالفَوْزِ بالجَنَّةِ ، والنَّجاة مِنَ النّارِ ، وهذا الّذي بُشِّروا بهِ في الدُّنْيا وظَفِروا بهِ في الآخِرَةِ ، هو الفوزُ العَظيمُ ، الّذي يَنتَفي بهِ كلُّ خُسْرانٍ ، وذلكَ هوَ وعْدُ اللهِ تَعالى الّذي لا يَتبدَّلُ ولا يَتخلَّفُ .

وبعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى ما عليهِ أولياؤُهُ مِنْ سَعادةٍ دُنيويَّةٍ وأُخْرَويَّةٍ ، أتْبَعَ ذلكَ بِتَسليةِ الرَّسولِ ﷺ عمّا لَقِيَهُ مِنْ أعدائِهِ مِنْ أذىً ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾

لا تَحْزَنْ أيُّها الرَّسولُ ﷺ لِما يَقولُهُ المُشرِكونَ مِنْ سُخْرِيَةٍ وطَعْنٍ وتَكذيبٍ ، ولا تَظنَّ أنَّ حالَهُمْ سَتدومُ ، بلْ إنَّ النتيجةَ لكَ والنَّصرَ للإسلامِ ، فإنَّ العِزَّةَ كُلَّها للهِ تَعالى ، والنُّصْرَةَ بيدِهِ تَعالى وسَيَنْصُرُكَ عَلَيْهِمْ ، وهوَ سُبْحانَهُ السَّميعُ لِما يَفترونَ عليْكَ ، العليمُ بما يُضْمِرونَهُ لكَ ، وَسَيُجازيهِمْ على ذلكَ كُلِّه .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَسليةٌ للنبيِّ ﷺ ، وتأنيسٌ لِقَلْبِهِ ، وإرشادٌ له إلى ما سَيَقعُ مِنْ أعدائِهِ مِنْ شُرورٍ ، حتّى لا يتأثَّرَ بِها عندَ وُقوعِها ، وفي هذا بيانٌ لِعِظَمِ مَنزلةِ النَّبيِّ ﷺ عندَ ربّهِ تَعالى ، ولِعِظَمِ عِنايةِ اللهِ تَعالى بهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ اللهُ تَعالى لا تَخفى عليهِ خافيةٌ .

٢ـ أعمالُ النَّبيِّ كُلُّها عَظيمةُ الشَّأْنِ ، ومَنزلَتُهُ عندَ اللهِ عاليةٌ .

٣ـ وِلايةُ اللهِ تَعالى مَنزلةٌ رفيعةٌ لا يَنالُها إلاّ مَنْ وفّقَهُ اللهُ تَعالى إليْها .

٤ـ وعْدُ اللهِ لا يَتخلّفُ وكَلماتُهُ لا تَتَبَدَّلُ ولا تَتغيَّرُ .

٥ـ اللهُ تَعالى لا يَتخلّى عَنْ أنبيائِهِ صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيْهِم .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

شَأْنٍ ، تُفيضونَ فيهِ ، يَعْزُبُ ، العِزّةَ .

٢ـ ماذا تستفيدُ مِنَ الآياتِ التّاليةِ :

أ ـ وما يَعزُبُ عنْ ربّكَ مِنْ مثقالِ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السَّماءِ .

ب ـ لا تَبْديلَ لِكَلِماتِ اللهِ .

ج ـ لا يَحْزُنْكَ قولُهُمْ .

٣ـ كيف نَستدلُّ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ عَلى أنَّ أعمالَ العُظَماءِ عَظيمةٌ ، وهَكذا يَنْبَغي أنْ يَكونوا ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حَديثاً قُدُسيّاً يُبيِّنُ دِفاعَ اللهِ عنْ أوليائِهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الخامِسَ عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ
لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن
سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ
لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

يَتّبِعُ : يُطيعُ ويَعْبُدُ .

يَخْرُصونَ : يَكذِبونَ .

سُلطانٍ : حُجَّةٍ واضِحَةٍ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى شأنَهُ معَ نبيِّهِ ﷺ ، وأنَّهُ واساهُ وآنَسَ قَلْبَهُ وأرْشَدَهُ ، بَيَّنَ اللهُ تعالى أَوْهامَ المُشْرِكينَ فيما يَعبدونَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

لِتَعْلَموا أَيُّها النّاسُ أنّ للهِ تعالى وحْدَهُ كُلَّ مَنْ في السَّمواتِ والأرْضِ خَلْقاً ومُلْكاً وتَدْبيراً ، وأنَّ

الَّذينَ أَشْرَكوا باللهِ تعالى لا يَتَّبِعونَ شُركاءَ للهِ تَعالى في الحَقيقةِ ، بلْ أَوْهاماً باطِلَةً لا حَقيقةَ لها . ولَيْسوا إلاّ واهِمينَ ويَظنّونَ القُوَّةَ فيما لا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعاً ولا ضَرّاً وهُمْ في الحَقيقةِ كاذِبونَ .

والتَّعبيرُ في الآيةِ الكَريمةِ بلفظِ (مَنْ) الّتي للعُقَلاءِ ، للدَّلالةِ عَلى أنَّ غيْرَ العُقَلاءِ مَرْبوبونَ للهِ تَعالى مِنْ بابٍ أَوْلى .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَعريَةٌ لأوهامِ أهْلِ الشِّرْكِ والباطِلِ الّذينَ يَرْكُضونَ وراءَ السَّرابِ والأَوْهامِ ، الّتي ليسَ مِنْ ورائِها إلاّ الشَّقاءُ والتَّعبُ .

وبعدَ ذلكَ بَيَّنَ اللهُ تعالى بعضَ مَظاهِرِ نِعَمِهِ سُبْحانَهُ عَلى عبادِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

إنّ الّذي يَمْلِكُ مَنْ في السَّمواتِ والأرضِ ، هو الّذي خلَقَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَستَريحوا فيهِ مِنْ عناءِ السَّعْيِ والحَرَكةِ في النَّهارِ ، وخَلَقَ لَكُمْ النَّهارَ مُضيئاً لِتَسْعَوْا فيهِ وتَتحرَّكوا وتَجْلِبوا مَصالِحَكُمْ ، إنَّ في خَلْقِ اللَّيلِ والنّهارِ بياناً لِمَنْ يَسمعونَ ويَتدبَّرونَ . وفي هذا بيانٌ يدلُّ عَلى سَعةِ رحمةِ اللهِ تَعالى بعبادِهِ وتفضُّلِهِ عَلَيْهِم بالنِّعَمِ الّتي لا تُحْصى .

وبعدَ ذلكَ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أقْبَحَ الرَّذائلِ الّتي تَفَوَّهَ بها المُشرِكونَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ .

زَعَمَ بعضُ المُشرِكينَ أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ تَعالى ، كَما زَعَمَ بعضُ النَّصارى أنَّ المسيحَ ابنُ اللهِ تَعالى ، وبعضُ اليهودِ زعموا أنَّ عُزيْراً ابنُ اللهِ تَعالى ، كَبُرَتْ كلمةً تخرجُ مِنْ أفواهِهِمْ جميعاً ، ما يقولونَ إلاّ كَذِباً وبُهْتاناً . كَيْفَ يتَّخِذُ اللهُ تَعالى ولَداً ؟ وهو سُبْحانَهُ الخالِقُ للسَّمواتِ والأرْضِ ، وكلَّ ما فيهما ، لا يُشْبِهُهُ أحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ، ولا يحتاجُ إلى أحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، بل الكُلُّ مُحتاجٌ إليهِ ، وهوَ سُبْحانَهُ الغنيُّ بذاتِهِ عنْ كلِّ شيءٍ ، لَهُ ما في السَّمواتِ وما في الأرضِ مُلْكاً وخَلْقاً وتَصريفاً ، لا يُشارِكُهُ في ذلِكَ أحَدٌ .

والوَلَدُ يَحتاجُ إليهِ أبوهُ لإبقاءِ ذِكْرِهِ ، وهو قُوَّتُهُ وعُصْبَتُهُ وأهلُهُ وعَشيرَتُهُ ، ومَتاعُهُ وزينَتُهُ ، عَلَيْهِ يَعتمِدُ ، وبهِ يُفاخِرُ ، وقدْ يَحتاجُ إليهِ في كِبَرِهِ وضَعْفِهِ ، وهلْ يحتاجُ اللهُ تَعالى إلى شيءٍ مِنْ ذلِكَ كُلِّهِ ، وهو الغنيُّ سُبْحانَهُ وتَعالى عنْ كُلِّ ما يَصِفونَ .

ليسَ عِندكُمْ أيُّها الكافِرونَ مِنْ سُلطانٍ وحُجّةٍ عَلى قَوْلِكُمْ الإِفْكَ! أَتَقولونَ عَلى اللهِ تَعالى ما لا تَعْلَمونَ ؟ وفي هذا الاسْتِفهامِ تَوْبيخٌ لَهُمْ وتَبكيتٌ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ دليلٌ عَلى أنَّ كُلَّ قَوْلٍ لا دليلَ عليهِ فهُوَ جَهالَةٌ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذا الحديثَ ببيانِ عاقبةِ هؤلاءِ المُفْتَرينَ عَلى اللهِ تَعالى ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾

قلْ يا محمّدُ ﷺ لِهؤلاءِ المُشركينَ ، عَلى سبيلِ التَّهديدِ والإنْذارِ : إنَّ الَّذينَ يَفْتَرونَ عَلى اللهِ تَعالى الكَذِبَ بِنسبَةِ الوَلدِ إليهِ والشَّريكِ ، لا يُفْلِحونَ ، ولا يَفوزونَ بِمَطلوبٍ أصْلاً ، بلْ دائِماً هُمْ إلى الخُسرانِ المُبينِ ، وهَكذا شأْنُ المُفْتَرينَ المُكذِّبينَ في كلِّ مكانٍ وزَمانٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهَ تَعالى وجْهَ عدمِ فَلاحِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ مَتَٰعٌ فِي ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

بَيَّنتْ هذهِ الآيةُ الكَريمةُ وجْهَ عَدمِ الفَلاحِ في ثَلاثةِ أشياءَ :

الأوّلُ : متاعٌ في الدُّنْيا ، أيْ أنَّ ما يَتمتَّعونَ بهِ في الدُّنْيا مِنْ شَهَواتٍ ومَلذّاتٍ ، هُوَ متاعٌ قليلٌ مَهْما كَثُرَ ، لأنَّهُ إلى فناءٍ وانْدِثارٍ .

الثاني : ثُمَّ إليْنا مَرْجِعُهُمْ ، وفي هذا إبْطالٌ لآمالِ المُشرِكينَ الَّذينَ كانوا يُنْكِرونَ البَعْثَ ، وتَضييعٌ لأمانيّهِمُ الباطِلَةِ الزّائِفَةِ ، وتَهديدٌ لَهُمْ بِمصيرٍ مُؤْلِمٍ .

الثّالثُ : ثُمَّ نُذيقُهُمُ العَذابَ الشّديدَ بما كانوا يَكْفُرونَ ، وهذا هُوَ جزاءُ هؤلاءِ الكافِرينَ ؛ عذابٌ شديدٌ ، لأنَّهم في الدُّنْيا أنْكَروا النُّبوَّةَ والرِّسالةَ إنكاراً شديداً ، فلاقوْا عندَ اللهِ تَعالى مَصيراً سَيِّئاً وعذاباً شديداً ، والجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ ، فإنكارٌ شديدٌ يُلائِمُهُ العذابُ الشَّديدُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الشِّرْكُ والضَّلالُ كلُّها أَوْهامٌ وأَباطيلُ ، واللهُ تَعالى أغْنى الشُّرَكاءِ عنِ الشِّرْكِ .

٢ـ الظَّنُّ لا يُغْني مِنَ الحقِّ شَيئاً .

٣ـ فَضْلُ اللهِ تعالى عَلى عِبادهِ ظاهِرٌ في اللّيلِ والنَّهارِ .

٤ـ السَّعيدُ مَنْ تَدبَّرَ آياتِ اللهِ تَعالى واتَّعظَ بها .



أَجِبْ عَنِ الأسئلَةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

يَتَّبعُ ، يَخْرُصونَ ، سُلطانٍ .

٢ـ بَيِّنْ كيفَ ردَّتِ الآياتُ الكَريمةُ عَلى المُشرِكينَ الَّذينَ زَعَموا أنَّ للهِ تَعالى ولَدَاً .

٣ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمَةُ عاقبةَ الَّذينَ يَفْتَرونَ عَلى اللهِ تَعالى الكَذِبَ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٤ـ أجبْ بنعمٍ أو (لا) عَلى كلٍّ مِمّا يلي :

أـ الكافِرُ يَتَّبعُ في كُفْرِهِ الظَّنَّ . ( )

ب ـ جَعَلَ اللهُ تَعالى اللَّيلَ مُبْصِراً لِتَسْكُنوا فيهِ . ( )

ج ـ الكافِرُ يَدّعي أنَّ للهِ وَلَدَاً مِنْ دونِ سُلطانٍ أو دَليلٍ . ( )

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ التَّوْبَةِ الَّتي تُبيِّنُ ما ادّعاهُ اليَهودُ والنَّصارى ونَسبوهُ للهِ تَعالى .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسَ عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى
ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا
تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

كَبُرَ عليْكُمْ : عَظُمَ وشَقَّ عليْكُمْ .

مَقامي : قِيامي فيكُمْ .

تَذكيري : إعْلامي بآياتِ اللهِ تَعالى وَوَعْظي ونُصْحي .

غُمَّةً : خَفِيّاً فيهِ شيءٌ مِنَ الحَيْرَةِ واللَّبْسِ .

اقْضوا إليَّ : أدّوا عليَّ أو أحْكُموا عليَّ .

خلائِفَ : يَخْلُفُ بَعْضُكُمْ بعضاً في عِمارةِ الأرْضِ وسُكْناها .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ ذلكَ البيانِ الواضِحِ عنْ بَعضِ شُؤونِ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ ، أخَذَتِ السّورَةُ الكَريمةُ بالحديثِ عنْ بعضِ قَصَصِ الأنْبياءِ معَ أقوامِهِمْ ، وذلكَ ليُرينا اللهُ تعالى نَماذجَ عَمَلِه مِنْ بعضِ شأنِهِ في خَلْقِهِ ، فَبَدَأَ سُبْحانَهُ بِقصَّةِ نَبيِّهِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ مَعَ قومِهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ .

واقرأْ أيُّها الرّسولُ ﷺ على النّاسِ ، فيما يُنزِلُهُ عليكَ ربُّكَ مِنَ القُرْآنِ قِصَّةَ نوحٍ رسولِ اللهِ عليهِ السّلامُ لمّا أحسَّ بكراهِيَةِ قومِهِ وعدائِهِمْ لِرسالَتِهِ ولِدَعْوَتِهِ ، إذْ قالَ لَهُمْ : يا قوم إنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُم وجودي فيكُمْ لِتبليغِ الرِّسالةِ ، وقدْ أصْبَحَ شديداً عَلَيْكُم ، فإنّي مُستمِرٌّ مُثابِرٌ على دَعوتي مُتوكِّلٌ على اللهِ تَعالى في أمْري ، فاحْزِموا أمْرَكُمْ ومَعَكُمْ شُرَكاؤُكُمْ في التَّدبيرِ ، ولا يَكُنْ في عدائِكُمْ لي أيُّ خفاءٍ ، ولا تُمْهِلوني بما تُريدونَ لي مِنْ سوءٍ ، إنْ كُنْتُمْ تقدِرونَ على إيذائي ، فإنَّ ربّي تَعالى يَرْعاني .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ بيانٌ أنَّ موقفَ نبيِّ اللهِ تَعالى نوحٍ عليهِ السّلامُ كانَ في نهايةِ الشَّجاعةِ في مُخاطَبَةِ قَوْمِهِ بَعْدَ أنْ مَكَثَ فيهِمْ زَماناً طويلاً يَدْعوهُمْ إلى عبادةِ اللهِ تَعالى ، ويَتمثَّلُ مَوقِفُهُ فيما يلي :

أوّلاً صارَحَهُمْ بأنّهُ ماضٍ في طريقِهِ الّذي أَمَرَهُ اللهُ تَعالى أنْ يَمْضِيَ فيهِ ، وهو تَذكيرُهُمْ بِوَحدانيَّةِ اللهِ تَعالى ووجوبِ الإخْلاصِ لهُ سُبْحانَهُ ، سواءً أشقَّ على قَوْمِهِ هذا التَّذكيرُ أمْ لمْ يَشُقَّ ، وأنَّهُ لا اعْتِمادَ إلاّ على اللهِ تَعالى .

ثانياً تَحدّاهُمْ أنْ يُجْمِعوا أمْرَهُمْ وأمْرَ شُركائِهِم ، وأنْ يأخُذوا أُهْبَتَهُمْ لِكَيْدِهِ وحَرْبِهِ .

ثالثاً طالبَهُمْ أنْ يَتَّخِذوا قَراراتِهِمْ بجُرْأةٍ ، دونَ تَستُّرٍ ولا خَفاءٍ .

رابعاً طالَبَهُمْ أنْ يُبلِّغوهُ هذهِ القَراراتِ والأحْكامَ ، وأنْ يُنفِّذوها دونَ انْتظارٍ .

وهَكذا هُوَ موقفُ الدّاعيةِ المُسلمِ ؛ جريءٌ ، شُجاعٌ ، غَيْرُ هَيّابٍ ولا مُتردِّدٍ ، واثقٌ باللهِ تَعالى ، هَكذا بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ مَوْقِفَ هذا الرّسولِ عَلَيْهِ السّلامُ لِيَكونَ مِثالاً وقُدْوةً للدُّعاةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

ثُمَّ تابعتِ الآياتُ الكَريمةُ حديثَ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ معَ قَوْمِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

وإنْ بَقيتُمْ على الإعْراضِ عن دَعوتي ، فإنّ ذلكَ لَنْ يُضيرَني ، لأنّي لم أَقُمْ بهذِهِ الدّعوةِ لأَتَقاضى منْكُمْ أجْراً أخْشى عليهِ مِنَ الضَّياعِ بِسَبَبِ إعْراضِكُمْ وابْتِعادِكُمْ عنّي وعنْ دَعوَتي ، وإنّما أطلبُ الأجْرَ مِنَ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ على ما أقومُ بِهِ مِنْ عَمَلٍ ، وقدْ أمَرَني ربِّي تَعالى أنْ أكونَ مُسلِماً إليهِ في جَميعِ أُموري وشُؤوني .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى العاقبةَ الطَّيِّبَةَ الّتي انْتَهى إليْها أَمْرُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، والعاقبةَ السَّيئةَ الّتي انْتَهى إليْها قومُهُ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

ومعَ هذا المَجهودِ وتلكَ المُثابَرةِ الّتي بَذلَها نوحٌ عَليْهِ السّلامُ مِنْ أجْلِ هِدايةِ قوْمِهِ ، إلاّ أنّهُمْ أصرّوا على أنْ يَستمرّوا في تكذيبِهِ وعدائِهِ ، فَنَجّاهُ اللهُ تَعالى ومَنْ مَعَهُ مِنَ المُؤْمنينَ بهِ في السَّفينةِ الّتي صنعَها لِهذا الأَمْرِ ، وجَعلَهُمُ اللهُ تعالى عُمّاراً للأرضِ بعدَ هلاكِ الكافِرينَ الّذين أغرقَهُمُ الطّوفانُ ، فانْظُرْ يا مُحمّدُ ﷺ كيفَ لَقِيَ المُسْتَخِفّونَ بالنُّذُرِ مَصيرَهُمُ السَّيِّىءَ .

ثُمَّ بيّنَتِ السّورةُ الكَريمةُ أنَّ اللهَ تَعالى قدْ أرْسلَ رُسُلاً كَثيرينَ مِنْ بعدِ نوحٍ عَليْهِ السّلامُ ، فكانَ موْقِفُ أقوامِهِمْ منهمْ مُشابِهاً لِمَوْقفِ قوْمِ نوحٍ عَليْهِ السّلامُ منْهُ ، فقالَ تعالى :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

ثُمَّ بعثْنا مِنْ بَعْدِ نوحٍ عَليْهِ السّلامُ رُسُلاً كَثيرينَ إلى أقوامِهِمْ فجاءوهُمْ بالمُعْجِزاتِ الدّالّةِ على صِدْقِهِمْ ، غيْرَ أنّ هؤلاءِ الأشقياءَ اسْتَمرّوا على كُفْرِهِمْ وعِنادِهِمْ ، وامتَنعوا عن الإيمانِ بما كذّبوا بهِ مِنْ قبلِ مَجيءِ الرُّسُلِ إليْهِمْ ، وهو إفرادُ اللهِ تَعالى بالعِبادةِ والطّاعةِ . فكانَ حالُهُمْ في الإصرارِ على الكُفْرِ والجُحودِ ، قَبْلَ مَجيءِ الرُّسُلِ إليْهِمْ ، كحالِهِمْ بَعْدَ أنْ جاءوهُمْ بالهُدى ودينِ الحَقِّ ، حتّى لَكأنَّهُمْ لمْ يأْتِهِمْ مِنْ بَشيرٍ ولا نذيرٍ ، وبذلكَ طَبَعَ اللهُ تَعالى على قُلوبِ الّذينَ مِنْ شأْنِهِمُ الاعتداءُ على الحقائقِ وعلى البَيّناتِ ، فلا يَنتفِعونَ بهُدىً ولا نُورٍ والعياذُ باللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ في قصصِ الأنْبياءِ عِبَرٌ عمليّةٌ للدُّعاةِ إلى الحَقِّ .

٢ـ طريقُ الأنْبياءِ في الدّعوةِ إلى اللهِ تَعالى مُتشابِهٌ من حَيْثُ وحدةُ الهَدَفِ وعَدمُ اليأْسِ .

٣ـ نهايةُ الرُّسُلِ عليهِمُ السّلامُ نهايةٌ حميدةٌ طيّبةٌ ، ونِهايةُ أعْداءِ اللهِ سيّئةٌ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

كَبُرَ عَلَيْكُم ، مَقامي ، تَذْكيري ، غُمَّةً ، اقْضوا إليَّ ، خلائِفَ .

٢ـ ما الهَدَفُ مِنْ ذِكْرِ اللهِ تَعالى لِقصصِ أنبيائِهِ عَلَيْهِمُ السّلامُ معَ أقوامِهِمْ ؟

٣ـ لخِّصْ قِصَّةَ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ معَ قومِهِ كما وردتْ في الآياتِ الكريمةِ .

٤ـ بَيِّنْ مَوْقِفَ الأقوامِ المُختلفَةِ مِنْ دَعَواتِ الأنْبياءِ عَلَيْهِمُ السّلامُ .

٥ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ تَشابُهَ مَوْقِفِ الأنْبياءِ دَعَوِيّاً ، وضِّحْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ مُدَّةَ مُكوثِ نوحٍ وهو يَدعو قَوْمَهُ ، والآيةَ الدّالَّةَ على ذلِكَ .

٢ـ ارجعْ إلى تَفْسيرِ سُورةِ نُوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ أحدِ كُتُبِ التَّفسير ، ولخِّصْ فيما لا يَزيدُ عَلى صَفحةٍ أُسلوبَهُ في الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى ، وَضَعِ المَوضوعَ في مَجلَّةِ المدرسةِ .

* * *

الدَّرْسُ السَّابِعَ عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا
مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا
جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ
لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾
فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ
ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ
كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَلَئِهِ : خاصَّتِهِ ، وأَشْرافِ مَملكَتِهِ وأركانِ دَولتِهِ .

لِتَلْفِتَنا : لِتَصْرِفَنا .

الكِبْرِياءُ : الرِّياسَةُ الدِّينيَّةُ والمُلْكُ الدُّنيويُّ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ قَصَّ اللهُ تَعالى عَلَيْنا قِصّةَ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، أخْبَرنا سُبْحانَهُ عنْ قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مَعَ فرعَونَ ، وفَصَّلَ فيها بعضَ التّفصيلِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ .

ثُمَّ أرْسَلنا مِنْ بَعْدِ أُولئكَ الرُّسلِ الكِرامِ الّذينَ جاءوا لأقوامِهِمْ بالأدِلَّةِ والبيِّناتِ ، موسى وهارونَ

عَلَيْهما السّلامُ إلى فِرْعَوْنَ وأرْكانِ مَملكتِهِ ، وأيّدناهُما بالآياتِ الواضِحاتِ ، لكنَّهُمُ اسْتَكْبَروا عنِ اتّباعِ الحَقِّ ورَفضوهُ ، وكانوا بهذا الرّفْضِ مُرْتَكِبينَ جُرْماً عظيماً آثمينَ بِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ خُلاصةٌ مُوجَزَةٌ مُرَكَّزَةٌ لِقصَّةِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ معَ فِرعونَ وَملَئِهِ ، وأمّا التَّفصيلُ فقدْ جاءَ بعدَ هذا ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٦﴾ ﴾

فلمّا وَصَلَ إليْهِمُ الحَقُّ الّذي جاءَهُمْ بِهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ عِنْدِنا قالوا على سَبيلِ العِنادِ والحِقْدِ والغُرورِ : إنّ هذا الّذي جِئْتَ بهِ يا موسى لَسِحْرٌ مُبينٌ، واضِحٌ ، ظاهِرٌ، لا يحتاجُ إلى تأمُّلٍ أو تفكيرٍ .

ويَنبغي أنْ نتأمَّلَ سِرَّ التَّعبيرِ في قولِهِ تَعالى : (جاءَهُمْ) وقولِهِ تَعالى : (عِنْدَنا) وقولِهِ تعالى : (إنَّ هذا لَسِحْرٌ) بالقَسَمِ المُؤَكَّدِ .

فأمّا قولُهُ : « جاءَهُم » فهو يدلُّ على أنَّ الحَقَّ وصَلَ إليهِم مِنْ غيرِ تَعَبٍ منهُمْ ، فكانَ مِنَ الواجِبِ عليْهِم ـ لو كانوا يعقِلونَ ـ أنْ يَتقبَّلوهُ بِسُرورٍ واقْتِناعٍ .

وأمّا قولُهُ : (مِن عِنْدِنا) فهو تصويرٌ لِشناعةِ الجَريمةِ الّتي ارْتَكَبوها في جانبِ الحَقِّ ، الّذي جاءَهُم مِنْ عندِ اللهِ تَعالى لا مِنْ عندِ غيرِهِ .

وأمّا القَسَمُ المؤكّدُ : فَيَدُلُّ على تَبَجُّحِهِمُ الذّميمِ ، وكَذِبِهِمُ الأثيمِ ، حيثُ وصَفوا الحَقَّ الّذي لا باطِلَ معهُ ، بأنَّهُ سِحْرٌ واضِحٌ ، وهكذا عِنْدَما تَقْسو القُلوبُ وتَفْسُقُ النّفوسُ تَتحوَّلُ الحَقائِقُ إلى أكاذيبَ وأباطيلَ في زَعْمِ تلكَ النّفوسِ البائِسَةِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى رَدَّ نبيِّهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ على مُفترَياتِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

قالَ لهُمْ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مُسْتَنْكِراً : أتَصِفونَ الحَقَّ الّذي جِئتُكُمْ بِهِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى بأنّهُ سِحْرٌ ؟ يا سُبْحانَ اللهِ! أفلا عَقْلَ لكُمْ يَحجزُكُمْ عنْ هذا القَوْلِ الّذي يَدلُّ على الجَهالةِ والغَباءِ ، انظُروا وتأمَّلوا : أسِحْرٌ هذا الّذي تَرَوْنَ حَقيقَتَهُ بأعيُنِكُمْ ، وتَرتَجِفُ مِنْ عَظَمتِهِ قلوبُكُمْ ؟ أوَ لا تَعلمونَ أنَّ السَّحَرَةَ غيرُ مُفْلِحينَ في أيِّ عَمَلٍ يَقومونَ بهِ ، فليسَ لَديْهِمْ خَيْرٌ ولا هُمْ مِنْ أهلِهِ .

وبعدَ ذلكَ كَشَفَ اللهُ تَعالى عنْ حَقيقةِ الدّوافِعِ الّتي جَعَلَتْهُمْ يَصِفونَ الحَقَّ بأنَّهُ سِحْرٌ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

قالَ فِرْعونُ ومَلَؤُهُ لِموسى عَلَيْهِ السّلامُ بَعْدَ أنْ جاءَهُمْ بالحَقِّ المُبينِ : أجِئْتَنا يا موسى عَلَيْهِ

السّلامُ لَمّا جئتنا بهِ ، لِتَصْرِفَنا عنِ الدّينِ الّذي وَجَدْنا عليهِ آباءَنا ، وتكونَ لكَ ولأخيكَ هارونَ عليهِ السّلامُ الكِبْرياءُ في الأرضِ ، أي : السّيادةُ والرّياسَةُ والزَّعامةُ الدّينيّةُ والدُّنيويَّةُ في جَميعِ بِقاعِ الأرْضِ بِصفةٍ عامَّةٍ ، وفي مصرَ بصفةٍ خاصّةٍ . ثُمَّ أكَّدوا إنْكارَهُمْ لِما جاءَهُمْ بهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مِنَ الدّينِ الحَقِّ ، فقالوا : ما نحنُ بِمُصَدّقينَ بما جِئْتَنا بِهِ ، لأنَّ تَصديقَنا لكُما يُخْرِجُنا عنِ الدّينِ الّذي وَجَدْنا عليهِ آباءَنا ، ويَنْزِعُ مُلْكَنا الّذي نَتمتَّعُ بِهِ .

وهذهِ التُّهْمَةُ المُوجَّهَةُ لِموسى وهارونَ عليْهِما السّلامُ تُهمَةٌ قَديمةٌ قِدَمَ نوحٍ عليْهِ السّلامُ ، ومُتجدِّدَةٌ معَ كلِّ نبيٍّ يَدعو قومَهُ للتوحيدِ ، فهذا هُوَ الخَوْفُ مِنْ تحطيمِ المُعْتَقداتِ المَوروثَةِ الّتي قامَ عليْها نِظامُهُمُ السّياسيُّ والاقتصاديُّ ، وهو الخَوْفُ على السُّلطانِ في الأَرْضِ ، ذلكَ السُّلطانِ الّذي يَستمدّونَهُ مِنْ خُرافاتِ عَقائِدِهِمُ المَوروثَةِ .

إنها العِلّةُ القديمةُ الّتي تَدفَعُ بالطُّغاةِ والظّالِمينَ إلى مُقاومةِ دَعَواتِ الإصْلاحِ ، ورَمْيِ الدُّعاةِ إلى اللهِ تَعالى بِأَشنَعِ التُّهَمِ ، وإلْحاقِ أشدِّ الأذى بِهِمْ ، إنَّها الكِبرياءُ في الأرْضِ ، وما تقومُ عليهِ مِنْ مُعْتَقَداتٍ باطلةٍ يَحْرِصُ المُتَجبِّرونَ على بقائِها مُتحجِّرَةً في قلوبِ الجماهيرِ بكلِّ ما فيها مِنْ زيفٍ وفسادٍ وأوهامٍ وخُرافاتٍ ، كَيْلا تَنْفَتِحَ القلوبُ على العقيدةِ الصَّحيحةِ ، لأنّ في ذلكَ خَطَراً على القِيَمِ الجاهليَّةِ المَوروثَةِ .

ثُمَّ حكى القرآنُ الكَريمُ ما طَلَبَهُ فرعونُ من مَلئِهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾

وقالَ فِرعونُ لِخاصَّتِهِ بَعْدَ أنْ رأى مِنْ موسى عَلَيْهِ السّلامُ الإصْرارَ على دَعْوَتِهِ ودَعوةِ قومِهِ إلى عِبادةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، وبَعْدَ أنْ شاهدَ عصاهُ وقدْ تحوَّلتْ إلى ثُعبانٍ مُبينٍ ، قالَ فرعونُ لِخاصَّتِهِ بَعْدَ أنْ رأى كلَّ ذلِكَ : ائْتوني أيُّها المَلأُ بكلِّ ساحرٍ مِنْ أفرادِ مَمْلَكَتي تكونُ عندَهُ المَهارةُ التّامَّةُ في السِّحْرِ ، والخِبْرَةُ الواسعةُ في طُرُقِهِ وأساليبِهِ ، يُريدُ بذلكَ ـ لعنَهُ اللهُ ـ أنْ يُجابِهَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ ومُعجزاتِهِ ، فأخْزاهُ اللهُ تعالى .

ثُمَّ جُمِعَ السَّحَرةُ وجيءَ بِهِمْ ، وحَصَلَ منهُمْ ما أخْبَرَنا القرآنُ الكَريمُ عنهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾

فلمّا حَضَرَ السَّحَرَةُ وَوَقَفوا أمامَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ لِمُنازَلَتِهِ بِسحْرِهِمْ على رُؤوسِ الأشْهادِ ، قالَ لَهُمْ موسى عَلَيْهِ السّلامُ بلسانِ الواثِقِ المُتحدّي : هاتوا ما عِنْدَكُمْ مِنَ السِّحْرِ وَأَرونا إيّاهُ .

واسْتَجابَ السَّحَرةُ لِموسى عَلَيْهِ السّلامُ وحَدَثَ ما قالَ اللهُ تعالى في شَأْنِهِ :

﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾

لَمّا ألقى السَّحرةُ حِبالَهُمْ وعِصيَّهُمْ وصارتْ في أعينِ النّاسِ أفاعِيَ وحيَّات ، قال موسى عليهِ السّلامُ مُستهزِءٍ بهِمْ مُزْدَرِيا عملَهُم : أيُّها السَّحرةُ ، إنّ الّذي جئتُمْ به هُوَ السِّحْرُ بعيْنِه ، وليْسَ الّذي جِئْتُ بِهِ أنا مِمّا وصَفهُ فِرعونُ وملؤهُ بأنَّهُ سِحرٌ مُبينٌ ، وإنَّ الّذي جئتُمْ بهِ سَيَمْحَقُهُ اللهُ تعالى ، ويُزيلُهُ وأثرَهُ مِنَ النُّفوسِ ، عَنْ طريقِ ما أمرني اللهُ تَعالى بِهِ من إلقاءِ عصايَ ، فقدْ جرتْ سُنّتُهُ تعالى أنّه لا يُصلحُ عَملَ المُفْسدينَ ، وصَنيعُكُمْ هذا هُوَ إفسادٌ في الأرضِ وليْسَ إصْلاحاً .

ثُمَّ قَرّرَ القُرآنُ الكَريمُ حقيقةً جيءَ بها على لسانِ موسى عَليْهِ السّلامُ مِنْ أنّ اللهَ تَعالى يُحِقُّ الحَقَّ ويُبْطِلُ الباطلَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

جَرَتْ سُنَّةُ اللهِ تعالى أنْ لا يُصلِحَ عمَلَ المُفْسِدينَ ، بَلْ يَمْحقُهُ ويُبْطِلُهُ ، وإنّهُ سُبْحانَهُ يُحِقُّ الحقَّ ، أيْ يُثبّتُهُ ويُقوّيهِ ويُؤيِّدُهُ بكلماتِهِ النّافذةِ وقَضائِهِ الّذي لا يُرَدُّ ، ووعْدِهِ الّذي لا يَتخلّفُ ، ولو كرِهَ المُجْرِمونَ ذلكَ ، لأنَّ كَراهيتَهُمْ لإحقاقِ الحَقِّ وإبْطالِ الباطِلِ لا تُعطِّلُ مَشيئةَ اللهِ تعالى ولا تحولُ بينَ تَنفيذِ آياتِهِ وكَلماتِهِ . وقدْ كانَ الأمْرُ كذلكَ فِعْلاً ، فقدْ أوحى اللهُ تعالى إلى موسى عَليْهِ السّلامُ .

﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف : ١١٧-١١٨] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرة ، مِنها :

١- مِنْ سُنَّةِ اللهِ تَعالى أنْ يُرْسِلَ إلى النّاسِ مُبَشِّرينَ ومُنْذِرين ، ولَمْ يَمْنَعْ ذلِكَ مِنْ تكذيبِ النّاسِ لهُمْ .

٢- لمْ يُعذبِ اللهُ تعالى قَوْماً قبلَ أنْ يُرْسِلَ إليْهِمْ رَسولا .

٣- فِرْعَونُ نموذجٌ للطُّغاةِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ ، والبطانةُ السّيئةُ عوْنٌ للطُّغاة .

٤- سرعةُ تكذيبِ الأقوامِ لِرُسُلِهِمْ دونَ رَويّة ، دَلالةٌ على خوْفِهِمُ المُتَسارِعِ عَلى مصالحِهِمْ وأهوائِهِمْ .

٥- قُدرةُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وثباتُهُ في مُواجَهةِ فِرعونَ ومَلئِه ، فهو عَلى ثقةٍ تامّة بنصْرِ اللهِ تعالى .

٦ـ اللهُ تَعالى لا يَكونُ مَعَ المُفْسِدينَ ولا يُصْلِحُ أعْمالَهُمْ ، ومِنْ سُنَنِه إظهارُ الحَقِّ وإزهاقُ الباطِلِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

الملأ ، تَلْفِتَنا ، الكِبْرِياءُ .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ سَبَبَ كُفْرِ فِرعونَ وَمَلَئِهِ ، بيِّنْ ذلكَ معَ الدَّليلِ .

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ ثِقةَ موسى بربِّه ، وضِّحْ ذلكَ مِنْ خلالِ الآياتِ .

٤ـ الاسْتِكْبارُ في الأرْضِ عاقِبتُهُ وخَيمةٌ ، بيِّنْ ذلكَ مِنْ خلالِ هذهِ الآياتِ .

٥ـ ذكرتِ الآياتُ الكَريمَةُ بعضاً مِنْ سُنَنِ اللهِ وأنّها لا تَتخلَّفُ ، هاتِ ثلاثاً مِنْها ، واذْكُرِ الدَّليلَ عَلَيْها .

٦ـ اذكُرْ بِلُغَتِكَ الحِوارَ الّذي دارَ بينَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وفِرْعَوْنَ كما جاءَ في الآياتِ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورةِ طه الّتي تُبيِّنُ إرسالَ موسى وهارونَ عليْهِما السّلامُ .

٢ـ اذكُرْ دليليْنِ جاءَ بِهِما موسى إلى فِرْعونَ ، واكْتُبْهُما في دَفترِكَ .

٣ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ اسْمَ اليومِ الّذي كانَ فيهِ اللّقاءُ ، والحِكْمَةَ مِنَ اخْتيارِ هذا اليوم .

* * *

الدَّرسُ الثَّامِنَ عَشَرَ

سورةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ

فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ
لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم
مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ
مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟
بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ذريَّةٌ مِنْ قومِهِ	: عَددٌ قليلٌ مِنْ بني إسْرائيلَ .
يَفتِنَهُمْ	: يَرُدَّهُمْ عَنْ دينِهِمْ .
عالٍ في الأرضِ	: جبارٍ شديدِ البَطْشِ .
تَبوّءا	: اتّخِذوا مَوْطِنا تُقيمونَ فيهِ .
اجْعَلوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً	: اجْعَلوها مَكاناً لِصلاتِكُمْ وعِبادَتِكُمْ .

التَّفسيرُ :

انتقلتِ السّورَةُ الكَريمةُ لِلْحَديثِ عنْ جانبٍ مِمّا دارَ بينَ موسى عليهِ السّلامُ وقومِهِ ، بَعْدَ الحديثِ عنْ جانبٍ مِمّا دارَ بينَ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وبينَ فِرعونَ ومَلئِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

ومَعَ ظُهورِ الآياتِ الدّالّةِ عَلى صِدْقِ رِسالةِ نَبيِّ اللهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ ، فإنَّ الّذينَ آمنوا بِهِ لم

يكونوا إلاّ قلّة من الشّباب ، الّذين كان فرعونُ يسومُهُمْ سوءَ العذاب ، أمّا آباؤُهُمْ وأصحابُ الجاه فيهِمْ ، فقد انْحازوا إلى فِرْعَوْنَ طمعا في عطائِهِ وخَوْفاً مِنْ بطْشه بِهِمْ ، وهؤلاء الشّبّانُ الّذين منوا كان إيمانُهُمْ على خوْفٍ منْ فرعون ومنْ أصحاب الجاه في قوْمِهم أنْ يردّوهُمْ عنْ هذا الإيمانِ الّذي اختاروهُ ، ذلك لأنّ فِرْعون مُتكبّرٌ جبّارٌ في أرضِ مصْرَ كلّها ، وإنَّهُ لمِن المُتجاوزين كلَّ حدٍّ في الظُّلْم والبَغْي وادّعاء ما ليسَ لهُ .

ثُمّ بيّنتِ الآياتُ الكريمةُ رباطة جأْش موسى عليْه السّلامُ وثقتَهُ بربّهِ وبدينِهِ وبنفْسِهِ ، ذلك لأنّ المُتجبّرِينَ والمُسْرفينَ يحتاجونَ في مُقاوَمتِهِمْ إلى إيمانٍ عميقٍ ، واعْتماد على اللهِ تعالى وَثيق ، وثبات يُزيلُ المخاوف ويُطمْئنُ القلوب إلى حُسْنِ العاقبةِ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قالَ موسى عليهِ السّلامُ للمُؤْمنينَ مُواسيا لهُمْ ومُشجّعاً ومُطَمْئِنا لِقلوبهِمْ بعْد أنْ رأى الخوْفَ يعلو وُجوه بعضِهم ، قال لَهُمْ : يا قوم ، إنْ كان الإيمانُ قدْ دخلَ قلوبَكُمْ في إخلاصٍ للهِ تَعالى ، فلا تَخْشوْا سواهُ ، وأسْلِموا أُمورَكُمْ إليه ، وتوكّلوا عليهِ ، وثِقوا في النّهايةِ بنصرِهِ وتأييدِه ، إنْ كُنتمْ ثابتين على الإسْلام .

ثُمّ حَكى القرآنُ الكريمُ جوابَهُمُ الدّالّ على صدْقِ يقينهمْ ، فقالَ تعالى :

﴿ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾

فقال هؤلاءِ المُؤْمنون مُجيبينَ نصيحة نبيّهِمْ موسى عليْه السّلامُ : عَلى اللهِ تعالى وحْدهُ لا على غيرِهِ توَكّلْنا ، واعْتَمدْنا وفوّضْنا أُمورَنا إليه . ثُمّ دعوْا ربّهُم قائلينَ : يا ربّنا لا تجْعلْنا مَوْضِعَ فتنة وعذاب للقوم الظّالمينَ ، بأنْ تُمكّنَهُم منّا فيسومونَنا سوءَ العذابِ ، وعندئذٍ يَعْتدّون أنّهُمْ على الحقّ ، ونحنُ على الباطل ، لأنّنا لو كُنّا على الحقّ ـ في زَعْمِهِمْ ـ لَما تمكّنوا منّا ، ولَما انْتصروا علينا . ثُمّ توجّهوا إلى الله بالدّعاء أنْ يُنجّيهُمْ ويرْحمَهُمْ ، قال اللهُ تعالى مُبيّنا ذلك :

﴿ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

نحنُ نلتمسُ منكَ يا مَولانا أنْ لا تجعلَنا فِتنة لَهُمْ فقط ، بلْ نلتمسُ منكَ أيْضا أنْ تُسْبغَ علينا رحمتكَ فتُنجّينا منْ شرور القوم الكافِرين ، ونسْألُكَ بفضْلِك أنْ تُخلّصَنا منْ سوءِ جوارِهِمْ ، وأنْ تُفرّقَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ كما فرّقْتَ بين أهلِ المشرق والمغرب .

وفي هذا الدّعاءِ الّذي تضرّعوا بِهِ إلى الله تعالى دليلٌ على أنّهُ كانَ لَهُمْ اهْتِمامٌ بأمْرِ الدِّينِ فوقَ اهتمامِهمْ بِسَلامةِ أنْفُسِهِمْ .

وبعدَ هذا الدُّعاءِ المُخْلِصِ ، وجَّهُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وأخاهُ هارونَ عَلَيْهِ السّلامُ إلى ما يوصِلُ إلى نَصْرِهِما ونَصْرِ أتباعِهِما ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

وأوْحَينا إلى مُوسى وأخيهِ هارونَ علَيْهِما السّلامُ بعدَ أنْ لَجَّ فرعونُ في طُغيانِهِ ، وفي إنزالِ العَذابِ بالمُؤْمنينَ ، أنِ اتّخذا لِقَوْمِكُما المُؤْمنينَ بُيوتاً خاصَّةً بهمْ في مصرَ يَنزِلونَ بِها ، ويَستقرّونَ فيها ، ويعتزِلونَ فرعونَ وجُنْدَهُ إلى أنْ يَقضِيَ اللهُ تَعالى أمْراً كانَ مفعولاً .

وفي هذهِ البُيوتِ يُقيمونَ صَلاتَهُمْ وعِبادَتَهُمْ سِرّاً ، بَعْدَ أنْ حالَ فرعونُ ومَلَؤهُ بيْنَهُمْ وبينَ أنْ يَعبدوا ربَّهُمْ جَهْراً .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الشَّبابُ هُمْ وَقودُ الإيمانِ وجَذْوتُهُ .

٢ـ بَطْشُ فِرْعَونَ وجَبروتُهُ لم يَحُلْ بينَ النّاسِ وبينَ الإيمانِ .

٣ـ ضَرورةُ اعْتِزالِ أهْلِ الكُفْرِ والفُسوقِ إذا لم تَنفَعْ معَهُمُ النَّصيحَةُ .

٤ـ ضَرورةُ الاسْتعانةِ عَلى بُلوغِ الغاياتِ بالصَّبْرِ والصّلاةِ .

٥ـ المحبَّةُ الصّادِقةُ والأُخُوَّةُ الصّالِحةُ مِنْ أبوابِ التَّغلُّبِ عَلى العذابِ والبَطْشِ .

٦ـ لا يكونُ تَوكُّلُ المُؤْمِنِ إلاّ عَلى اللهِ تَعالى ، ولا يَدعو سِواهُ .

٧ـ الدُّعاءُ بابُ صِلَةٍ بينَ العَبْدِ وربِّهِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ذُرِّيةٌ مِنْ قومِهِ ، أنْ يَفتِنَهُمْ ، عالٍ في الأرضِ ، تبوَّءا ، اجْعَلوا بُيوتَكُمْ قِبْلَةً .

٢ـ بيِّنْ أثَرَ الشّبابِ في رَفْدِ الإيمانِ .

٣ـ الدُّعاءُ والصَّبرُ والصَّلاةُ مِنْ وسائلِ تَخفيفِ المُعاناةِ ، بيِّنْ ذلِكَ مِنْ خلالِ الآياتِ الكَريمةِ .

٤ـ ما مَوْقفُ المُسلمِ مِنَ العُصاةِ إذا لم تَنفعْ مَعهُمُ النَّصيحَةُ ؟

٥ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ ضَرورَةَ طاعةِ القائِدِ فيما يأمُرُ ، دَلِّلْ عَلى ذلكَ مِنَ الآياتِ .

٦ـ بِماذا أوْصى اللهُ تَعالى نبيَّهُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ ؟ اذْكُرْ ذلِكَ معَ الدَّليلِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الضَّرورياتِ الخَمْسِ الواجبَ حِفْظُها مُرَتَّبةً .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ التَّاسِعَ عَشَرَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن
سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ
قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ
إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ
لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ
مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ
ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ
جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **زينةً** : اسْمٌ لِما يَتزيَّنُ بهِ الإِنْسانُ مِنْ ألوانِ اللّباسِ وأَواني الطَّعامِ .
- **اطْمِسُ على أموالِهِمْ** : أَهْلِكْها وأَتْلِفْها .
- **أَشْدُدْ على قُلوبِهِمْ** : ارْبِطْ عَلَيْها بحيثُ تَزدادُ قَسْوةً على قَسْوَتِها .
- **البحرَ** : هو البحرُ الأحمرُ .
- **بَغْياً وعَدْواً** : ظُلْماً واعْتداءً .
- **أَدْرَكَهُ الغرَقُ** : قارَبَ أنْ يَغْرَقَ في البَحْرِ .
- **بَوّأنا** : أنزَلْنا .



التَّفسيرُ :

بعدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تَعالى لنا شيئاً مِنْ أحوالِ الّذينَ آمنوا بموسى عَلَيْهِ السّلامُ ، بيَّنَ اللهُ تَعالى لَنا ما الّذي حدَثَ أخيراً لِفِرْعَوْنَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

لَمّا تَمادى فرعونُ وقومُهُ في تعنُّتِهِمْ معَ نبيِّ اللهِ تَعالى موسى عَلَيْهِ السّلامُ ، دعا اللهَ تَعالى عليهِمْ قائلاً : يا ربُّ إنكَ أعْطَيْتَ فِرْعونَ وخاصَّتَهُ بَهجةَ الدُّنْيا وزينتَها مِنَ الأموالِ والبَنينَ والسُّلطانِ ، فكانتْ عاقبةُ هذهِ النِّعَمِ إسْرافُهُمْ في الضَّلالِ والإضْلالِ عنْ سبيلِ الحقِّ ، اللهمَّ اسْحَقْ أموالَهُمْ ، واتْرُكْهُمْ في ظُلمةِ قلوبِهِمْ ، فلا يُوفَّقوا للإيمانِ حتّى يَروْا رأيَ العَيْنِ العذابَ الأليمَ الّذي هو العاقبةُ الّتي تَنتَظِرُهُمْ ، لِيكونوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ ، مِمّنْ أوتيَ مِنْ حُظوظِ هذه الدُّنيا ، ومِمّنْ مُنِعَها حتى لا تُسوِّلَ لهُ نفسُهُ الالتفاتَ إليْها .

وهذهِ الدَّعوةُ مِنْ نَبيِّ اللهِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ كانتْ غَضَباً للهِ تَعالى ولِدينِهِ عَلى فِرْعونَ ومَلَئِهِ ، الّذينَ تَبيَّنَ لهُ أنّهمْ لا خَيْرَ فيهِمْ ، كما دعا نبيُّ اللهِ نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ عَلى قومِهِ حينَ ظَهَرَ لهُ يَقيناً أنْ لا رجاءَ في إيمانِهِمْ ، فقالَ اللهُ تَعالى عنهُ : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] .

ولمّا كانتْ دَعْوَةُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ انْتِصاراً للهِ تعالى وغَضَباً لانْتِهاكِ حُرُماتِهِ فقدِ اسْتَجابَ اللهُ تَعالى دُعاءَهُ ونَصَرَهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قالَ اللهُ تَعالى لِموسى وهارونَ عليْهِما السّلامُ : أبشِرا فقدْ أُجيبتْ دَعْوَتُكُما في شأنِ فِرْعونَ ومَلَئِهِ ، فاسْتَقيما عَلى أمْري واستَمِرّا عَلى السَيْرِ في طريقِ الحقِّ ، واتْرُكا سبيلَ الّذينَ لا يَعلمونَ ما جرتْ بهِ سُنَّتي في خَلْقي ، مِمّنْ لا يُدرِكونَ طريقَ الخَيْرِ مِنَ الشَّرِّ ، ولا يُذْعِنونَ للحقِّ الّذي وَضَحَ .

وكانَ الجوابُ في هذهِ الآيةِ مِنَ اللهِ تَعالى لِموسى وهارونَ عليْهِما السّلامُ معَ أنَّ الّذي كانَ يدعو هو موسى عَلَيْهِ السلامُ وَحْدَهُ ، ذلكَ لأنَّ موسى وهارونَ عَليْهِما السّلامُ هُما رسولانِ في مُهمَّةٍ واحِدَةٍ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى قِصّةَ موسى عليهِ السّلامُ معَ فرعونَ في هذه السّورةِ الكَريمةِ بِبيانِ سُنَّةٍ مِنْ

سُنَنِ اللهِ تعالى الّتي لا تتخلّفُ ، وهي حُسْنُ عاقبةِ المُؤمنينَ ، وسوءُ عاقبة المُكَذّبينَ ، فقال تعالى :

﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

وجاوزْنا ببني إسْرائيلَ البَحْرَ ، وهُمْ تحتَ رعايتِنا وقُدرتِنا ، حَيْثُ جَعَلْنا لهمْ طريقاً يبساً ، فساروا فيه حتّى بلغوا نِهايتَهُ ، فأتبعَهُمْ فِرْعونُ وجُنودُهُ ، لا لطلَبِ الهدايةِ والإيمانِ ، ولكنْ للْبَغْيِ والعُدوانِ ، وذلك أنّ اللهَ تعالى لَمّا أخبرَ موسى وهارون عليهما السّلامُ بإجابةِ دَعوتِهما ، أمرَهُما بإخراجِ بني إسْرائيلَ مِنْ مصر لَيْلاً ، فَخرجا بهمْ عَلى حينِ غفلةٍ منْ فرعون ومَلئِهِ ، فلمّا أحسَّ بذلكَ ، خرَجَ هو وجنودُهُ على أثرِهمْ مُسرعين ، فالتفتَ بنو إسرائيلَ فإذا الطّامَّةُ الكُبرى وراءَهُمْ ، فقالوا يا موسى عليْهِ السّلامُ : هذا فرعونُ وجنودُهُ وراءَنا ، وهذا البحرُ أمامنا ، فكيفَ الخلاصُ ؟ فأوْحى اللهُ تعالى إلى موسى عليهِ السّلامُ أنِ اضْربْ بعصاكَ البحْرَ ، فضرَبَهُ ، فانفلَقَ اثني عشرَ فِرقاً ، كلُّ فِرْقٍ كالطّوْدِ العظيمِ ، وصارَ لكلِّ سِبْطٍ منْ أسباطِ بني إسْرائيلَ طريقاً فسَلكوا فيهِ ، ووصلَ فرعونُ وجنودُهُ إلى السّاحلِ ، وبنو إسرائيلَ قدْ خرجوا مِنَ البحرِ ومَسلكُهُمْ باقٍ عَلى حالِه ، فَسَلكَهُ فرعونُ وجنودُهُ ، فلمّا دخلَ آخرُهُمْ وهمَّ أولُهُمْ بالخُروجِ منَ البحرِ ، انْطَبَقَ عليْهِمْ وغشيَهُمْ منَ اليَمِّ ما غَشيَهُمْ ، وانطبقَ البحْرُ عَلى فرعونَ ولفّهُ تحتَ أمواجِهِ ولُجَجِهِ ، حتّى إذا أدْركَهُ الغرقُ ، وعايَنَ الموتَ ، وأيْقنَ أنّهُ لا نَجاةَ لهُ منهُ ، قالَ : آمنتُ وصدّقْتُ بأنّهُ لا مَعبودَ بحقٍّ سوى الإلهِ الّذي آمنَتْ بِهِ بنو إسْرائيلَ ، وأنا منَ القومِ الّذينَ أسْلموا نفوسَهُمْ للهِ تعالى وحْدَهُ وأخْلصوها لِطاعتِهِ .

ولمّا كانَ هذا الإيمانُ قدْ جاءَ في غيرِ أوانِهِ ، فليسَ بنافعٍ لأنّهُ جاءَ عندَ مُعايَنةِ المَوْتِ ، فقدْ ردَّ اللهُ تعالى هذا الإيمانَ عَلى فرعونَ ولمْ يقْبلْهُ منْهُ ، فقالَ تعالى :

﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

الآنَ تدّعي الإيمانَ حينَ يئسْتَ منَ الحياةِ ، وأيْقنْتَ بالموتِ ، والحالُ أنّكَ كنتَ قبلَ ذلكَ مِنَ العُصاةِ المُفْسدينَ في الأرضِ ، المُصرّينَ عَلى تكذيبِ الحقِّ الّذي جاءَكَ بهِ موسى وهارونُ عليْهما السّلامُ .

ثُمّ أخبرَنا اللهُ تعالى بعْدَ ذلكَ عمّا فعَلهُ بفرعونَ ليكونَ عظةً وعِبْرةً لِمنْ يأتي بعْدَهُ ، فقالَ تعالى :

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

إنّ دعواكَ الإيمانَ الآنَ مَرْفوضةٌ ، لأنّها جاءتْ في غيرِ وقْتِها ، وإنّنا اليومَ بعْدَ أنْ حلَّ بكَ

الموتُ ، نُلقي بِجِسْمِكَ الّذي خَلا مِنَ الرّوحِ ، عَلى الأرضِ ، لِتكونَ عبرةً وعِظَةً للأَحْياءِ الّذينَ يَعيشونَ مِنْ بَعدِكَ سواءٌ أكانوا مِنْ بني إسرائيلَ أمْ مِنْ غيرِهِمْ ، حتّى يَعرِفَ الجميعُ بالمُشاهَدَةِ أو الإِخْبارِ سوءَ عاقبةِ المُكَذِّبينَ ، وأنَّ الأُلوهيَّةَ لا تكونُ إلاّ للهِ تَعالى الواحِدِ الأحَدِ الفَرْدِ الصَّمَدِ . وفي هذا دعوةٌ للنّاسِ جَميعاً إلى التَّدبُّرِ والتَّأمُّلِ والاعْتِبارِ بآياتِ اللهِ تَعالى وبِمَظاهِرِ قُدْرَتِهِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْدَ ذلكَ بعضَ مَظاهِرِ نِعَمِهِ عَلى بَني إسْرائيلَ بَعْدَ أنْ أهلَكَ عدوَّهُمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

ولقدْ مَكَّنا لِبني إسْرائيلَ بعدَ ذلكَ ، فعاشوا في أرضٍ طيِّبَةٍ ، مُحافِظينَ عَلى دينِهِمْ ، بَعيدينَ عنِ الظُّلْمِ الّذي كانوا فيهِ ، مَوفورةً لَهُمُ الأرزاقُ والنِّعَمُ ، ولكنَّهمْ ما إنْ ذاقوا نِعْمَةَ العِزَّةِ بعدَ الهَوانِ ، حتّى أصابَهُمْ داءُ الفُرْقَةِ فاختلفوا ، مَعَ أنَّهُ قدْ تبيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ مِنَ الباطِلِ ، وسَيقْضي اللهُ تعالى بَيْنَهُمْ يومَ القيامةِ ، وسَيَجزي كُلاًّ منهُمْ بما عَمِلَ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَوبيخٌ لهم على جَعْلِهِمُ العِلْمَ ـ الّذي كانَ مِنَ الواجِبِ عَلَيْهِمْ أنْ يَستعمِلوهُ في الحَقِّ والخَيْرِ ـ وسيلةً للاخْتِلافِ والابْتِعادِ عنِ الطَّريقِ المُستقيمِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ مِنْ عَلاماتِ الإيمانِ الصّادِقِ أنْ يكونَ الإنْسانُ غَيوراً عَلى دينِ اللهِ تَعالى .

٢ـ مِنْ مُسبِّباتِ القَلَقِ والحَيْرةِ في نُفوسِ المُؤْمِنينَ وُجودُ النِّعَمِ بينَ أيدي أعدائِهِمُ الجاحِدينَ لِدينِهِم .

٣ـ مِنْ دواعي القَبولِ للدُّعاءِ حُسْنُ التّوجُّهِ إلى اللهِ تَعالى بهِ .

٤ـ إنّ مِنْ شُكْرِ نِعَمِ اللهِ تَعالى الاسْتِقامةَ عَلى أوامِرِهِ .

٥ـ المؤمنُ مُتميِّزٌ بإيمانِهِ وسُلوكِهِ عَنِ الجاهِلينَ الّذينَ يُعادونَ الحَقَّ .

٦ـ مِنْ علاماتِ الإيمانِ الصّادِقِ وُقوعُهُ في فُسْحَةٍ مِنَ الوَقْتِ ، فالإيمانُ عندَ انتهاءِ الأجَلِ غيرُ مَقبولٍ .

٧ـ آيةُ اللهِ تَعالى الباهِرَةُ بإهلاكِ فِرْعَوْنَ وإبقاءِ جَسدِهِ عِبرةٌ للنّاسِ .

٨ـ غَفْلَةُ كثيرٍ مِنَ النّاسِ عَنْ تدبُّرِ آياتِ اللهِ تَعالى دليلٌ عَلى جَهْلِهِمْ وقِلّةِ عِلْمِهِمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

زينةً ، اطْمِسْ على أموالِهِمْ ، اشْدُدْ على قُلوبِهِمْ ، بَغْياً وعَدْواً ، أدْرَكَهُ الغَرَقُ ، بَوَّأْنا .

٢ـ بيّنِ السَّببَ في دُعاءِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ عَلى فِرْعونَ ومَلَئهِ .

٣ـ دلِّلْ عَلى ما يلي مِنَ الآياتِ الكَريمةِ :

أـ الغَيْرَةُ عَلى دينِ اللهِ تَعالى دليلٌ عَلى صِدْقِ الإيمانِ .

ب ـ حُسْنُ التَّوجُّهِ إلى اللهِ تَعالى أدْعى إلى قَبولِ الدُّعاءِ .

ج ـ الاسْتقامةُ عَلى أوامِرِ اللهِ تَعالى مِنْ شُكْرِ النِّعَمِ .

دـ لا يَنفعُ الإيمانُ حينَ يَنْزِلُ العَذابُ .

٤ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ العاقبةَ الأليمةَ الّتي كانَتْ لِفرْعَوْنَ ومَلَئِهِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ بيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ الاخْتِلافَ بعدَ العِلْمِ آفةٌ عظيمةٌ ، وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ حُكْمَ الدُّعاءِ عَلى الكافِرينَ ، ومَتى يكونُ هذا ؟ مَعَ الدّليلِ مِنْ سُنّةِ الرّسولِ ﷺ .

٢ـ اخْتَرْ سورةً مِنَ السُّوَرِ الّتي جاءَتْ فيها قِصّةُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ وتدبَّرْ آياتِها ، وقارِنْها بآياتِ هذهِ السّورةِ .

* * *

الدَّرْسُ العِشْرونَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ العِشْرونَ

فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ
مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ
مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ
كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ
لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ
مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ
أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

المُمْتَرينَ : المُتَرَدِّدينَ الشّاكّينَ .

حقّتْ علَيْهِمْ : وَجَبَتْ وسَبَقَ عَلَيْهِمُ القَضاءُ .

الرِّجْسَ : النَّجَسَ ، السُّخْطَ والعَذابَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ الحديثِ عَنْ قِصَّةِ موسى عَلَيْهِ السّلامُ مَعَ فرعونَ وَملئِهِ ، وجّهَ القرآنُ الكَريمُ خِطاباً إلى النَّبيِّ ﷺ تَثْبيتاً لِقَلْبِهِ وتَسلِيَةً لَهُ عمّا أصابَهُ مِنْ أذىَ قَوْمِهِ لهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

فإنْ كُنتَ أَيُّها الرَّسولُ ـ عَلى سبيلِ الفَرَضِ والتَّقديرِ ـ في شَكٍّ مِمّا أَنْزَلْنا إليكَ مِنْ قَصَصٍ حكيمٍ

كقصّةِ نوحٍ وموسى عليْهِما السّلامُ وغيرِهِما ، فاسْأَلْ عُلماءَ أهلِ الكِتابِ ، فإنّ ما قصصناهُ عليك ثابتٌ في كُتُبِهِمْ . ثمّ أقْسَمَ اللهُ تعالى لهُ بقولِهِ : أُقْسِمُ لقدْ جاءَكَ الحَقُّ الّذي لا لُبْسَ فيه مِنْ ربّكَ لا مِنْ غيرِه ، فلا تكونَنَّ مِنَ الشّاكّينَ المُتردّدينَ في صِحّةِ ذلك .

وليسَ المُرادُ مِنْ هذهِ الآيةِ إثباتُ وُقوعِ الشّكِّ مِنَ النّبيّ ﷺ ، وإنّما ذلكَ على سبيلِ الفرضِ من جهةٍ ، ومن جهةٍ ثانيةٍ هُو إلْهابٌ للأُمّةِ وتهييجٌ في أنْ تزيدَ ثقتها بهذا النّبيِّ العظيمِ ﷺ ، لأنّ في هذا إعْلاماً لَهُمْ بأنّ صِفةَ نبيِّهِمْ ﷺ مَوْجودةٌ في الكُتُبِ المُتقدّمةِ التي بأيْدي أهلِ الكِتابِ ، فإذا لا مجال للشّكِّ ، فقدْ نزلَ الحَقُّ الّذي لا رَيْبَ فيه .

ثُمّ إنّ الحقّ تعالى أكّدَ لِنبيّهِ ضرورةَ تَميُّزِه عنِ المُكذّبينَ الخاسرين ، فقالَ تعالى مُبيّناً ذلك لِنبيّهِ :

﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

لا تكُنْ أنتَ ولا أحدٌ مِنَ الّذينَ اتّبعوكَ ، مِنَ الّذينَ يُكذّبونَ بالحُجَجِ والبيّناتِ ، لِئلاّ يحلّ عليك الخُسرانُ والغَضَبُ ، كَما هو شأنُ الكُفّارِ الّذينَ لا يُؤْمنون . والخِطابُ هنا لِلنّبيِّ ﷺ ولكلِّ مَنِ اتّبَعَهُ . وفي هذا الخِطابِ تَعريضٌ بالكُفّارِ مِنْ أهلِ مكّةَ وبيانٌ لِفسادِ مَسْلَكِهِمْ .

ثُمَّ بَيّنَ اللهُ تعالى سُنّتَهُ في خَلْقِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

إنَّ الّذينَ سبَقَ عَلَيْهِمْ قَضاءُ اللهِ تَعالى بالكُفْرِ لما عَلِم مِنْ عِنادِهِمْ وتَعصُّبِهِمْ واسْتِحْبابِهِمُ العمى على الهُدى ، لَنْ يُؤمِنوا مَهْما أجْهدْتَ نَفْسَكَ في إقْناعِهِمْ .

ثُمَّ بَيّنَ اللهُ تعالى أنّ هؤلاءِ لا يُؤْمِنون إلاّ حينما يُعاينون عذابَ اللهِ تعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ ﴾

ولو جِئْتَهُمْ بكلِّ أنواعِ الحُجَجِ الواضِحَةِ ، فإنّهم لَنْ يقْتَنِعوا وسَيَسْتَمِرّونَ عَلى ضَلالِهِمْ إلى أنْ يَنتهيَ بِهِمُ الأمْرُ إلى العذابِ الأليمِ ، وهنا سَيكونُ إيمانُهُمْ كعدمِهِ ، لأنّهُ جاءَ في غيرِ وَقْتِهِ .

ثُمَّ إنّ السّورَةَ الكَريمةَ فَتحتْ بابَ الأملِ والنَّجاةِ لِهؤلاءِ ، فذكّرتْهُمْ بقومِ يونُسَ عليهِ السّلامُ الّذينَ نَجوْا مِنَ العذابِ بِسَبَبِ إيمانِهِم ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

فهلاّ عادَ المُكذّبونَ إلى رُشْدِهِمْ وصوابِهِمْ ، فآمَنوا بالحقّ الّذي جاءتْهُم به رُسُلُهم فنجوْا بذلك

مِنْ عذابِ الاسْتِئصالِ الّذي حَلَّ بهم ، وهَلاّ كانوا كقوم يونُسَ عَلَيْهِ السّلامُ الّذينَ آمنوا فَقَطَعَ أماراتِ العذابِ الّذي أنْذرَهُمْ بِهِ نبيُّهُمْ ، فكَشَفَ اللهُ تعالى عَنْهُمْ هذا العذابَ الّذي كادَ ينزلُ بِهِمْ ، ومَتَّعَهُمْ بالحياةِ المُقدَّرَةِ لهمْ إلى حينِ انْقضاءِ آجالِهِمْ في هذهِ الدُّنْيا .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ إشارةٌ إلى أنَّهُ لمْ تُوجَدْ قريةٌ آمنتْ بأجْمَعِها بنَبِيِّها المُرْسَلِ إلَيْها مِنْ سائِرِ القُرى إلاّ قومُ يونُسَ عَلَيْهِ السّلامُ ، وفيها كَذلكَ تَسْليةٌ للنَّبيِّ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ حُزْنٍ بسببِ إعْراضِ قومِهِ عنِ الإيمانِ بدعوَتِهِ الشَّريفةِ ، وفيها كذلكَ تَعريضٌ بأهْلِ مَكَّةَ ، وإنْذارُهُمْ مِنْ سوءِ عاقبةِ الإصْرارِ عَلى الكُفْرِ ، وفيها حضٌّ لَهُمْ ولِغَيْرِهِمْ عَلى أنْ يَكونوا كقومِ يونُسَ عَلَيْهِ السّلامُ الّذينَ آمَنوا فَنَفَعهُمْ إيمانُهُمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى تَسليةً لِرَسولِهِ ﷺ وتَوْضيحاً لِسُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهِ في خَلْقِهِ ، أنَّهُ تَعالى قادرٌ عَلى أنْ يَجعلَ النّاسَ كُلَّهُمْ مُؤْمنينَ ، ولَكنِ اقْتَضتْ حِكْمَتُهُ أنْ يَتْرُكَ للإنسانِ الاختيارَ ، فقالَ تَعالى مُبيِّناً تلكَ السُّنَّةَ :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

ولو شاءَ ربُّكَ يا مُحمّدُ ﷺ إيمانَ أهْلِ الأرْضِ كُلِّهِمْ جَميعاً لآمَنوا دونَ أنْ يتخلَّفَ منهمْ أحَدٌ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ لم يَشأْ ذلكَ ، لأنَّهُ مُخالِفٌ لِلحِكْمَةِ الّتي عليْها أساسُ التَّكوينِ والتَّشريعِ والإثابةِ والمُعاقَبةِ ، فقدِ اقْتَضتْ حِكْمَتُهُ سُبْحانَهُ أنْ يَخْلُقَ الكُفْرَ والإيمانَ ، وأنْ يُحَذِّرَ مِنَ الكُفْرِ ويَحُضَّ عَلى الإيمانِ ، ثُمَّ بَعْدَ ذلكَ مَنْ كَفَرَ فعليهِ كُفْرُهُ ، ومَنْ آمَنَ فَلَهُ ثوابُ إيمانِهِ ، وبناءً عَلى هذا فلا تستطيعُ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ أنْ تُكْرِهَ النّاسَ حتّى يُذْعِنوا للحَقِّ ويَستجيبوا لهُ ، فليْسَ لكَ أنْ تُحاوِلَ إكْراهَهُمْ عَلى الإيمانِ ، ولنْ تَستطيعَ ذلِكَ مَهما حاوَلْتَ .

ثُمَّ أتبعَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بيانَ تلكَ السُّنَّةِ في خَلْقِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

لا يُمْكِنُ لإنسانٍ أنْ يُؤْمِنَ إلاّ إذا اتَّجهتْ نفسُهُ إلى ذلِكَ ، وهُنا يَهديهِ اللهُ للإيمانِ ، ومَنْ كَفَرَ فهوَ مُسْتَحِقٌّ لِسَخَطِ اللهِ تَعالى وعَذابِهِ ، وسُنَّةُ اللهِ تَعالى أنْ يَجعلَ العَذابَ والغَضَبَ على الّذينَ يَنْصَرِفونَ عنِ الحُجَجِ الواضِحَةِ ولا يَتدبَّرونَها .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لا يَنْبَغي الشَّكُّ والامْتراءُ في شأنِ الحَقِّ .

٢ـ مَنْ لا يأخذُ بأَسْبابِ الهُدى لا يَهْتَدي .

٣ـ بابُ الأَملِ مَفتوحٌ عندَ اللهِ تَعالى للنّاسِ أجْمَعينَ .

٤ـ صِدْقُ الإسْلامِ وحَقيقتُهُ مُتأكِّدٌ في القرآنِ الكَريمِ وفي كُتُبِ الأنبياءِ السّابقينَ .

٥ـ لا يُؤمِنُ ولا يَهتدي إلاّ مَنْ شاءَ اللهُ تَعالى لهُ الإيمانَ والهِدايَةَ ، ولا إكْراهَ في الدّينِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

المُمْتَرينَ ، حَقَّتْ عَلَيْهِم ، الرِّجْسَ .

٢ـ لماذا طَلَبَ اللهُ تَعالى مِنْ نَبيِّهِ ﷺ أنْ يَسأَلَ أهْلَ الكِتابِ ؟ وهلْ كانَ يَشُكُّ في دينهِ ؟

٣ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ بعضاً مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى في خَلْقِهِ ، بيِّنْ هذهِ السُّنَنَ مَعَ ذكْرِ الدّليلِ .

نَشاطٌ :

ـ ارْجِعْ إلى أحَدِ كُتُبِ التَّفسيرِ ، ولَخِّصْ مِنْها قِصَّةَ يونُسَ عَلَيْهِ السَّلامُ .

❋ ❋ ❋

الدَّرسُ الحادي والعِشرونَ

سورَةُ يونُسَ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ
يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

انْظُروا : تأمَّلوا وتَدبَّروا .

أيامِ الَّذينَ خَلَوْا : وقائِعِهِمْ وحَوادِثِهِمْ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بيَّنَ اللهُ تعالى بعضَ سُنَنِهِ في خَلْقِهِ حَثَّنا على التَّأمُّلِ والتَّدَبُّرِ في مَلَكوتِ السّمواتِ والأرضِ ، لأنَّ ذلِكَ يُعينُ على التّفكيرِ السّليمِ ، وعلى اسْتِعمالِ العَقْلِ فيما يَهدي إلى الحَقِّ والخَيْرِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

قلْ أيُّها الرّسولُ ﷺ لِقَوْمِكَ : انْظُروا وتَأمَّلوا وتَفكَّروا فيما اشْتَملَتْ عَلَيْهِ السّمواتُ والأرضُ مِنْ شُموسٍ وأقْمارٍ ، وكَواكبَ ونُجومٍ وسَحابٍ ، وفيما اشْتَملَتْ عَلَيْهِ الأرضُ مِنْ زُروعٍ وأنهارٍ ، ومِنْ جبالٍ وأشْجارٍ ومِنْ حيواناتٍ ودوابَّ ، انْظُروا في أنْفُسِكُمْ كَيْفَ خَلَقَها اللهُ تَعالى ودبَّرَها وأحْسَنَ خَلْقَها وصوَّرَها ، انظُروا إلى ذلِكَ وتفكَّروا ، فإنَّ هذا التَّفكُّرَ يَهدي أصْحابَ العُقولِ السّليمةِ إلى أنَّ

لهذا الكَوْنِ إلها واحدا عليما قديرا ، هُو وحْدهُ المُسْتحِقُّ للعبادةِ و الطّاعةِ .

ولكنّ الآياتِ على كثْرتها واتّضاحها ، والنُّذُر على قُوّتها وتعدُّدها لا تُجدي شيئاً بالنِّسبةِ لِمَنْ تركوا الإيمانَ وجحدوا بآياتِ اللهِ تعالى ورُسُله صلواتُ الله وسلامُهُ عليْهِم .

ثُمّ ساق اللهُ سُبْحانهُ وتعالى للمُعانِدين الجاحدينَ المُكذّبين برسوله ﷺ تهديدا يَخلعُ قُلوبَهُمْ ، وذلك بتذكيرِهِمْ بأيّامِ الّذين خلوْا منْ قبْلهِمْ ، فقال تعالى :

﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

فهلْ ينتظِرُ أُولئكَ الجاحِدون إلاّ أنْ ينالهُمْ منَ الأيّامِ الشِّدادِ مِثْل ما أصاب الّذين مضوْا منْ مِثْلِ قومِ نوح عليْهِ السّلامُ ، ومنْ مِثْلِ عاد وثمودَ وغيرِهِمْ ، مِمّنْ يعرفون أخبارَهُمْ ويعْلمون أحْوالهُمْ ، قُلْ لَهُمْ أيُّها الرّسولُ ﷺ : إذا كُنتمْ تنتظرون غيرَ ذلك ، فانْتظِروا إنّي معكُمْ مِنَ المُنتظِرين ، وستُصيبُكُمْ المصائِبُ القريبةُ والعذابُ يومَ القيامةِ .

ثُمّ بيّنَ اللهُ تعالى بعْد ذلك سُنّة مِنْ سُننه الّتي لا تتخلّفُ ، فقال تعالى :

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾

تلكَ سُنّتنا في خلْقِنا نُهْلِكُ الأُمَمَ المُكذّبة ، وبعد ذلك نُنجّي رُسُلَنا الّذين أرْسلْناهُمْ لإخْراجِ النّاسِ منَ الظّلماتِ إلى النّورِ ، وكذلك نُنجّي الّذين آمنوا برُسُلنا وصدّقوهُمْ .

ومِثْلُ ذلِك الإنجاءِ الّذي تكفّلْنا به لِرُسُلِنا ولِمَنْ آمن بهِمْ ، نُنجِّ المُؤْمنين بكَ أيُّها الرّسولُ الكريمُ ﷺ ، ونُعذِّبُ المُصرّين على تكذيبك ، وهذا وعدٌ منّا تفضُّلا وتكرُّما .

وبعْد هذا البيانِ لِسُنّةِ اللهِ تعالى في خَلْقهِ أمرَ اللهُ تعالى نبيّهُ ﷺ أنْ يُوجّه نداءهُ إلى النّاسِ بالإخلاصِ لله تعالى ، فقال سُبْحانهُ :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

قل يا أيّها الرّسولُ الكريمُ ﷺ للنّاس : إنْ كُنتمْ تشُكّون في صحّة الدّينِ الّذي بُعِثْتُ به ، فاعْلموا أنّهُ مهما تَشكّكْتُمْ فيه فلنْ أعبُدَ الأصْنامَ الّتي تَعبدونها منْ دونِ اللهِ تعالى ، ولكنّي أعبدُ اللهَ تعالى الّذي خلقكُمْ ، والّذي بيدِهِ مصيرُكُمْ ، وهو الّذي يتوفّاكُمْ عند انْقضاءِ آجالكُمْ ، وقدْ أمرني سُبْحانهُ وتعالى أنْ أكونَ منَ المُؤمنين بأنّهُ تعالى الواحدُ الأحدُ ، الفردُ الصّمدُ ، الّذي لا ربّ سواهُ .

وهكذا نرى أنّ فِكْرةَ الوحدانيةِ والإيمان بها أعلى آساساتِ الإيمانِ ، ولا ينْبغي لِمُسلم أنْ

يُساوِرَهُ الشَّكُّ في هذهِ القَضَّيةِ مَهْما تَشكَّكَ فيها غيرُ المُؤْمِنينَ ، لأنَّ في ذلِكَ الشَّكِّ زَلزلةٌ لِبُنيانِهِ العَقَديِّ ، وانْحِلالاً لِعُرْوَةِ إيمانِهِ ، عياذاً باللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ضَرورةُ النَّظَرِ والتَّأمُّلِ والتَّدبُّرِ والتَّفكُّرِ في مَلكوتِ اللهِ تَعالى ، وهذا مِنْ هَدْيِ الإسلامِ .

٢ـ مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ باللهِ تَعالى لا تَنفعُهُ الآياتُ والحُجَجُ ، والمُؤْمِنُ الصّادِقُ هو المُنتَفِعُ الحَقيقيُّ .

٣ـ ضَرورةُ الاعْتِبارِ والاسْتِبصارِ بما حلَّ بالأُممِ والأمْصارِ .

٤ـ نَجاةُ المُؤْمنينَ وسَلامةُ مَنهَجِهِمْ وعْدٌ مِنَ اللهِ تَعالى ثابتٌ وتَحقَّقَ .

٥ـ ضَرورةُ ثِقةِ النَّبيِّ ﷺ بربِّهِ ودينِهِ ، والمُؤْمِنُ الصّادِقُ لا يَصِحُّ منهُ الشَّكُّ في دينِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرداتِ التّاليةِ :

انْظُروا ، أيّامَ الَّذينَ خَلَوْا .

٢ـ بَيَّنتِ الآياتُ الكَريمَةُ ضَرورَةَ النَّظرِ والتَّدبُّرِ في مَلَكوتِ اللهِ تَعالى ، علِّلْ ذلِكَ .

٣ـ بَيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ المُنتفعَ بالآياتِ والعِبَرِ صِنْفٌ مِنَ النّاسِ ، بيِّنْهُ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ .

٤ـ بيّنْ كيفَ يُمكِنُ أخْذُ العِبرَةِ مِنَ الأُممِ الماضيةِ .

٥ـ بَيَّنتِ الآياتُ الكَريمَةُ سُنَنَ اللهِ تَعالى ، هاتِها ، واذْكُرِ الدّليلَ عَليْها .

٦ـ التّوحيدُ رُكْنٌ أساسيٌّ في دينِ الإسلامِ ، بيِّنْ ذلِكَ مِنْ خلالِ آياتِ الدّرْسِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّاني والعِشْرونَ

سورَةُ يونُسَ - القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا
يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ
إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ
ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ
ٱللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أَقِمْ وجْهَكَ للدّينِ : اسْتَقِمْ عَلى دينِكَ واثْبُتْ عَلَيْهِ .
حَنيفاً : مائِلاً عَنِ الشِّرْكِ إلى الإيمانِ .
ضُرٌّ : مَرَضٌ أو أَلَمٌ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أَنْ أَمَرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بتوجيهِ النِّداءِ للنّاسِ ، وجَّهَ اللهُ تَعالى النِّداءَ لِنبيِّهِ ﷺ ، وذلكَ تَثْبيتاً لِحالةٍ كانَ النَّبيُّ ﷺ وما زالَ عَلَيْها ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

أَمَرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بتَوْجيهِ نَفْسِه بالكُلّيّةِ إلى عِبادَتِهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، والإعْراضِ عمّا سِواهُ ، فإنَّ مَنْ أرادَ أنْ يَنْظُرَ إلى شيءٍ نَظَرَ اسْتقصاءٍ يُقيمُ وجْهَهُ في مُقابلَتِه ، بحيثُ لا يَلتفِتُ يَميناً

ولا شمالا ، إذ لو التفت بطلت المقابلة ، فلهذا كنى بإقامة الوجه عن صرف العمل بالكلية إلى الدين ، والمراد بالوجه : الذات ، والمراد من كل ذلك : اصرف ذاتك وكليتك للدين بالإخلاص لله تعالى وحده ، والابتعاد عن المشركين وطرائقهم .

ثم بين الله تعالى لنبيه ﷺ أنه تعالى وحده هو النافع الضار ، ولا ينبغي للنبي ﷺ أن يتوجه بالدعاء إلا له سبحانه ، فقال تعالى :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾

ولا تلجأ أيها النبي ﷺ بالدعاء والعبادة إلى غير الله تعالى مما لا يجلب لك نفعا ، ولا ينزل بك ضررا ، فإنك إن فعلت ذلك كنت داخلا في غمار المشركين الظالمين .

والنهي الموجه للنبي ﷺ موجه لأمته ، وهو تأكيد للنهي ، لأن النهي حيث لا يمكن وقوع المنهي عنه مبالغة في النهي ، فالنبي ﷺ يستحيل أن يتوجه بالعبادة إلى غير الله تعالى .

ثم بين الله تعالى بعد ذلك لنبيه ﷺ أن الله تعالى هو النافع ، وهو الضار ، وهو المتصرف في عباده بما يشاء ، فقال تعالى :

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

وإن يمسسك الله تعالى بضر كمرض وتعب وحزن ، فلن يكشفه أحد عنك إلا الله تعالى ، وإن يقدر لك الخير كالصحة والغنى والقوة ، فلا يستطيع أحد أن يمنع هذا الخير عنك ، لأن الله تعالى يهب الخير من فضله لمن يشاء من عباده ، وهو سبحانه لواسع المغفرة العظيم الرحمة ثم ختم الله تعالى هذه السورة الكريمة بنداء لخص فيه غايتها وهدفها ، فقال تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

بلغ أيها الرسول ﷺ دعوة الله تعالى إلى الناس كافة ، سواء منهم من بلغه هذا النداء منك أم سيبلغه إياه من يجيء بعدك ، قل لهم : أيها الناس ، قد أنزل الله تعالى عليكم الشريعة الحقة من عنده ، فمن شاء أن يهتدي فليسارع ، فإن فائدة هداه ستكون لنفسه ، ومن أصر على ضلاله فإن جزاء ضلاله سيقع عليه وحده ، وأنا لست موكلا بإرغامكم على الإيمان ولا مسيطرا عليكم .

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ بنداء أخير باتباع ما أوحي إليه ، والصبر على ما هو عليه حتى يحكم الله تعالى في شأنه ، فقال تعالى :

﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

وأنتَ أيُّها الرَّسولُ ﷺ اثْبُتْ على دينِ الحَقِّ ، واتَّبِعْ ما أُنزلَ عليكَ مِنَ الوَحْيِ ، صابِراً على ما يَنالُكَ في سبيلِ الدّعوةِ مِنْ مَكارهَ حتّى يَقضيَ اللهُ تَعالى بَيْنَكَ وبَيْنَهُمْ بما وَعَدَكَ بِهِ اللهُ تَعالى مِنْ نَصْرِ المُؤْمِنينَ وخِذلانِ الكافِرينَ ، وهو تَعالى خيرُ الحاكِمينَ ، لأنَّهُ سُبْحانَهُ العليمُ بالبواطِنِ والظَّواهِرِ وهُوَ الّذي لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ولا رادَّ لِقضائِهِ .

وبعدُ ؛ فهذِهِ سورةُ يونُسَ عَلَيْهِ السّلامُ ، رَأَيْناها كيفَ أقامتِ الأدلَّةَ على وَحدانيّةِ اللهِ تَعالى وعلى كَمالِ قُدرَتِهِ وشُمولِ عِلْمِهِ ، ونفاذِ إرادَتِهِ ، وسَعةِ رَحمتِهِ ، وكيفَ أنَّها أقامتِ الأدلَّةَ على صِدْقِ الرَّسولِ ﷺ ، وعلى أنَّ القرآنَ الكريمَ هُوَ مِنْ عندِ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى ، ورَأَيْناها كيفَ ساقتْ مِنَ الأدلَّةِ على حَقيقةِ يوم القيامةِ ، وعلى أحوالِ النّاسِ فيهِ ، ورَأَيْناها كيفَ ساقتْ جانِباً مِنْ أحوالِ بَعضِ الأنْبياءِ عَلَيْهِم السّلامُ مَعَ أقوامِهِمْ ، ورَأَيْناها كيفَ قَرَّرَتْ سُنّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى الّتي لا تَتَخلَّفُ ، وهي نَجاةُ رُسُلِ اللهِ تَعالى صَلواتُ اللهِ وسلامُهُ عَلَيْهِم والمُؤْمنينَ بِهِمْ ، وجَعْلُ الرِّجْسِ على الكافِرينَ ، ورَأَيْناها كيفَ بَيَّنَتْ أحوالَ النّاسِ في السّراءِ والضَّراءِ بياناً صادِقاً قوّياً مُؤَثِّراً ، مِنْ شَأنِهِ أنْ يَحمِلَهُمْ على التَّحلِّي بالأخلاقِ الحَميدةِ الكَريمةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ضَرورةُ الاسْتِقامةِ عَلى مَنْهجِ اللهِ تَعالى والثَّباتِ عليهِ .

٢ـ التَوجُّهُ بالدُّعاءِ إلى اللهِ تَعالى ، فاللهُ وَحْدَهُ هو النّافِعُ والضّارُّ .

٣ـ إنْ أرادَ اللهُ تَعالى بِعَبْدٍ خَيْراً لا يَستطيعُ أحَدٌ أنْ يَحولَ بَيْنَهُ وبَيْنَه .

٤ـ إنَّ الّذي جاءَ لِلنّاسِ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى عَلى أنبيائهِ ورُسُلِهِ عَلَيْهِم السّلامُ هوَ الحَقُّ لا غَيْرَ .

٥ـ عَلى المُسْلِمِ أنْ يَصبرَ عَلى ما ينالُهُ مِنْ أذىً حتّى يَقْضِيَ اللهُ تَعالى بَيْنَهُ وبينَ الَّذينَ آذوْهُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ معانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أقِمْ وجْهَكَ للدّينِ ، حَنيفاً ، ضُرّ .

٢ـ ما المُرادُ بالنَّهْيِ المُوَجَّهِ للنَّبيِّ في هذهِ الآياتِ ؟ وما الدَّليلُ عَلى ذلِكَ ؟

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ أنَّ عاقِبَةَ الهدايةِ والضَّلالِ إنّما هِيَ عَلى أنْفُسِ النّاسِ ، بيِّنْ ذلِكَ .

٤ـ اذْكُرْ خَمْسةً مِنْ مَوْضوعاتِ هذهِ السّورَةِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الدُّعاءَ الّذي يُسَنُّ قولُهُ في بدايةِ الصّلاةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والعِشْرونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الأوّلُ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى
فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾

تعريفٌ بالسُّورَةِ :

سورَةُ هودٍ مَكِّيَّةٌ ، عَدَدُ آياتِها مائةٌ وثَلاثٌ وعِشْرونَ ، ابتدأتْ بالتَّنويهِ بالقُرْآنِ الكَريمِ ، وعبادةِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ ، والإنذارِ والتَّبْشيرِ ، ثُمَّ بيانِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى ورُبوبيَّتِهِ ، وأحوالِ النّاسِ في تَلقّيهِمْ نِعَمَ اللهِ تَعالى ونِقَمَهُ ، ثُمَّ مَقامِ القُرْآنِ والتَّحدّي بهِ ، وكُفْرِ الكافِرينَ بهِ مِنْ غيرِ عُذْرٍ ، وبَيانِ ثَوابِ المُؤْمنينَ ، وضَرْبِ الأمثلةِ ببعضِ قَصصِ الأنْبياءِ السّابقينَ ، كَقصَّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، وكذا قصةِ هودٍ وقصَّةِ صالحٍ وقصّةِ لوطٍ ، وقصّةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِم جميعاً الصّلاةُ والسّلامُ ، ثُمَّ ذكرتِ العِبَرَ في هذا القَصصِ الحَقِّ . وخَتَمَها سُبْحانَهُ بدَعْوَةِ المُؤْمنينَ إلى العَمَلِ وانْتظارِ الثَّوابِ ، ثُمَّ ذِكْرِ عِلْمِ اللهِ تَعالى الكامِلِ ، ووُجوبِ التوكُّلِ عَلَيْهِ . وسُمِّيَتْ بسورةِ هودٍ لِوُرودِ ذِكْرِ نبيِّ اللهِ هودٍ عليهِ السَّلامُ فيها .

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُحْكِمَتْ	: أُتْقِنَتْ إتْقاناً عظيماً ، ونُظِمتْ نَظْماً رَصينا بارِعا .
فُصِّلت	: بُيِّنَتْ .
حَكيمٍ	: مِنْ أسماءِ اللهِ تَعالى الحُسْنى ، والمُرادُ بِهِ مَنْ خَلَقَ الأشياءَ وأَتقنَ خَلْقَها أتمَّ الإتقانِ .
خبيرٍ	: مِنْ أسماءِ اللهِ تَعالى الحُسْنى ، والمُرادُ بِهِ العالِمُ بِدَقائقِ الأشياءِ .
يُمَتِّعْكم مَتاعاً حَسَناً	: يُبقيكُمْ إبقاءً حَسناً آمِنينَ غيرَ خائِفينَ في الدُّنْيا .
يَثْنونَ صُدورَهُمْ	: يُميلونَها ويُطأْطِئونَها حتّى تكونَ قاماتُهُمْ غيرَ مُستقيمةٍ .
لِيَسْتَخْفوا منهُ	: يُحاوِلونَ الاخْتِفاءَ مِنَ اللهِ تَعالى ـ حَسْبَما زَعَموا ـ وما هُمْ بِقادِرينَ .
يَسْتَغْشونَ ثِيابَهُمْ	: يَتدثَّرونَ بِها ويَتغطَّوْنَ ، مُبالغةً في الاسْتِخفاءِ .

التَّفسيرُ :

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

الر : حروفٌ ابتدأتْ بها السّورَةُ الكريمةُ للإشارةِ إلى أنَّ القُرْآنَ مُعجزٌ ، مع أنّهُ مُكوَّنٌ مِنْ هذهِ الحروفِ الّتي يَنْطِقونَ بها ، وللتّنبيهِ إلى الإصْغاءِ عندَ تلاوةِ القُرْآنِ الكَريمِ إلى أنّهُ كتابٌ عظيمُ الشّأنِ ، جليلُ القدْرِ ، فقدْ أحْكَمَ اللهُ تعالى آياتِهِ إحْكاما بَديعا ، وأتْقَنَها إتْقانا مُعْجزاً ، بحيثُ لا يَتطرّقُ إليْها خَلَلٌ أو فَسادٌ ، ثُمَّ فَصَّلَ اللهُ تعالى هذهِ الآياتِ تَفْصيلاً حَكيماً ، بأنْ أنْزَلَها نُجوماً ، وجَعلَها سُوَراً ، مُشتمِلَةً على ما يُسْعِدُ النّاسَ في دُنياهُمْ وآخرتِهِمْ مِنْ شُؤونِ العَقيدةِ والعِباداتِ ، والمُعامَلاتِ ، والآدابِ ، وسائرِ الأحْكامِ . وهذا الكِتابُ الّذي أُتْقِنَتْ آياتُهُ إتْقاناً بَديعا ، وفُصِّلتْ تَفصيلاً رصيناً ، ليسَ هُوَ مِنْ عندِ أحَدٍ مِنَ الخَلْقِ ، وإنّما هُوَ مِنْ عندِ الخالقِ الحَكيمِ الّذي خَلَقَ كلَّ شيءٍ فأتْقَنَهُ ، الخَبيرِ ببواطِنِ الأُمورِ وظَواهِرِها سُبْحانَهُ .

ثُمَّ بَيّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ الإحْكامَ والتَّفصيلَ الواقِعانِ في الكِتابِ ، لِيَعْبُدَ النّاسُ ربَّهُمْ ، ولِيُطيعوا رسولَهُ ﷺ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾

إنهُ سُبحانهُ وتعالى فعل ما فعَلَ منْ إحْكام القرْآن وتفصيله وتنْزيله على تلك الهيْئة المُعْجزة ، من ذلك إلاّ لتُخلصوا لهُ تعالى العبادة والطاعة ، وتتركوا عبادة غيْره ، ثمَّ بيّنت الآيةُ الكريمةُ وظيفة الرسول ﷺ ليُنادي بها في النّاس قائلا : قدْ أرْسلني اللهُ تعالى إليكُمْ لكي أُنذر الَّذين فسقوا عنْ أمْره بسوء العاقبة ، وأبشّر الّذين استجابوا لدعوته بحُسْنِ المثوبة ، وقدّم سُبْحانهُ وتعالى الإنْذارَ على التبشير في هذه الآية الكريمة ، لأنّ الخطاب مُوجّهٌ إلى الكافرين ، الّذين أشركوا مع الله تعالى آلهةً أُخرى .

ثُمَّ بيّن سُبْحانهُ وتعالى ما يترتّبُ على طاعته من الخيرات ، وما يترتّبُ على التولّي عنْ طاعته من الويْلات ، فقال تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ ﴾ .

عليكُمْ أيّها النّاسُ بعْد أنْ نبذْتُمْ كلّ عِبادة لغير اللهِ تعالى أنْ تتضرّعوا إلى الله تعالى داعين أنْ يغفرَ لكمْ ذُنوبكُمْ ، ثُمّ ترْجعوا إليه بإخلاص العبادة وعَمل الصّالحات كيْ يُمتّعكُمْ متاعا حسناً في الدُّنْيا ، إلى أنْ تنتهي آجالُكُمْ المُقدّرةُ لكُمْ فيها ، وهو سُبْحانهُ يعطي في الآخرة كلّ صاحبِ عمل صالح فاضل ثواب عمله وفضله ، ثمّ حذّرهُمْ تبارك وتعالى على لسانِ رسوله ﷺ قائلا لهمْ : وإنْ تنصرفوا عمّا أدْعوكُمْ إليه فإنّي أخافُ عليكُمْ العذاب الشّديد في يوم كبير يُحْشرُ فيه النّاسُ جميعا ، ويكونُ فيهِ الهوْل الأكبرُ .

﴿ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾

يُؤكّدُ اللهُ تعالى حقيقة إعادة الخلْق ، وقُدرتهُ تعالى على ذلك بقوْله : إلى الله وحْدهُ مرْجعُكُمْ جميعا ، وجزاؤكُمْ على أعمالكُمْ كلّها ، فهو القادرُ على كلِّ شيء ، ولا يُقادرُ قُدرهُ قادرٌ .

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ﴾ .

إنّ النّاسَ وبخاصّة الكافرون منهمْ يطوون صُدورهُم كاتمين لما يجولُ فيها ، مُجْتهدين في كتمانهمْ ، زاعمين أنّهم بذلك يُخفون خلجات صُدورهمْ عن الله تعالى! ألا فليعْلمْ هؤلاء أنّهم إنْ أووْا إلى فراشهمْ مُستترين ، واستتروا بظلام اللّيل ، وكتموا ما في الصّدور ، فإنّ الله تعالى عليمٌ بهمْ في سرّهمْ وعلنهمْ ، لأنّهُ تعالى يعْلمُ السّرّ وما تخفي الصّدورُ .

والآيةُ الكَريمةُ تُصوِّرُ تَصْويراً بديعاً جَهالاتِ بعضِ الضّالّينَ بِعلْمِ اللهِ تَعالى ، المُحيطِ بكلِّ شَيْءٍ ، كما تُصوِّرُ تَصويراً دقيقاً أوْضاعَهُمُ الحِسّيَّةَ حين يَأْوونَ إلى فُرُشِهِمْ ، وحينَ يُقابِلونَ النَّبي ﷺ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ القرآنُ الكَريمُ مُنزَّلٌ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، وهو السّالِمُ مِنْ كلِّ تَبديلٍ وتَحريفٍ .

٢ـ الرَّسولُ ﷺ هو النَّذيرُ البَشيرُ .

٣ـ اللهُ تَعالى وَحْدَهُ الّذي يَستحِقُّ الطّاعَةَ والعِبادَةَ .

٤ـ اللهُ تَعالى لا تَخْفى عَلَيْهِ خافِيَةٌ وهو عالِمُ كلِّ شيءٍ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أُحْكِمَتْ آياتُهُ ، فُصِّلَتْ ، حَكيمٍ خَبيرٍ ، يُمتِّعْكُمْ مَتاعاً حَسَناً ، يَثْنونَ صُدورَهُمْ ، لِيَسْتَخْفوا منهُ ، يَسْتَغشونَ ثِيابَهُمْ .

٢ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ بعضاً مِنْ خَصائصِ القُرآنِ الكَريمِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ لماذا قدّمتِ الآياتُ الكَريمةُ الإنذارَ عَلى التّبشيرِ ؟

٤ـ بيِّنِ الأعمالَ الّتي يَنبغي القيامُ بِها للحُصولِ عَلى تَمْتيعِ اللهِ تَعالى المَتاعَ الحَسَنَ للنّاسِ .

٥ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ عُقوبةَ المُتولّينَ عَنْ مَنْهَجِ اللهِ تَعالى ، وضِّحْ ذلكَ .

٦ـ رَسَمتِ الآيةُ الأخيرةُ (٥) صُورَةً عَجيبةً للمُشْركينَ ، بيّنْ هذهِ الصُّورَةَ وَوضِّحْها .

٧ـ هاتِ الدّليلَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ عَلى ما يلي :

أـ أهميّةُ القُرْآنِ الكَريمِ وبقاؤُهُ .

ب ـ رسالةُ الرّسولِ هي إنذارٌ وتَبشيرٌ .

ج ـ لا طاعةَ ولا عِبادَةَ إلا للهِ تَعالى .

دـ الاسْتِغفارُ والتّوْبَةُ طريقا رِضوانِ اللهِ تَعالى .

هـ ـ لكلِّ عاملٍ ثَوابُ عَمَلِهِ وجَزاؤُهُ .

وـ عقائدُ المُشرِكينَ في ذاتِ اللهِ تَعالى عقائدُ فاسِدَةٌ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً أُخْرى تُبيِّنُ مُهِمَّةَ الرَّسولِ ﷺ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةً أُخْرى تُبيِّنُ عِلْمَ اللهِ تَعالى بما يُسِرُّهُ الإنسانُ ويُخْفيهِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الرَّابعُ والعِشْرونَ

سورةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثّاني

۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ
مُّبِينٖ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ
لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا
يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنۡ
أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ
بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **مُسْتَقَرَّها** : مكانَ اسْتقرارِها الّذي تَأْوي إليهِ .
- **مُستودَعَها** : مكانَ اسْتيداعِها الّذي تُدْفَنُ فيهِ .
- **لِيَبْلُوَكُمْ** : يَخْتَبِرَكُمْ وَيَمتَحِنَكُمْ .
- **أُمّةٍ مَعدودةٍ** : وقْتٍ مُعَيَّنٍ مِنَ الزّمانِ .
- **حاقَ بِهِمْ** : أحاطَ بِهِمْ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ صوَّرَ اللهُ تَعالى لنا حالَ المُشرِكينَ بصورةٍ بَليغةٍ ، أطْلَعَنا سُبْحانَهُ على بعضِ مَظاهِرِ قُدْرَتِهِ وسابِغِ فَضْلِهِ وشُمولِ عِلْمِهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ .

ليَعلَم النّاسُ أنَّ قُدرة الله تعالى ونعمَهُ وعِلمَهُ شاملةٌ لكلّ شيءٍ ، فلا توجدُ دابّةٌ تتحركُ في الأرض إلاّ وقدْ تكفّل اللهُ تعالى برزْقها المُناسب لها في مُختلف البيئات ، تفضُّلاً منه سُبحانهُ ، وإنهُ كذلك ليَعْلمُ مكانَ استِقرارها في حال حياتها ، والمكان الّذي تودعُ فيهِ بعْد موتها ، كلُّ ذلك مُسجّلٌ عندهُ سُبحانهُ وتعالى في كتاب واضح بيّن . وكونُ الرّزق والمعاش على الله تعالى ، فإنّ ذلك لا يُنافي الأخذَ بالأسباب ، والسّعيَ في سبيل الحُصول على وسائل العيش ، لأنّهُ سُبحانهُ وتعالى وإنْ كان قدْ تكفّلَ بأرزاق خلْقهِ ، إلاّ أنّهُ أمرهُمْ بالاجْتهادِ في استعمال كافّة الوسائل المشروعة ، من أجْل الحُصولِ على مالٍ يُغنيهمْ ويسُدُّ حاجَتهُمْ .

وبعد ذلك ساقَ اللهُ تعالى للنّاس ما يُبيّنُ عظمتهُ وقُدْرتهُ ، فقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلًاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ .

واللهُ تَعالى وحْدَهُ هُو الّذي خلقَ السّمواتِ والأرْض وما فيهما في ستّةِ أيام منْ أيامهِ تعالى التي لا يَعلَمُها إلاّ هُوَ ، ومنْ قبْلِ ذلك لم يكُنِ الوُجودُ أكثرَ منْ عالم الماءِ ومنْ فوْقهِ عرْشُ اللهِ تعالى ، الّذي لا يَعْلَمُ شأْنَهُ إلاّ هُو سُبْحانَهُ .

وهو سُبْحانَهُ قد خَلق هذا الكَوْنَ ليُظْهِر بالاختبار أحوالَكُمْ أيها النّاسُ ، ليُعاملكُمْ سُبْحانهُ مُعاملةَ المُخْتبرِ ، لِيُظْهِرَ مِنْكُمْ لأنفسكُمْ مَنْ يُقبلُ على الله تعالى بالطّاعة والأعْمال الحسنة ومنْ يُعرِضُ عنْ ذلِكَ ، ومع هذهِ القُدْرة الإلهيّةِ الخارقةِ ، إنْ قُلْتَ لهُمْ مُؤكّدا إنهُمْ مُبْعثونَ منْ قُبورهِمْ ، وإنّهُمْ خُلقوا ليَموتوا ويُبْعَثوا ، سارعَ هؤلاءِ الكفرةُ إلى الرّدّ عليكَ مُؤكّدينَ أنّ هذا الّذي جِئتهُمْ به لا حقيقةَ لهُ ، وما هُوَ إلاّ كالسِّحْرِ الواضحِ الّذي يلْعَبُ بالعُقول .

ثُمّ بَيّنَ اللهُ تعالى بَعْدَ ذلِك لوْنا مِنْ ألوانِ غُرورِ المُشركين المُكذّبين ، فقال تعالى :

﴿ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

وَلئِنْ أخّرْنا بفَضْلِنا وكرَمِنا عَنْ هؤلاءِ المُشركينَ العذابَ الّذي يسْتحقونهُ ، لجُحودهِمْ لآياتنا وتكذيبِهِمْ لرُسُلنا إلى وَقْتٍ مُعيّنٍ مِنَ الزّمان على حَسَبِ إرادتنا وحِكْمتنا ، ليقولنّ هؤلاءِ المُشركونَ الظّالِمون على سَبيلِ التّهكّمِ والاسْتهزاءِ ، واستِعجال العَذاب : ما الّذي جعلَ هذا العذابَ الّذي

حذَّرَنا منهُ مُحمَّدٌ ﷺ مَحْبوساً عنّا ، وغيرَ نازلٍ بنا ؟

ولا شَكَّ في أنَّ قَوْلَهُمْ هذا يَدلُّ عَلى بُلوغِهِمْ أقْصى دَرَجاتِ الجَهالةِ والطُّغيانِ ، حيثُ قابَلوا رَحمةَ اللهِ تَعالى المُتمثِّلَةَ في تأخيرِ العذابِ عنهُمْ ، بالاسْتِهزاءِ والاسْتِعجالِ ، ولِذا ردَّ اللهُ تَعالى عَلَيْهِم بقولِهِ : ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ .

أي : ألا إنَّ ذلِكَ العذابَ الّذي اسْتَعْجَلوهُ واسْتَخفّوا بهِ يومَ يَنزِلُ بِهِمْ ، لنْ يَصْرِفَهُ عنهُمْ صارِفٌ ، ولنْ يَدْفَعَهُ عنهُمْ دافِعٌ ، بلْ سَيُحيطُ بهِمْ مِنْ كُلِّ جانِبٍ ، بِسَبَبِ اسْتِهزائِهِمْ بهِ وإعراضِهِمْ عمَّنْ حذَّرَهُمْ منهُ .

والأقربُ إلى سياقِ هذهِ الآياتِ أنْ يكونَ المُرادُ بالعَذابِ هُنا عذابَ الاسْتِئْصالِ الدُّنيويِّ ؛ إذْ هُوَ الّذي اسْتَعْجَلوا نُزولَهُ ، أمّا عذابُ الآخِرةِ فقدْ كانوا يُنكرونَهُ أصْلاً .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى جانِباً مِنْ طبيعةِ بني آدمَ إلاّ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعالى ، فَقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩ ﴾ .

إنَّ مِنْ طَبيعةِ الإنْسانِ أنْ تَستغرِقَ نَفْسُهُ الحالَ الّتي يَكونُ عَلَيْها ، فإذا أعْطَيْناهُ بعضَ النِّعَمِ رَحمةً منّا ، كالصِّحَّةِ والسَّعَةِ في الرِّزقِ ، ثُمَّ نَزَعنا بَعْدَ ذلكَ هذهِ النِّعَمِ لحِكْمَةٍ منّا ، أسْرَفَ هذا الإنسانُ في يأسِهِ مِنْ عَوْدَةِ هذهِ النِّعَمِ إليهِ ، وأسْرَفَ كذلكَ في كُفْرِهِ بالنِّعَمِ الأُخْرى الّتي ما يزالُ يَتمتَّعُ بها . وفي هذهِ الآيةِ تصويرٌ بليغٌ صادِقٌ لِما يَعتري نَفْسَ هذا الإنسانِ عِنْدَما تُسْلَبُ منهُ النِّعْمةُ بَعْدَ أنْ ذاقَها ، فهو لِقلَّةِ إيمانِهِ وضَعْفِ ثِقتِهِ بربِّهِ فَقَدَ كُلَّ أملٍ في عودةِ هذهِ النِّعْمَةِ إليهِ ، ولَكأنَّ هذهِ النِّعمةَ الّتي سُلِبَتْ منهُ لمْ يَرَها قبلَ ذلكَ ! !

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حالةَ هذا الإنسانِ اليَؤوسِ الكَفورِ عِنْدَما تأتيهِ السَّرّاءُ بَعْدَ الضَّرّاءِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ ﴾ .

وإنّنا لوْ أعطيناهُ نِعمةً بَعْدَ ضُرٍّ لَحِقَ بهِ ، فإنَّهُ يقولُ : ذهبَ ما كانَ يَسوءُني ولَنْ يَعودَ ، ويَحْمِلُهُ ذلكَ عَلى شِدَّةِ الفَرَحِ بمتاعِ الدُّنْيا ، وعلى المُبالَغَةِ في التَّفاخُرِ عَلى الآخَرينَ ، فَيَنْشَغِلُ قلبُهُ عنْ شُكْرِ ربِّهِ ، هذا هُوَ شَأْنُ غالِبِ بني الإنْسانِ ، مُضطرِبٌ بَيْنَ اليأسِ والتَّفاخُرِ .

وفي هذهِ الآيةِ أيضاً صورةٌ صادِقَةٌ لهذا الإنسانِ العَجولِ القاصِرِ ، الّذي يَعيشُ في لَحظتِهِ الحاضِرَةِ ، فلا يَتذكَّرُ فيما مَضى ، ولا يَتفكَّرُ فيما سَيكونُ عليهِ حالُهُ بَعْدَ المَوْتِ ، ولا يَعتبِرُ بِتَقلُّباتِ الأيّامِ ، فهوَ يَؤوسٌ كَفورٌ إذا نُزِعَتْ منهُ النِّعمةُ ، وهو بَطِرٌ فَخورٌ إذا عادَتْ إليهِ ، وهذا مِنْ أسوأ ما تُصابُ بهِ النَّفْسُ الإنْسانيَّةُ مِنْ أخلاقٍ مَرذولةٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى صِنْفاً مُميَّزاً مِنْ بَني الإنْسانِ لَمْ يُصَبْ بمثلِ هذهِ الرَّذائِلِ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾

لا يَخلو مِنْ هذا العَيْبِ إلاّ الّذينَ صَبَروا عندَ الشَّدائِدِ وعَمِلوا الصّالحاتِ في السَّرّاءِ والضَّرّاءِ ، وهؤلاءِ لَهُمْ مَغفرةٌ مِنَ الذُّنوبِ ، وأجْرٌ كبيرٌ على أعمالِهِمُ الصّالحَةِ .

والمُؤْمِنُ شاكِرٌ على السَّرّاءِ صابِرٌ على الضَّرّاءِ ، كما قالَ النَّبيُّ ﷺ في هذا الشَّأْنِ : « عَجَباً لأمْرِ المُؤْمِنِ إنّ أمْرَهُ كُلَّهُ خيْرٌ ، وليسَ ذلِكَ لأحَدٍ إلاّ للمُؤْمِنِ ، إنْ أصابَتْهُ سَرّاءُ شَكَرَ فكانَ خَيْراً لهُ ، وإنْ أصابَتْهُ ضَرّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيْراً لهُ »[١] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الأخْذُ بالأسْبابِ في تَحصيلِ الرِّزْقِ مِنَ الواجباتِ الشَّرعيَّةِ ولا يُنافي ذلكَ التَّوكُّلَ عَلى اللهِ تَعالى .

٢ـ بيانُ قُدرةِ اللهِ تَعالى العَظيمةِ في خَلْقِ السَّمواتِ والأرْضِ .

٣ـ الكافِرُ لا يَنتفعُ بالأدلَّةِ والبَيِّناتِ مَهْما كانتْ واضِحَةً .

٤ـ اضْطِرابُ النَّفْسِ الإنْسانيَّةِ عندَ حُصولِ النِّعْمَةِ، وسَلْبُها سَبَبُهُ عَدَمُ الإيمانِ باللهِ تَعالى واهبِ النِّعَمِ .

٥ـ عَلى الإنْسانِ أنْ لا يغْتَرَّ بالنِّعَمِ ، كَما عَلَيهِ أنْ لا يَيْأسَ مِنَ النِّقَمِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مُسْتَقرَّها ، مُسْتَوْدَعها ، لِيَبْلوَكُمْ ، أُمَّةً معدودةً ، حاقَ بِهِمْ .

---

(١) صحيح مسلم٤/ ٢٩٩٥ حديث رقم(٢٩٩٩) .

٢ـ بيّنت الآياتُ الكريمةُ بعض مظاهر قُدرةِ الله تعالى ، وضّحْ ذلك مُستشهدًا بالآيات الكريمةِ .

٣ـ بيّنت الآياتُ الكريمةُ طرفًا من غرورِ المُشركين ، وضّحْ ذلك .

٤ـ ذكرت الآياتُ الكريمةُ الإنسانَ واضطرابهُ بين حالَيْن ، بيّنْ ذلكَ .

٥ـ بيّن الفئة المُستثناة من اضْطِرابِ الإنسانِ بيْنَ الخيْرِ والشّرّ .

٦ـ ارْسُمْ صورةً منْ خلالِ الآياتِ الكريمة للإنسانِ الفَرِحِ البطِرِ ، وأُخْرى لليائِسِ العاجِزِ .

٧ـ هاتِ ما يدلُّ على أنّ أمْرَ المُؤمنِ كلّهُ لهُ خيرٌ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دفترِكَ حديثًا يُبيِّنُ فيه الرسولُ ﷺ كيف يرْزُقُ اللهُ الطّيْرَ .

٢ـ اكْتُبْ في دفترِكَ حديثًا يُبيِّنُ أنّ المُؤْمِنَ في خيرٍ دائمًا في السّراءِ والضّرّاءِ .

* * *

الدَّرسُ الخامِسُ والعِشرونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثّالِثُ

فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ
جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ
بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ
يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن
كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ : عارِضٌ لكَ الضّيقُ في الصَّدْرِ خَشيةَ تَكذيبِكَ .

افْتَراهُ : اخْتَلَقَهُ وكَذَبَهُ .

لا يَبْخَسونَ : لا يُنْقِصونَ مِنْها شَيْئاً .

حَبِطَ ما صَنَعوا : بَطَلَ وفَسَدَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعضاً مِنْ أحوالِ الإنْسانِ وما يَعتريهِ في حالي الضُّرِّ والنَّفْعِ ، بَيَّنَ لنا بعضَ ما كانَ مِنَ المُشرِكينَ مِنْ أقوالٍ وأفعالٍ ضاقَ بِها صَدْرُ النَّبيِّ ﷺ ، وبيّنَ اللهُ تَعالى كَيْفَ ثَبَّتَ نبيَّهُ وقوّاهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

ليسَ خافياً علينا أَيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ما يَفعلُهُ المُشركونَ مَعَكَ مِنْ تَكذيبٍ لِدَعْوَتِكَ ، ومِنْ جُحودٍ لِرسالَتِكَ ، ومطالِبَ يَطلُبونَها مِنْكَ ، فلا تُحاوِلْ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ إرْضاءَهُمْ أَنْ تَتركَ تِلاوةَ بعضِ ما يوحى إليكَ مِمّا يَشقُّ سَماعُهُ عَلَيْهِمْ كاحتقارِ آلهتِهِمْ ، خَوْفاً مِنْ قُبْحِ ردِّهِمْ واسْتِهزائِهِمْ ، وعسى أَنْ تَحُسَّ بالضّيقِ وأنْتَ تَتلوهُ ، لأَنَّهُمْ يَطلبونَ أَنْ يُنْزِلَ اللهُ تَعالى عَلَيْكَ كَنْزاً تَنعُمُ بهِ كالمُلوكِ ، أو يَجيءَ مَعَكَ مَلَكٌ يُخْبِرُهُمْ بِصِدْقِكَ ، فلا تُبالِ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ بعِنادِهِمْ ، فما أنتَ إلاّ مُنذِرٌ ومُحَذِّرٌ مِنْ عقابِ اللهِ تَعالى مَنْ يُخالِفُ أَمْرَهُ ، وقَدْ فعلتَ فأرِحْ نفسَكَ منهُمْ ، واعْلَمْ أَنَّ اللهَ تَعالى رَقيبٌ عَلى كلِّ شيءٍ ومُهَيْمِنٌ عَلَيْهِ ، وسَيفعَلُ بِهِمْ ما يَستحقّونَ . وهذهِ الآيةُ الكَريمةُ حَثٌّ للنَّبيِّ عَلى الثَّباتِ والصَّبْرِ وعلى تَبليغِ ما يوحى إليهِ ، معَ عدمِ المُبالاةِ بما يَضَعُهُ المُشركونَ في طريقهِ مِنْ عَقَباتٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى زَعْماً آخَرَ مِنْ مَزاعِمِ المُشركينَ الكَثيرةِ ، وهُوَ دَعْواهُمْ أَنَّ القُرْآنَ مُفْتَرىً ، فقالَ تَعالى :

﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

إنَّ هؤلاءِ المُشركينَ لَمْ يَكْتَفوا بما طَلَبوهُ منكَ يا مُحمّدُ ﷺ بلْ تَجاوزوا ذلِكَ إلى ما هو أشَدُّ منهُ جُرْماً ، وهو قولُهُمْ إنَّكَ افْتَرَيْتَ القرآنَ الكَريمَ واخْتَرَعْتَهُ مِنْ عندِ نفسِكَ ، فقلْ لَهُمْ عَلى سبيلِ التَّحدّي : إنْ كانَ الأمْرُ كما تَزْعُمونَ أَنّي قدِ افْتَرَيْتُ هذا القرآنَ ، فأنا واحدٌ منكُمْ وبَشَرٌ مِثْلُكُمْ ، فهاتوا عَشْرَ سُوَرٍ مُخْتَلَقاتٍ مِنْ عندِ أنفسِكُمْ تُشبِهُ ما جِئْتُ بِهِ ـ حَسَبَ زَعْمِكُمْ ـ في حُسْنِ النَّظْمِ ، وبَراعةِ الأُسلوبِ ، وحِكْمةِ المَعْنى ، وادْعوا لِمُعاوَنَتِكُمْ في بُلوغِ هذا الأمْرِ كلَّ مَنْ تَتوسَّمونَ فيه المُعاوَنَةَ غيرَ اللهِ تَعالى .

وبَعْدَ هذا أكَّدَ اللهُ تَعالى أنَّ هذا القُرآنَ مِنْ عندِهِ هُوَ لا مِنْ غَيْرِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قلْ يا أَيُّها الرَّسولُ الكريمُ ﷺ لِهؤلاءِ الَّذينَ تَحدَّيْتَهُمْ أنْ يأتوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِ سُوَرِ القرآنِ الكَريمِ ، مُسْتَعينينَ بِمَنْ يَسْتَطيعونَ فِعْلَ ذلِكَ ، قلْ لَهُمْ : فإنْ لَمْ يَستجبْ لكُمْ مَنِ اسْتَعنتُمْ بِهِمْ ، فاعْلَموا أَيُّها النّاسُ أَنَّ هذا القرآنَ إنّما أُنْزِلَ بعِلْمِ اللهِ تَعالى وَحْدَهُ وبقُدْرَتِهِ وَحْدَهُ ، ولا يَقْدِرُ عَلى إنْزالِهِ أَحدٌ سِواهُ ، واعْلَموا أَيْضاً أنَّهُ لا إلهَ إلاّ اللهُ سُبْحانَهُ ، فهو الإلهُ الحَقُّ الّذي تعنوا لَهُ الوُجوهُ ، وتَخْضَعُ لهُ القُلوبُ ، وتَتَّجِهُ إليهِ النُّفوسُ بالعبادةِ والطّاعةِ ، فهلْ أنْتُمْ أَيُّها المُشركونَ بَعْدَ تلك الأدلَّةِ

الواضحةِ الدّالّةِ عَلى وَحْدانيةِ اللهِ تَعالى ، وعلى أنَّ هذا القُرْآنَ الكَريمَ مِنْ عندِهِ ، فهلْ أنتُمْ مُسْلمونَ ، داخِلونَ في الإسْلامِ ، ومُتَّبِعونَ لِما جاءَكُمْ بهِ الرّسولُ ﷺ ؟

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى سوءَ المَصيرِ لِلَّذينَ لا يُريدونَ بأقوالِهِمْ وأعمالِهِمْ وَجْهَ اللهِ تَعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

مَنْ كانَ يُريدُ بأقوالِهِ الحُسْنى وبأعْمالِهِ الطَّيِّبَةِ ـ عَلى حَسَبِ الظاهِرِ ـ الحصولَ عَلى الحياةِ الدُّنْيا وزينَتِها مِنْ مالٍ وجاهٍ ومَنْصِبٍ وغيرِ ذلِكَ مِنَ المُتَعِ الدُّنيويَّةِ ، مِنْ دونِ التفاتٍ إلى ما يُقرِّبُهُ مِنْ ثوابِ الآخِرَةِ ، مَنْ كانَ يريدُ ذلِكَ فإنّا نوصِلُ إليْهِمْ بإرادَتِنا وَمشيئَتِنا ثِمارَ جُهودِهِمْ وأعْمالِهِمْ في هذهِ الدُّنْيا ، وهُمْ في هذه الدُّنْيا لا يُنْقَصونَ شيئاً مِنْ نتائجِ جُهودِهِمْ وأعْمالِهِمْ ، حتّى ولوْ كانتْ جُهوداً لا إخْلاصَ مَعَها ولا إيمانَ ، فهُمْ يَأْخذونَ أُجورَهُمْ غيرَ مَنقوصةٍ في هذهِ الدُّنْيا .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى سوءَ مَصيرِ هؤلاءِ في الآخِرَةِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ .

أولئكَ الَّذينَ قَصَروا هَمَّهُمْ على الدُّنْيا وزينَتِها ، ليسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إلاّ عذابُ النّارِ ، وبَطَلَ نَفْعُ ما صَنعوهُ في الدُّنْيا ، لأنَّهُ لم يَكُنْ للآخِرَةِ فيهِ نَصيبٌ ، وهو في نفسِهِ باطلٌ أيْضاً ، لأنَّ العَمَلَ الّذي لا يُفيدُ السَّعادةَ والهَناءةَ كأنَّهُ لَمْ يَكُنْ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ليسَ عَلى الرَّسولِ إلاّ البَلاغُ المُبينُ .

٢ـ يَطْلُبُ الكافِرونَ طَلَباتِ المُتَعنِّتينَ الّتي ليسَ مِنْ غايَتِها الوُصولُ إلى الهِدايةِ .

٣ـ ضَرورةُ الصَّبْرِ والثَّباتِ عَلى الدَّعوةِ إلى اللهِ تَعالى بالرَّغمِ مِنْ كُلِّ العَقَباتِ .

٤ـ مزاعِمُ المُشرِكينَ حوْلَ القُرْآنِ الكريمِ والنَّبيِّ ﷺ لا تَنْقَطِعُ .

٥ـ العَمَلُ المَقبولُ عندَ اللهِ تَعالى هو ما أُريدَ بِهِ وجْهُ اللهِ سُبْحانَهُ وتَعالى .



أجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ضائِقٌ ، افْتَراهُ ، لا يَبْخسونَ ، حَبطَ ما صَنَعوا .

٢ـ ذَكَرَتِ الآياتُ الكَريمةُ بعضاً مِنْ طَلَباتِ المُشرِكينَ ، بيِّنْ هذهِ الطَّلَباتِ .

٣ـ علامَ يدلُّ إرْخاءُ العِنانِ للمُشْرِكينَ لِيَسْتَنْصِروا بِمَنْ شاءوا في تَحدّي القُرآنِ ؟

٤ـ بيِّنِ الآيةَ الّتي تَدُلُّ عَلى أنّ مَنْ رَغِبَ في الحياةِ الدُّنْيا تَحقَّقتْ لهُ رَغبتُهُ بإرادةِ اللهِ تَعالى .

٥ـ بيِّنْ جزاءَ الَّذينَ لا يُريدونَ وَجْهَ اللهِ تَعالى بما يَعْمَلونَ .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما طَلَبهُ المُشرِكون مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ كما بيَّنَتْهُ آياتُ سورةِ الإسْراءِ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ البَقرةِ الّتي تُبيِّنُ تحدّياً آخَرَ للمُشْرِكينَ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّادِسُ والعِشْرونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الرّابِعُ

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ
أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ
مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ
أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا
لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ
يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ
أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا
خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **يَتْلوهُ** : يَتْبَعُهُ .
- **شاهِدٌ** : القُرآنُ .
- **الأَشْهادُ** : الشُّهودُ .
- **يَصدّونَ** : يَمْنَعونَ
- **يَبغونَها عِوَجاً** : يُريدونَها مُعْوَجَّةً .
- **لا جَرَمَ** : حقّاً .
- **أَخْبَتوا** : خَشَعوا وخَضَعوا .



بَعْدَ أن بَيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ الَّذينَ يُريدونَ الحياةَ الدُّنيا وزينتَها ، أَتْبَعَ ذلِكَ بِموازَنَةٍ بَيْنَ هؤلاءِ والمُؤْمِنينَ ، فَقالَ تَعالى :

﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

أَفَمَنْ كانَ يَسيرُ في حياتِهِ عَلى بَصيرةٍ وهِدايةٍ مِنْ ربِّهِ ، ويَطْلُبُ الحَقَّ مُخْلِصاً ، ومعَهُ شاهِدُ الصِّدْقِ مِنَ اللهِ تَعالى وهُوَ القرآنُ الكريمُ ، وشاهِدٌ مِنْ قَبْلِهِ وهو كتابُ موسى عَلَيْهِ السّلامُ الّذي أَنْزَلَهُ اللهُ تَعالى قُدوَةً يَتَّبِعُ ما جاءَ بِهِ ، ورحمةً لِمُتَّبعيهِ ، كَمَنْ يَسيرُ في حياتِهِ عَلى ضَلالٍ وعَمايةٍ ، فلا يَهتمُّ إلاّ بمتاعِ الدُّنْيا وزينَتِها ؟ أولئِكَ المُؤْمِنونَ هُمُ الَّذينَ أنارَ اللهُ تَعالى بَصائِرَهُمْ ، فهُمْ يُؤْمِنونَ بالنَّبيِّ والكِتابِ الّذي أنْزَلَ عَلَيْهِ ، ومَنْ يكفُرُ بهِ مِمّنْ تَأَلَّبوا عَلى الحَقِّ وتَحزَّبوا ضِدَّهُ ، فالنّارُ مَوْعِدهُ يومَ القيامةِ ، فلا تَكُنْ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ في شَكٍّ مِنْ هذا القرآنِ ، إنّهُ الحقُّ النّازِلُ مِنْ عندِ ربِّكَ ، لا يَأْتيهِ باطِلٌ ، ولكنَّ أكثرَ النّاسِ تُضِلُّهُمُ الشّهواتُ ، فلا يؤمِنونَ بما يَجِبُ الإيمانُ بهِ .

وبِهَذا نَرى أنَّ الآيَةَ الكَريمةَ قدْ مَيَّزَتْ مَنْ كانَ عَلى الحَقِّ ومَنْ كانَ عَلى الباطِلِ ، وساقَتْ بعضَ الأدلَّةِ الدّالَّةِ عَلى صِدْقِ الرّسولِ ﷺ في دَعْوَتِهِ ، وعَلى صِحَّةِ ما عَلَيْهِ أَتْباعُهُ ، وأَمَرَتْهُمْ بالثَّباتِ عَلى الحَقِّ الّذي آمنوا بهِ ، وتوعَّدَتِ المُتَحزِّبينَ ضِدَّ دَعْوَةِ الإسلام بنارِ جَهَنَّمَ الّتي هيَ بِئْسَ القرارُ .

وبعدَ ذلِكَ تحدَّثَتِ الآياتُ الكَريمةُ عنِ الَّذينَ كَفروا بالإسْلامِ وَوَصَفَتْهُمْ بأوصافٍ مُتعدّدةٍ ، تدلُّ عَلى مَبلغِ ما هُمْ فيهِ مِنَ السّوءِ والباطِلِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

ولَيْسَ أحدٌ أكْثَرُ ظُلْماً لِنفسهِ وبُعْداً عنِ الحَقِّ مِنَ الّذينَ يَخْتَلِقونَ الكَذِبَ ويَنْسبونَهُ إلى اللهِ تَعالى ، إنَّ هؤلاءِ سَيُعْرَضونَ يومَ القيامةِ على ربِّهِمْ لِيُحاسِبَهُمْ على ما عَمِلوا مِنْ سوءٍ ، فيقولُ الأشْهادُ مِنَ الملائِكةِ والأَنْبياءِ وغيرِهِمْ : هؤلاءِ هُمُ الّذينَ ارتَكَبوا أفْظَعَ الجرائِمِ والظُّلمَ بالنّسبةِ لِخالِقِهِمْ ، إنَّ لعنةَ اللهِ تَعالى سَتَقَعُ عَلَيْهِم لأنَّهُمْ هُمُ الظّالِمونَ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى جانِباً آخرَ مِنْ أفعالِهِمُ الشَّنيعةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ١٩ ﴾

ألا لَعْنَةُ اللهِ تَعالى عَلى الظّالِمينَ ، الَّذينَ مِنْ صِفاتِهِمْ أَنَّهُمْ لا يَكتفونَ بانْصِرافِهِمْ عَنِ الحَقِّ ، بلْ يُحاوِلونَ صَرْفَ غيرِهِمْ عنهُ ، ويَطلبونَ لِمِلَّةِ الإسلامِ العِوَجَ ، ويَبغونَها كذلكَ تَنفيراً للنّاسِ مِنْها ، ذلكَ لأَنَّهِمْ يُريدونَ هذهِ المِلَّةَ أَنْ تكونَ مُوافِقةً لأهوائِهِمْ وشَهَواتِهِمْ ، فلمّا كانتْ غيرَ ذلِكَ ، لم يَجِدوا مِنْ وَسيلةٍ سوى أَنْ يَصِفوها بأقذَعِ الأوصافِ عندَهُمْ ، حتّى يَصدّوا النّاسَ عنها ، هؤلاءِ فوقَ ما يَفعلونَ هُمْ بالآخِرَةِ كافِرونَ مُكذِّبونَ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْدَ هذا أنّهُ سُبْحانَهُ قادِرٌ عَلى عذابِهِمْ في الدُّنْيا قَبْلَ الآخِرَةِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ أخَّرَ عذابَهُمْ إملاءً لهمْ وإمْهالاً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ٢٠ ﴾ .

أولئكَ الكافِرونَ ، لم تَكُنْ لهمْ قُوّةٌ تُعْجِزُ اللهَ تَعالى عنْ أَخْذِهِمْ بالعَذابِ في الدُّنيا ، ولَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَنْ يَنْصُرُهُمْ ويَمنَعُ عَنْهُمْ عذابَ اللهِ لو شاءَ أَنْ يُعَجِّلَهُ لَهُمْ ، وأنّ العذابَ سَيَقعُ عَليْهِمْ في الدّنْيا ، لأَنَّهُمْ كَرِهوا أَنْ يَسْمَعوا القرآنَ الكريمَ لِثِقَلِهِ عَلى نُفوسِهِمُ الخَبيثةِ الفاسِدَةِ ، وكَرِهوا أَنْ يُبْصِروا آياتِ اللهِ تَعالى في الكَوْنِ ، وكَرِهوا أَنْ يُبْصِروا المُعْجِزاتِ الدّالّةَ عَلى صِدْقِ رسولِهِ ﷺ ، كَأَنَّهُمْ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وعِنادِهِمْ وخُبثِ نُفوسِهِمْ لمْ يكونوا يَستطيعونَ أَنْ يَسمعوا أو يُبْصِروا .

ثُمَّ أكَّدَ اللهُ تَعالى سوءَ مَصيرِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢١ ﴾

أولئكَ الكافِرونَ خَسِروا أَنْفُسَهُمْ ، وغابَ عنهمْ في الآخِرَةِ ما كانوا يَفْتَرونَ مِنْ أكاذيبَ ودَعاوى باطلةٍ ، وما كانوا يَعبدونَ مِنَ الآلِهةِ الباطِلَةِ ويَزْعُمونَ أَنَّهُمْ يَنفعونَهُمْ أو يَشفعونَ لَهُمْ ، فإنَّ يومَ القيامةِ هو يومُ الحَقائقِ الّتي لا زيفَ فيها ولا افْتِراءَ .

ثُمَّ أكَّدَ اللهُ تَعالى خُسرانَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ ﴾

حقّاً ، إنّهم في الآخِرَةِ أشدُّ النّاسِ خُسْراناً .

وبعدَ ذلِكَ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حُسْنَ عاقبةِ المُؤْمنينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

إنّ الّذينَ آمَنوا باللهِ تعالى إيمانا حقّا ، وعَمِلوا الأعْمالَ الصّالحاتِ الّتي تُرْضيهِ سُبْحانَهُ ، واطْمَأنّوا إلى قضاءِ ربّهِمْ وحُكْمِهِ ، وخشعوا لهُ وخضَعوا ، أُولئكَ المَوْصوفونَ بذلك هُمْ أصحابُ الجنَّةِ ، وهُمُ الخالِدونَ فيها خُلودا أبَديّا ، وهُمُ الّذينَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ ورَضوا عَنْهُ .

ثُمَّ ضَرَبَ اللهُ تَعالى مَثَلا لِفريقِ الكافِرينَ وفريقِ المُؤْمِنينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾

مَثَلُ الفَريقيْنِ : المُؤْمِنينَ والكافِرينَ ، كالأعْمى الّذي يَسيرُ على غَيْرِ هُدىً والأصَمِّ الّذي لا يَسْمَعُ ما يُرشِدُهُ إلى النَّجاةِ ، وكقويِّ البَصَرِ الّذي يَرى طريقَ الخيْرِ والنَّجاةِ ، وقَويِّ السَّمْعِ الّذي يَسمعُ كلَّ ما يَنفعُهُ ، هذانِ الفريقانِ لا يستويانِ في الحالِ والمآلِ . أفلا تَتفكَّرونَ أيُّها النّاسُ فيما بَيْنَكُمْ مِنَ التَّبايُنِ وتَتَّعظونَ فتُفرّقونَ بينَ الباطلِ والحَقِّ ، فَتَبْتَعِدوا عنْ طريقِ الباطِلِ والضَّلالِ وتَسيروا على طريقِ الحقِّ المُستقيمِ ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروسٍ وعِبرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الكافِرُ أعْمى البَصيرةِ فلا يَنفَعُهُ بَصَرُهُ ، والمُؤْمِنُ اسْتنارتْ بَصيرَتُهُ .

٢ـ الحقُّ بَيِّنٌ لا خَفاءَ فيهِ ولا غُموضَ .

٣ـ الكَذِبُ على اللهِ تعالى والصَّدُّ عنْ سبيلهِ مِنْ أعظمِ الجَرائِمِ .

٤ـ اللهُ تَعالى لا يُعْجِزُهُ شيءٌ ، وهو يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

يَتْلوهُ ، شاهِدٌ ، الأَشْهادُ ، يَصدّونَ ، يَبغونَها عِوَجاً ، لا جَرَمَ ، أخْبَتوا .

٢ـ هاتِ الدّليل عَلى ما يلي :

أ ـ الكافِرُ لا يَنتفِعُ بحواسِّهِ .

ب ـ التَّوراةُ الّتي أُنْزِلَتْ عَلى موسى عَلَيْهِ السّلامُ مُؤيّدةٌ للقرآنِ الكَريمِ .

ج ـ مَنْ تَحزَّبَ ضِدَّ الإسلام فالنّارُ مَوْعِدُهُ .

د ـ لا أعْظَمَ مِنَ الكذبِ عَلى اللهِ تَعالى .

هـ ـ اللهُ تَعالى يُمهِلُ ولا يُهْمِلُ .

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ مَجموعةً مِنْ أوصافِ المُشْرِكين ، هاتِ خَمْساً مِنْها معَ ذِكْرِ الدّليلِ عَلَيْها .

٤ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ نِهايةَ المُشْرِكينَ ومَصيرَهُمْ في الآخِرَةِ ، اذْكُرِ الدَّليلَ عَلى ذلِكَ .

٥ـ صوَّرَتِ الآيةُ الأخيرةُ المُؤْمِنينَ والكافِرينَ بِصورَتَيْنِ مُختَلِفتيْنِ ، وضِّحْ هاتَيْنِ الصّورَتَيْنِ .

نَشاطٌ :

اكتبْ في دَفْتَرِكَ آيةً تدلُّ على أنَّ الكافِرينَ لا يَستخدمونَ حواسَّهُمْ للوُصولِ إلى الحَقِّ .

* * *

وهكذا يَعتقدُ اليومَ كثيرٌ مِنَ النّاسِ أنَّ الشَّرَفَ والتّقدُّمَ إنّما هُوَ بحيازةِ الدُّنْيا ، فكانَ الأشْرَفَ عِندَهُمْ مَنْ لهُ جاهٌ ومالٌ ، يَعتقدونَ ذلِكَ ويَبنونَ عَلَيْهِ إكْرامَهُمْ وإهانَتَهُمْ ، ولقدْ غابَ عَنْ هؤلاءِ أنَّ التّقدُّمَ في الدُّنْيا معَ تَرْكِ الآخِرَةِ لا يُقرِّبُ أحَداً مِنَ اللهِ تَعالى وإنَّما يُبعِدُهُ ، ولا يَرْفَعُهُ بلْ يَضَعُهُ ، ولِهذا فإنَّ العِلَلَ الثّلاثَ الّتي تَعلَّلَ بها قومُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ تأييداً لِكُفْرِهِمْ هي : أوّلاً : أنّه بَشَرٌ مثلُهُمْ ، ثانياً : أنَّ أتْباعَهُ من فُقَرائِهِمْ ، وثالثاً : أنّهُ لا مِزيةَ لهُ ولأتباعِهِ عَلَيْهِمْ . وهيَ كُلُّها عِلَلٌ باطِلَةٌ تَدُلُّ على جَهْلِهِمْ وانْطِماسِ بَصيرَتِهِمْ ، ولِذلكَ ردَّ عَلَيْهِم نَبيُّ اللهِ تَعالى نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ بقولِهِ :

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

قالَ نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ : يا قومي وأهْلي وعَشيرَتي الّذينَ يَسرُّني ما يَسرُّهُمْ ويُؤلِمُني ما يُؤْلِمُهُمْ : أخْبروني إنْ كنتُ عَلى بصيرةٍ مِنْ أمْري وحُجَّةٍ واضِحَةٍ مِنْ ربّي بها يَتبَيَّنُ الحَقُّ مِنَ الباطِلِ ، ومَنَحني كذلكَ بِفَضْلِهِ وإحْسانِهِ النُّبوَّةَ الّتي هي طريقُ الرَّحمةِ ، واتَّبَعَ مَنْ اختارَهُ لها ، فَأَخْفَيْتُ عَلَيْكُم هذهِ الرَّحمةَ ، وغابَ عنكُمُ الانْتِفاعُ بِهداياتِها ، لأنّكُمْ مِمّنِ اسْتَحبَّ العَمى عَلى الهُدى ، فهلْ أستطيعُ أنا وأتْباعي أنْ نُجبرَكُمْ إجْباراً ، ونَقْسُرَكُمْ قَسْراً عَلى الإيمانِ بي والتَّصديقِ بِنُبُوَّتي ، والحالُ أنّكُمْ كارِهونَ لَها نافِرونَ منها ؟ كلاّ لا نَستطيعُ ذلكَ ، لأنَّ الإيمانَ الصّادِقَ يكونُ عَنِ اقتناعٍ واخْتيارٍ لا عَنْ كُرْهٍ وإجْبارٍ .

ثُمَّ وجَّهَ نوحٌ عليهِ السّلامُ نداءً ثانياً إلى قومِهِ زيادةً في التَّلطُّفِ مَعَهُمْ وطَمَعاً في إثارَةِ وُجدانِهِمْ نحوَ الحَقِّ ، فقالَ تَعالى حاكياً ذلِكَ عنهُ :

﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

يا قَوْمِ ، لا أطلبُ مِنْكُمْ عَلى تَبليغِ رسالةِ ربّي مالاً ، وإنَّما أطلبُ الأجْرَ والثَّوابَ مِنَ اللهِ تعالى ، وما أنا بطارِدِ الّذينَ آمَنوا بربِّهِمْ عنْ مَجْلِسي ومُعاشَرَتي لِمُجَرَّدِ احْتِقارِكُمْ لَهمْ ، فإنْ فعلتُ ذلكَ فسوفَ يَشكونَني إلى اللهِ يومَ القيامةِ إنْ طَرَدْتُهُمْ لِفَقرِهِمْ ، وهذا الّذي تَطلبونَ جَهْلٌ منكُمْ . وهلْ يَصِحُّ أنْ يَتفاضَلَ الخَلْقُ عندَ اللهِ تَعالى بِسَبَبِ الغِنى والجاهِ كما تَزْعُمونَ ؟ أمْ باتِّباعِ الحقِّ وعَمَلِ الخَيْرِ ؟

ثُمَّ وجَّهَ نوحٌ عليهِ السّلامُ لَهُمْ نداءً ثالثاً لعلَّهُمْ يَفيئونَ إلى رُشدِهِمْ ، فقالَ تعالى حكايةً عنهُ :

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

افْتَرِضوا يا قوم أنّي طردْتُ هؤلاء المُؤْمنين الفُقراء من مجلسي ، فمَنْ ذا الّذي يحميني ويُجيرُني مِنْ عذابِ الله تعالى ؟ فاللهُ تعالى ميزانُهُ في تقويم النّاس ليس كميزانكُمْ ، إنّ أكْرم النّاس عند الله تعالى هو أتْقاهُمْ وليس أغناهُمْ ، وهؤلاءِ المُؤْمِنونَ الفُقراءُ هُمْ أكرمُ عندهُ سُبحانهُ منكُمْ ، فكيف أطْرُدُهُمْ ، أفلا تتذكَّرون هذا الأمْر فتؤمنوا وتُصدِّقوا ؟

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشدُ الآياتُ الكريمةُ إلى دُروس وعبر كثيرة ، منْها :

١ـ رسالةُ النّبيّ ﷺ إلى النّاس ليْست بدْعا ، بلْ قدْ سبقها رسالاتٌ كثيرةٌ لأنبياء آخرين .

٢ـ ما مِنْ نبيّ إلاّ أمر قومهُ بعبادة الله وطاعته وحذّرهم من الكُفْر به ومعصيته

٣ـ إنّ أكثر النّاس عداء وصدّا عنْ دين الله تعالى هُم أصحابُ المال والجاه .

٤ـ على الدّاعِيةِ إلى الله تعالى أنْ لا ينساق إلى رغبات النّاس وشهواتهمْ .

التَّقْويمُ :

أجِبْ عنِ الأسئلة التّالية :

١ـ هاتِ معانِي المُفْردات والتّراكيب التّالية :

بادِيَ الرّأْيِ ، فضْل ، عُمّيت عليْكُمْ ، أنُلْزِمُكُموه .

٢ـ ما الفوائدُ الّتي يُمْكِنُ أنْ نستفيدها مِنْ قصص الأنبياء عليْهِمُ السّلامُ ؟

٣ـ ما جوْهرُ رسالة نوح عليْه السّلامُ ؟

٤ـ ما الفرْقُ بين « عذاب يوم أليم » و« عذاب أليم » ؟

٥ـ بيّنْ دوْر الملأ في مُواجهة رسالات الأنبياء عليْهِمُ السّلامُ .

٦ـ يَعْتَقدُ كَثيرٌ مِنَ النّاسِ أنّ الشّرَفَ والمالَ والجاهَ هِيَ عَناوينُ التّفاضُلِ بينَ النّاس :

أ ـ هلْ هذا الاعتقادُ صحيحٌ ؟

ب ـ كيفَ تُعالِجهُ مِنْ خلالِ هذهِ الآياتِ الكَريمةِ ؟

٧ـ بيّنِ العِلَلَ الّتي تَعلَّلُ بها قَوْمُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ لِكُفْرِهِمْ .

نَشاطٌ :

١ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ أَسماءَ الأنْبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ الَّذينَ ورَدَ ذِكْرُهُمْ في هذهِ السّورةِ .

٢ ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحُجُراتِ الّتي تُبيِّنُ سَبَبَ الكَرامةِ للإنْسانِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثَّامِنُ والعِشْرونَ

سورَةُ هودٍ - القِسْمُ السّادِسُ

وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ
أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ يَٰنُوحُ قَدْ
جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ
ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن
يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠
بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

خزائنُ اللهِ : أنواعُ رِزْقِهِ الّتي يَحتاجُ إليها عِبادُهُ .
تَزْدَري أعيُنُكُمْ : تَحتقِرُ وتَنْتَقِصُ .
جادَلْتَنا : خاصَمْتَنا ونازَعْتَنا .
نُصْحي : إرْشادي وتَحَرّي الصّلاحَ لكُمْ .
يُغْوِيَكُمْ : يُضِلَّكُمْ .
افتَراهُ : اخْتَلقَهُ كَذِباً مُتعمِّداً .
عليَّ إجْرامي : عليَّ إثمُ اقْتِرافي الذَّنْبَ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذَكَرَ اللهُ تعالى حُجَجَ قوم نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، أخَذَ في تَفنيدِ شُبُهاتِهِمْ وفي دَحْضِ مُفْتَرياتِهِمْ وفي تَعريفِهِمْ بِحَقيقةِ أمْرِهِمْ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِىٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّىٓ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

ولا أقولُ لكُمْ : إنَّ عندي خزائن رزق الله تعالى أتصرَّفُ فيها كما أشاءُ ، فأجعلُ من يتبعُني غنيًا ، ولا أقولُ إنّي أعلمُ الغيب فأُخبرُكم بما اختصَّ به علْمُ اللهِ تعالى الّذي لا يعلمُهُ أحدٌ من العباد ، ولا أقولُ إنّي ملكٌ ، بلْ أنا بشرٌ مثلُكُمْ ، آكلُ ممّا تأكلون منهُ ، وأشربُ ممّا تشربون منهُ ، إلاَّ أنَّ اللهَ تعالى قد اختصَّني منْ بينكُمْ بالنُّبوّة ، ولا تعارُضَ بين كوني بشرا وبَيْن بعثي لَكُمْ رسولا ، كما تزعُمون حيثُ قلتُمْ : ﴿ما نراك إلاّ بشرا مثلنا﴾ ولا أقولُ عن الّذين تحتقرونهُمْ إنَّ اللهَ تعالى لنْ يؤتيهُمْ خيْرا ، إرضاء لرغباتكُمْ ، لأنَّ الله تعالى وحْدهُ هو الّذي يعلمُ ما في أنفسهمْ منْ إخلاص ، إنّي إذا قلتُ لهُمْ ما تُحبّونهُ أكونُ منْ زمْرة الظّالمين لأنْفسهمْ ولغيرهمْ .

ولمّا شرح نوحٌ عليْه السّلامُ لقومه بأسلوب مُهذّب حكيم حقيقة أمْره ، وردّ على شُبُهاتهم ، لجأوا إلى أسلوب التّحدي ، وقدْ أخذتْهُمُ العزّةُ بالإثم :

﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

قالوا يا نوحُ عليْه السّلامُ : قد خاصمتنا ونازعْتنا لنُؤْمن بكَ ، فأكْثرْت في ذلكَ حتّى لَمْ تتْرُكْ لنا منفذا لنردّ عليك ، ولقدْ سئمْنا مُجادلتك لنا ومللْناها ، فأْتنا بالعذاب الّذي تتوعّدُنا به إنْ كنتَ من الصّادقين في دعواك النُّبوّة ، وفي وعيدك لنا بعقابِ اللهِ تعالى ، فإنّنا مُصرّون على عبادةِ آلهتِنا ، وكارهون لما تدْعون إليه .

وهكذا شأنُ الجاهل المُعاند ، إنّهُ يُشهرُ السّيفَ إذا أعْجزتْهُ الحُجّةُ ، ويُعْلنُ التّحدّي إذا يئس عن مواجهة الحقّ .

ولكنّ نوحا عليْه السّلامُ لمْ يُخرجْهُ هذا التّحدّي عن سمْته الكريم ، ولمْ يُقْعدْهُ عنادُ قوْمِهِ عنْ مُداومة النّصْح لهُمْ وإرشادهمْ إلى الحقيقة الّتي ضلّوا عنْها ، فقال في الرّدّ عليْهمْ ما حكاهُ اللهُ تعالى عنهُ بقوله :

﴿ قَالَ إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

قال لهم نوحٌ عليه السّلامُ : إنّما يأتيكُم بهذا العذاب الّذي تستعجلونهُ اللهُ تعالى وحْدهُ إنْ شاء ذلك ، لأنّهُ هو الّذي يملكُهُ ، وما أنتم بمستطيعين الهُروب منْ عذابه تعالى متى اقتضتْ مشيئتُهُ سُبحانهُ إنزالهُ بكُمْ ، لأنّهُ تعالى لا يُعجزُهُ شيءٌ .

ثمّ إنّ نوحا عليْه السّلامُ أضاف إلى هذا التّعريف بقدرته تعالى تعريفا آخر بشمولِ إرادته ، فقال :

﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

لا يَنْفعُكُمْ نُصْحي لِمُجرَّدِ إرادَتي الخَيْرَ لكُمْ ، إنْ كانَ اللهُ تعالى يُريدُ أنْ تضلّوا ، لِعلْمِهِ وتقديرِهِ فسادَ قلوبِكُمْ حتّى صارتْ لا تَقبَلُ حقّاً ، وهو سُبْحانَهُ ربُّكُمْ وسَيُرْجِعُكُمْ إليهِ يومَ القيامةِ ، ويُجازيكُمْ عَلى ما كُنتمْ تعملونَهُ .

وهكذا نَرى أنّ نَبيَّ اللهِ نوحاً عَلَيْهِ السّلامُ قدْ سَلَكَ في دَعْوتِهِ إلى اللهِ تعالى أحْكَمَ السُّبُلِ ، واسْتَعْمَلَ أبلغَ الأساليبِ ، وصَبَرَ عَلى سَفاهةِ قومِهِ صَبْراً جميلاً . وعندَ هذا الحَدِّ مِنْ قصّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ معَ قومِهِ ، تَنتقِلُ السّورَةُ الكَريمةُ انْتِقالاً سَريعاً إلى الحديثِ عَنْ مُشْرِكي مَكّةَ الّذينَ أنْكَروا أنْ يكونَ القُرآنُ الكَريمُ مِنْ عندِ اللهِ تَعالى ، ووَقَفوا مِنْ نَبيِّهِمْ ﷺ مَوْقِفاً يُشبِهُ مَوْقِفَ قومِ نوحٍ مِنهُ عَلَيْهِ السّلامُ ، قالَ تَعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

لقدْ سُقْنا لكَ يا محمّدُ ﷺ مِنْ أخبارِ السّابقينَ ، ما هُوَ الحَقُّ الّذي لا يَجولُ حولَهُ باطلٌ ، ولكنَّ المُشركينَ مِنْ قومِكَ لم يَعتبروا بذلكَ ، بلْ يَقولونَ إنّكَ قدِ افْتَرَيْتَ هذا القُرآنَ ، قلْ لهُمْ : إنْ كنتُ قدِ افْتَرَيْتُهُ ـ على سبيلِ الفَرَضِ ـ فَعَلَيَّ وحْدي تقعُ عُقوبَةُ إجْرامي وافْتِرائي الكَذِبَ ، وأنا بريءٌ مِنْ عُقوبةِ إجرامِكُمْ وافْتِرائِكُمُ الكَذِبَ .

وإلى هنا رأيْنا الآياتِ قدْ حَكَتْ لنا جانباً مِنْ مُجادَلةِ قومِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ لهُ ومِنْ تَطاوُلِهِمْ عَلَيْهِ ، ومِنْ تحدّيهِمْ لِدعْوَتِهِ ، كَما حَكَتْ لنا رَدَّهُ عليْهِمْ بأُسلوبٍ حكيمٍ جَعَلَهُمْ يَعجَزونَ عَنْ مُجابَهتِهِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَنبغي للدّاعيةِ إلى اللهِ تَعالى أنْ لا يَمَلَّ دَعْوَتَهُ ، وعليهِ أنْ يكونَ عالِماً بها .

٢ـ لا يَتوانى الكُفّارُ في احتقارِ المُؤْمنينَ وازْدِرائِهِمْ ، وعلى المُؤْمِنينَ ألاّ يَحْفَلوا بذلكَ وأنْ تكونَ ثِقَتُهُمْ باللهِ كبيرةً .

٣ـ لَمْ يتوانَ أهلُ الكُفرِ والإلْحادِ مِنْ إلصاقِ أشْنَعِ التُّهَمِ بالنَّبيِّ ﷺ وبالقرآنِ الكَريمِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

خَزائِنُ اللهِ ، تَزْدَري أعيُنُكُمْ ، جادَلْتَنا ، نُصْحي ، يُغْوِيَكُمْ .

٢ـ كيفَ بيّنَ نبيُّ اللهِ تَعالى نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ حقيقةَ نَفْسِهِ لقومِهِ ؟

٣ـ ماذا كانَ موقِفُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ منهُ بعدَ أنْ بيّنَ لَهُمْ حقيقَةَ نَفْسهِ لقومِهِ ؟

٤ـ بيّنْ موقِفَ مُشْرِكي العَرَبِ مِنَ القُرآنِ الكَريمِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والعِشْرونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ السّابِعُ

وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ
وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا
تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ
أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ
ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى
لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

تَبتئِسْ	: تَغْتَمّ .
الفُلْك	: السّفينةَ .
بأعيُنِنا	: بِمُلاحَظَتِنا ومُراقَبَتِنا .
سَخِروا مِنهُ	: اسْتَهزَءوا وضَحِكوا .
فارَ التّنورُ	: نَبعَ الماءُ مِنَ المَكانِ الّذي يُخْبَزُ فيهِ ، وجعلَ ذلكَ علامةً لبدءِ أمْرِ اللهِ تَعالى .
سَبقَ عَلَيْهِ القَوْلُ	: مَضى فيهِ قضاءُ اللهِ تَعالى أنّهُ مِنَ الكافِرينَ الهالِكينَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذكرتْ لنا السّورَةُ الكَريمةُ ما دارَ بينَ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ وقومِهِ ، حدَّثَتْنا عَمّا أمَرَهُ اللهُ بهِ قَبْلَ صُنْعِهِ السَّفينةَ .

﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

بَعْدَ أنِ اسْتَمرَّ قومُ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ في طُغيانِهِمْ ، وصَمّوا آذانَهُمْ عنْ سَماعِ دَعوتِهِ ، أَوْحى اللهُ تَعالى إلى نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، أنّه لنْ يُصدِّقَكَ ويُذْعِنَ للحقِّ مِنْ قومِكَ أحدٌ بَعْدَ الآنِ ، غيرُ مَنْ سبقَ منهُ الإيمانُ قبلَ ذلكَ ، وعليكَ أنْ تكتفيَ بِمَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمِنينَ ، وأنْ لا تَحْزَنَ ولا تَغْتَمَّ بسببِ ما كانَ قومُكَ يَفعلونَهُ مَعَكَ مِنْ تكذيبٍ وإيذاءٍ ، فاللهُ تَعالى سَينتَقِمُ منهُمْ قَريباً .

ثُمَّ يأمُرُ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ نوحاً عَلَيْهِ السّلامُ أنْ يَبْدأَ بِصُنْعِ السَّفينةِ ، لأنَّ وعْدَ اللهِ تَعالى قادِمٌ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

واصْنَعِ السّفينةَ يا نوحُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ بأمْرِنا ورِعايَتِنا وتَوْجيهِنا وإرْشادِنا عنْ طريقِ وحْينا ، فَلَنْ يُحالَ بَيْنَكَ وبَيْنَ صُنْعِ السّفينةِ ، وسَتَمضي فيها بأمْرِ ربِّكَ ، ولا تُخاطِبْني إذا جاءَ أَمْرُ اللهِ تَعالى في شأنِ هؤلاءِ الظّالمينَ بأنْ تَرجوَ اللهَ تَعالى أنْ يَرحَمَهُمْ أو يَدْفَعَ الأذى عنهُمْ ، فقدْ صَدَرَ القضاءُ بإغْراقِهِمْ ولا رادَّ لِقضاءِ اللهِ تَعالى .

ثُمَّ أخْبَرَنا تَعالى أنَّ نوحاً عَلَيْهِ السّلامُ قدِ اسْتَجابَ لأمْرِ ربِّهِ ، وبَدَأَ في التَّنفيذِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

امتثَلَ نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ لأمْرِ اللهِ تَعالى فَطَفِقَ يَصْنَعُ السَّفينةَ ، فكانَ الكافِرونَ كُلّما مَرّوا عليهِ وهُوَ يَصْنَعُها اسْتَهزَءوا بهِ ، وتَعجّبوا مِنْ حالِهِ كأنْ يقولوا لهُ : أصبحتَ نَجّاراً بعدَ أنْ كُنْتَ نبيّاً! أو يَقولوا تَصنَعُ السَّفينةَ في الصَّحراءِ ؟ فردَّ عَلَيْهِم نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ قائلاً لهُمْ : إنْ تَسْخَروا مِنّي ومِنْ أتْباعي اليومَ لِصُنْعِنا السَّفينةَ فإنّا نَسْخَرُ منكُمْ مِثْلَ سُخْرِيَتِكُمْ هذهِ إذا وقعَ عَلَيْكُمُ الغَرَقُ في الدّنيا والخُزْيُ في الآخِرَةِ .

ثُمَّ هدَّدهُمْ نوحٌ عليهِ السّلامُ تَهديداً آخَرَ ، فقالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

فسوفَ تَعلمونَ قَريباً مَنْ مِنّا الّذي سَينْزِلُ بهِ عذابٌ يُخزيهِ ويُذِلُّهُ في الدُّنْيا ، ومَنْ مِنّا سَيَحِلُّ عَلَيْهِ العذابُ الدّائِمُ الخالِدُ في الآخِرَةِ .

وبعدَ ذلِكَ أخْبَرَنا اللهُ تَعالى عنْ مَجيءِ وعْدِهِ بعلامةٍ جَعَلَها لِنوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، وأمَرَهُ تَعالى أن

يحمِلَ في هذهِ السَّفينةِ الَّذينَ آمنوا معهُ ، وكذلكَ من الحيواناتِ الَّتي عِندَهُ زوجيْنِ : ذكراً وأُنْثى ، فإنَّ الغرقَ قادمٌ . قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠ ﴾ .

حتّى إذا جاء وقتُ أمْرِنا بالإهْلاكِ أمرَ اللهُ تعالى نوحاً عليهِ السّلامُ أنْ يأخذَ معهُ منَ الحيواناتِ الّتي هو بحاجةٍ إليْها مِنْ كلِّ صِنْفٍ ذكراً وأُنْثى ، وأنْ يَحْمِلَ معهُ الّذينَ آمنوا معَهُ ، وكانوا قلّةً ، وكذا يحْمِلُ أهْلَ بيتِهِ الّذينَ آمنوا برسالتِهِ ويتْرُكُ الّذينَ سَبَقَ عليْهِمْ قضاءُ اللهِ تعالى مِنْ أهلِ بيْتِهِ الّذينَ لم يُؤْمنوا ، والمُرادُ بهِمْ ولَدُهُ وامرأتُهُ .

ثُمّ بيّنَ اللهُ تعالى ساعةَ أمْرِ اللهِ الّتي بدأَ فيها إهْلاكُ الكافرينَ وإنْجاءُ المُؤْمنينَ ، وعلامَتُها أنْ يفورَ الماءُ منَ التّنورِ الّذي يَخْبزونَ فيهِ ، فقالَ تعالى :

﴿ ۞ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ٤١ ﴾ .

قالَ نوحٌ عليهِ السّلامُ لِمنْ تبِعَهُ مِنَ المُؤْمنينَ : ارْكَبوا فيها مُتيمّنينَ بذكرِ اسْمِ اللهِ ، فهي مُسيّرَةٌ بأمْرِهِ وقُدْرتِهِ حالَ جَريانِها وعندَ رُسُوِّها ، وسَمّوا اللهَ كذلكَ عندَ الرُّكوبِ فيها والنُّزولِ منها ، وارْجوا مِنَ اللهِ المغفرَةَ على التّفريطِ والتّقصيرِ ، فإنَّ اللهَ ربّي غفورٌ رحيمٌ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرْشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ ينْبَغي للدّاعيةِ أنْ لا يَتوقّفَ عَنْ دعوتِهِ مَهْما كانتِ الظُّروفُ ، ومَهما كانتْ سُخْريةُ الكافرينَ .

٢ـ ينْبَغي للمُؤْمنِ أنْ لا يَغْتَمَّ لعدمِ إيمانِ النّاسِ ، وما على الدّاعيةِ إلاّ البلاغُ ، واللهُ هو الهادي .

٣ـ إذا جاء وعْدُ اللهِ تعالى نَفَذَ وتَحقّقَ ولا رادَّ لِقَضائِهِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

لا تَبْتَئِسْ ، الفُلْكَ ، بِأَعْيُنِنا ، سَخِروا مِنهُ ، فارَ التَّنورُ ، سَبَقَ عَلَيْهِ القَوْلُ .

٢ـ بماذا أَمَرَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ نوحاً عليهِ السّلامُ بعدَ أنْ أخبرَهُ أنَّ قومَهُ لنْ يُؤْمِنوا مَعَه ؟

٣ـ بيِّنْ مَوقِفَ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ سُخْرِيةِ قَوْمِهِ بهِ .

٤ـ ما العَلاقةُ الّتي جَعَلَها اللهُ تَعالى لِبَدْءِ الإغْراقِ ؟

٥ـ لِذِكْرِ اللهِ تَعالى وتَسبْيحِهِ فائدةٌ كبيرةٌ ، كيفَ تستنبطُ ذلكَ مِنَ الآياتِ الكَريمةِ ؟

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الثَّلاثونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثّامِنُ

وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا
وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ
أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ
وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَعْزِلٍ	: في انفرادٍ .
سَآوي	: سَألتَجِىءُ .
يَعْصِمُني مِنَ الماءِ	: يُحَصِّنُني مِنَ الماءِ فلا أغْرَقُ .
حالَ بَيْنَهُما المَوْجُ	: فَصَلَ الموجُ بينَ الولدِ وأبيهِ .
أقْلِعي	: أمْسِكي عنْ إنزالِ الماءِ .
غيضَ الماءُ	: نَقَصَ وجَفَّ .
اسْتَوَتْ على الجُوديِّ	: اسْتَقَرَّتِ السَّفينةُ عَلى جَبلِ الجُوديِّ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ جَهَّزَ نوحٌ عليهِ السّلامُ السَّفينةَ وحَمَلَ فيها مَنْ آمَنَ ، تُحدِّثُنا الآياتُ الكَريمةُ في مَشْهَدٍ بَليغٍ وعَجيبٍ عَنِ الّذي جَرى لِقَوْمِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

هذهِ الآيةُ تصويرٌ بديعٌ لتلكَ اللّحظةِ الرَّهيبة الحاسمةِ الّتي أبْصَرَ فيها نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ ابنَهُ وقدْ عزَلَ نفْسَهُ عنهُ وعنِ المُؤْمنينَ ، وأخذَ يُصارِعُ المَوْجَ ، وهنا تَنْطَلِقُ تلكَ العاطِفَةُ الّتي أودعها اللهُ تَعالى في نَفْسِ نوحٍ عليْهِ السّلامُ ، إنّها عاطفةُ الأُبُوَّةِ المُجلجلَةُ تدوّي وسطَ الطّوفانِ الرّهيبِ ، تطْلُبُ الابْنَ لِحِضْنِ أبيهِ ، ولكنَّ قَدَرَ اللهِ المحتومَ غيرُ ما يُريدُهُ الإنسانُ الّذي لا يعلمُ الغيْبَ .

وبَينما السّفينةُ تَجري بهمْ وسطَ تلكَ الأمواجِ العاتيَةِ العاليةِ الّتي هي كالجبالِ ، يَرى نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ ابْنَهُ يُصارِعُ المَوْتَ وحيداً ، فتهشُّ لهُ عاطِفةُ الأُبوَّةِ ، فَيُناديهِ لَعلّهُ يَجدُ السّلامةَ والأمْنَ : يا بُنيَّ لا تَكُنْ معَ الكافِرينَ الّذينَ سَيلْقَفُهُمْ الطّوفانُ بأمواجِهِ ويَصيرونَ حديثَ النّاسِ .

ولكنَّ الولدَ العاقَّ الكافِرَ ، يرى في كُفْرِهِ وعُقوقِهِ تحقيقاً لأملِهِ ، فيُجيبُ أباهُ بلسانِ الواثقِ ، ما أخْبَرَنا اللهُ تَعالى بهِ :

﴿ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

قالَ الولدُ لأبيهِ بلهجةِ الواثقِ سألتجيءُ إلى جبلٍ منَ الجبالِ الشّاهقةِ لكيْ أتحصّنَ بهِ منْ وُصولِ الماءِ إليَّ . ولمّا سمعَ أبوهُ ذلكَ الكلامَ منهُ انتصرتْ عقيدتُهُ وعلا أمْرُها على أمْرِ البُنوّةِ ، فأجابَ ابنَهُ الجاهلَ بلهْجةِ الواثقِ باللهِ تعالى ، الّذي يعلمُ منْ ربّهِ تعالى ما لمْ يكُنْ يعلمُهُ ابنُهُ : لا معصومَ اليومَ منْ أمرِ اللهِ تعالى القاضي بإغراقِ الظّالمينَ ، ولا ينجو منْ هذا المَصيرِ إلاّ منْ رحِمَهُ اللهُ تعالى وهُمُ المؤمنونَ .

وفي زَحْمَةِ الجدالِ بينَ الوالِدِ وابنِهِ يتعاظَمُ الموْجُ ، فيلُفُّ الولدَ بينَ جَنَباتِهِ ويَصيرُ المَوْجُ حائِلاً بينَ الولدِ وأبيهِ ، ويَغْرَقُ الولدُ مَعَ الغارقينَ ، وسبحانَ اللهِ تَعالى مُنقذِ المُؤْمنينَ .

وهَكَذا أمْرُ هؤلاءِ الجبابرةِ الّذينَ سلكَ معَهُمْ نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ أحْسَنَ الوسائِلِ الدّعويّةِ وأنْفَعها على مدارِ ألفِ سنَةٍ إلاّ قليلاً ، وفي لَحظاتٍ رهيبةٍ غَيّبَهُمُ الموتُ بصورةٍ بَشِعَةٍ هائِلةٍ ، تدلُّ على أنَّ اللهَ تعالى إذا أرادَ أمْراً أنفذهُ ، ولا رادَّ لقضاءِ اللهِ تعالى .

ولمّا انْقضى أمْرُ اللهِ تعالى بشأنِهمْ وهلكوا ، أوْحى اللهُ تعالى إلى الأرْضِ والسّماءِ لِتعودَ أُمورُ الكوْنِ كما كانَتْ قبلَ الطّوفانِ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

وبَعدَ أنْ هلَكَ الجاحِدونَ بالإغراقِ ، جاءَ أمْرُ اللهِ تعالى التّكوينيُّ إلى الأرْضِ أنِ ابْلَعي ماءَكِ

أيَّتُها الأرضُ ، وإلى السّماءِ أنِ امْتَنِعي عنْ إنزالِ الماءِ أيّتُها السّماءُ ، فَذَهَبَ الماءُ ، وانتُهى حُكْمُ اللهِ تَعالى بإهْلاكِ الكافرينَ ، واستقرَّتِ السَّفينةُ على الجَبَلِ المُسمّى الجُوديَّ ، وقَضى اللهُ تَعالى الّذي لا رادَّ لِقضائِه بإبعادِ الظّالمينَ عن رحمتِهِ ، فقيلَ : هلاكاً وبُعْداً وطَرْداً للقومِ الظّالمينَ ، بِسَبَبِ ما اقْتَرفَتْهُ أيديهِمْ مِنَ الظُّلْمِ والطُّغيانِ والفَسادِ والصَّدِّ عنْ سبيلِ اللهِ تَعالى .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ يَنبغي للدّاعيةِ أنْ لا يَقْطَعَ الأمَلَ بِنَجاةِ أحَدٍ مَهْما كانَ .

٢ـ رابطةُ العَقيدةِ والدّينِ أعزُّ شيءٍ عَلى الإنْسانِ .

٣ـ لا يَفْلِتُ أحدٌ مِنْ قضاءِ اللهِ تَعالى ، فكلُّ الكَوْنِ وما فيهِ خاضِعٌ لإرادةِ اللهِ .

٤ـ عَلى الإنسانِ أنْ يَعتبِرَ بِخُضوعِ الكَوْنِ للهِ تَعالى فيكونُ أعظمَ الخاشِعينَ ، ولا يَنْخَدِعَ بالآمالِ الكاذِبَةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مَعْزِلٍ ، سآوي ، يَعْصِمُني مِنَ الماءِ ، حالَ بَيْنَهُما المَوْجُ ، أقْلِعي ، غيضَ الماءُ ، اسْتَوَتْ على الجودِيِّ ، بُعْداً لِلقومِ الظّالمينَ .

٢ـ لِماذا نادى نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ ابْنَهُ لِيَرْكَبَ معهُ في السّفينةِ ؟

٣ـ بماذا أجابَ الابنُ أباهُ ؟ وما سِرُّ هذا الجوابِ ؟

٤ـ كيفَ انْتَصَرَتْ رابطةُ العقيدةِ عَلى رابطةِ الأُبُوَّةِ والبُنوَّةِ ؟

٥ـ علامَ يَدلُّ خُضوعُ الأرضِ والسَّماءِ لإرادةِ اللهِ تَعالى ؟

٦ـ ماذا كانَتْ عاقِبَةُ الظّالِمينَ ؟

* * *

غيرَ مُذْعِنينَ للحقِّ ، ثُمَّ يُصيبُهمْ يومَ القيامةِ عذابٌ مُؤْلِمٌ شَديدٌ .

ثُمَّ جاءَ خِتامُ هذهِ القِصَّةِ الشَّريفةِ بما يَدُلُّ على وَحدانيّةِ اللهِ تَعالى والنَّصْرِ للمُتَّقينَ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

تلكَ القِصَّةُ الّتي قَصَصناها عليْكَ أيُّها النَّبيُّ عَنْ نوحٍ عليْهِ السّلامُ وقَوْمِهِ ، مِنْ أخبارِ الغَيْبِ الّتي لا يَعْلَمُها إلاّ اللهُ ، ما كُنتَ عَلِمْتَها أنْتَ ولا قومَكَ عَلى هذا الوجْهِ مِنَ الدِّقةِ والتَّفصيلِ مِنْ قبلِ هذا الوَحْيِ ، فاصْبِرْ عَلى إيذاءِ قَوْمِكَ كما صَبَرَ الأنْبياءُ قبْلَكَ ، فإنَّ عاقِبَتَكَ الفَوْزُ مثلُ عاقِبَتِهِمْ ، والعاقبَةُ الطَّيِّبةُ دائِماً لِلّذينَ يَتَّقونَ عذابَ اللهِ تَعالى بالإيمانِ وعَمَلِ الصَّالحاتِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ النَّسَبُ والشَّرَفُ مَهْما عَظُمَ لا يَنفَعُ صاحِبَهُ عندَ اللهِ تَعالى مِنْ دونِ إيمانٍ .

٢ـ الشَّفَقةُ والرَّحْمَةُ يجبُ أنْ لا تَنْفَلِتَ مِنْ قيودِ الدّينِ ، فالرَّابِطَةُ الحَقَّةُ هِيَ رابطةُ الدّينِ .

٣ـ مِنَ الجَهْلِ أنْ يُسألَ اللهُ تَعالى بلا عِلْمٍ .

٤ـ سُرْعَةُ يَقظَةِ المُؤْمِنِ حينَ يُذَكَّرُ باللهِ تَعالى .

٥ـ مَنْ خالَفَ أمْرَ اللهِ تَعالى عرَّضَ نَفْسَهُ لِعقابِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلَةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أعِظُكَ ، بَركاتٍ ، العاقِبَةُ .

٢ـ علامَ ارْتَكزَ نوحٌ عليْهِ السّلامُ في تَضرُّعِهِ للهِ تَعالى بشأنِ ابْنِهِ ؟

٣ـ بِماذا ردَّ اللهُ تَعالى عَلى نوحٍ عليْهِ السَّلامُ في شَأْنِ ابْنِهِ ؟ وماذا تَستنبطُ مِنْ هذا الرَّدِّ ؟

٤ـ بيِّنِ الآيةَ الّتي تَدلُّ عَلى سُرْعَةِ تُنبُّهِ نوحٍ عليْهِ السَّلامُ لإرشادِ اللهِ تَعالى لهُ .

٥ـ بماذا بَشَّرَ اللهُ تَعالى نوحاً عليْهِ السّلامُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ مَوْضوعاً تُلخِّصُ فيهِ قَصَّةَ نوحٍ عَليْهِ السَّلامُ بِلُغَتِكَ كَما ورَدتْ في سورةِ هودٍ ، وضَعْها في مَجلَّةِ المَدرسةِ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ الثّاني والثّلاثون

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ العاشِرُ

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا
مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا
وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

عادٍ : قبيلةٍ مِنْ قبائلِ العَرَبِ كانتْ تسكنُ منطقةَ الرَّبْعِ الخالي جَنوبَ الجزيرةِ العَربيَّةِ .

مُفْتَرونَ : مُتَعمِّدو الكَذِبِ .

فَطَرني : خَلَقَني .

مِدْراراً : مَطَراً غَزيراً .

لا تَتولَّوْا : لا تُعْرِضوا عنّي .

التَّفسيرُ :

بعدَ الانْتهاءِ مِنْ قصّةِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، جاءَ الحديثُ عنْ قصّةِ هودٍ عليهِ السّلامُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ .

وكَما أَرْسَلْنا نوحاً عَلَيْهِ السّلامُ إلى قَوْمِهِ أرْسَلنا إلى عادٍ أخاهُمْ هوداً ، فقالَ لهُمْ مَقالةَ كلِّ نبيٍّ ناصحٍ لقومِهِ : يا قومِ اعْبُدوا اللهَ ما لكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ . وهذهِ المَقالةُ كما نَرى هِيَ أحَدُ القواسِمِ

المُشتَرَكَةِ في دَعَواتِ الأنْبياءِ جميعاً ، لأنَّها مبدأٌ ثابتٌ بثُبوتِ الحَقِّ فلا تَقبلُ التَّبديلَ ، مِنْ أجلِ هذا لمّا عَبَدَتْ عادٌ أصْناماً مِنْ دونِ اللهِ تَعالى لَمْ يَتوانَ نَبيُّها عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ قولِهِ لأهلِ قَبيلتِهِ : ﴿إِن أَنتُم إِلاَّ مُفْتَرونَ﴾ لأنّ اتّخاذَ آلِهَةٍ مِنْ دونِ اللهِ تعالى ليسَ إلاّ مَحضُ كَذِبٍ وافْتراءٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ هودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّهُ لا يُريدُ مِنْ قَوْمِهِ إلاّ أنْ يَرْجِعوا إلى ربِّهِمْ ، فلا يُريدُ مِنهُمْ كَسْباً ولا أجْراً ، قالَ تَعالى :

﴿ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾

قالَ لَهُمْ بلسانِ المُتحبِّبِ الوَدودِ : إنّي لا أطلبُ مِنْكُمْ على هذا النُّصْحِ الّذي نَصَحْتُهُ لكمْ مُكافأةً مِنْ جاهٍ أو مالٍ ، وإنّما أجْري على اللهِ تَعالى الّذي خَلَقني ، فهوَ وحْدَهُ الّذي أطْلُبُ منهُ العَطاءَ ، ولا يَصِحُّ أنْ تَسْتَوْلِيَ عَلَيْكُمُ الغَفلةُ ، فلا تَعقِلونَ ما يَنفعُكُمْ وما يَضرُّكُمْ ، ولعلَّ مَقصِدَهُ عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ هذا دَفْعُ ما يَتوهّمُهُ قومُهُ ، وقَدْ حاكَ في نُفوسِهِمْ مِنْ أنّ الّذي دعاهُ إلى ما دعاهُمْ إليهِ يُريدُ أنْ يكونَ رجُلاً غنيّاً فيهِمْ ، فظنّوا بهِ هذا الظَّنَّ! .

ثُمَّ إنّ هوداً عَلَيْهِ السّلامُ أرشدَ قومَهُ إلى ما فيهِ زيادةُ غِناهُمْ وقُوَّتِهِمْ ، وحذَّرَهُمْ مِنْ سوءِ عاقبةِ البَطَرِ والأَشَرِ فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

إنَّ هوداً عَلَيْهِ السّلامُ قالَ لِقومِهِ : يا قوم اعْبُدوا اللهَ تَعالى واسْتَغفِروهُ وتوبوا إليهِ ، فإنَّكُمْ إنْ فَعَلْتُمْ ذلكَ أرْسلَ اللهُ تَعالى عَليكُمْ مَطَراً غَزيراً مُتتابِعاً في أوقاتِ حاجَتِكُمْ إليهِ ، لِتَشْرَبوا منهُ ، ونَسْقوا بهِ دوابَّكُمْ وزُروعَكُمْ ، وكَذلِكَ يَزيدُكُمُ اللهَ تَعالى عِزّاً إلى عِزَّتِكُمْ ، وشِدَّةً إلى شِدَّتِكُمْ . ثُمَّ إنّ هوداً عَلَيْهِ السّلامُ حذّرهُمْ من مُقابلةِ هذهِ النِّعَمِ بالجُحودِ والكُفْرانِ قائِلاً لهُمْ : لا تَتولَّوْا عمّا دَعَوْتُكُمْ إليهِ ، وأنتُمْ مُصِرّونَ على ما أنتمْ عَلَيْهِ مِنْ إجْرامٍ وجُحودٍ وعِنادٍ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ نَرى التَّركيزَ عَلى الاسْتِغفارِ والتَّوْبةِ ، وأنَّ لَهُما كبيرَ الأثَرِ في تَغييرِ جوانبَ مُتعدّدةٍ مِنْ حياةِ الأُمَّةِ ، فَمِنْ هذهِ الجوانبِ :

أولاً : زيادةُ بَركاتِ السّماءِ بإنْزالِ الماءِ .

ثانياً : زيادةُ خَيراتِ الأرضِ تَبَعاً لذلكَ بإنْباتِ النَّباتِ .

ثالثاً : زيادةُ قوّةِ الإنْسانِ تَبَعاً لذلكَ .

رابعاً : في الاسْتِغفارِ والتَّوْبَةِ عنوانٌ لِذُلِّ العبادِ إلى ربِّهِمْ ، مِمّا يَعني زيادةَ حُبِّهِ لَهُمْ ، وإذا أحبَّ اللهُ تَعالى عِبادَهُ كانتْ مَعيَّتُهُ مَعَهُمْ ، ومَن كانَ اللهُ تَعالى معَهُ أغناهُ سُبْحانَهُ عنْ كلِّ ما سِواهُ .

ولِهذا كانَ النَّبيُّ ﷺ يَحثُّ أصْحابَهُ عَلى الاسْتِغفارِ والتَّوْبَةِ دائِماً ، قالَ : « واللهِ إنّي لأَسْتَغفِرُ اللهَ وأتوبُ إليهِ في اليومِ أكثرَ مِنْ سبعينَ مرَّة »[١] .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ رِسالاتُ الأنْبِياءِ جَميعاً تَخرُجُ مِنْ مِشكاةٍ واحِدَةٍ ، وهي دَعوةٌ إلى تَوحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

٢ـ عَلى الدّاعيةِ إلى اللهِ تَعالى أنْ يَدْعُوَ النّاسَ بِلُطْفٍ وحِكْمَةٍ .

٣ـ للاسْتِغفارِ والتَّوْبةِ إلى اللهِ تَعالى أثرٌ عَظيمٌ في تَغييرِ حياةِ الأُمَّةِ .

٤ـ لابُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْ أنْ يُسْلِمَ أمْرَهُ كُلَّهُ للهِ تَعالى ، والخُطورَةُ تَكْمُنُ في البُعْدِ عنْ مَنْهجِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

عادٍ ، مُفتَرونَ ، فَطَرَني ، مِدْراراً ، لا تَتَوَلَّوْا .

٢ـ ماذا نَستَفيدُ مِنْ تَتابُعِ القَصصِ القُرآنيِّ بهذهِ الصّورَةِ المَوجودَةِ في هذهِ السّورَةِ ؟

٣ـ التّوحيدُ مبدأٌ ثابتٌ ، بيِّنْ ذلِكَ مِنْ خلالِ الآياتِ الكَريمةِ .

٤ـ لِماذا وُصِفَ هودٌ عَلَيْهِ السّلامُ وقَوْمُهُ بـ (مُفْتَرونَ) ؟

٥ـ لماذا أبْلَغَ هودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ قومَهُ أنّهُ لا يَطْلُبُ مِنهُم أجْراً ؟

٦ـ لِلتَّوْبةِ والاسْتِغْفارِ أثَرٌ عظيمٌ في تَغييرِ حياةِ الأُمَّةِ ، بيِّنْ جوانِبَ هذا الأثَرِ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ مِنْ سورةِ نوحٍ الّتي تَدعو إلى الاسْتِغفارِ .

---

(١) صحيح البخاري : ٥/ ٢٣٢٤ حديث رقم (٥٩٤٨) .

الدَّرسُ الثَّالِثُ والثَّلاثونَ

سورَةُ هودٍ - القِسْمُ الحادي عَشَرَ

قَالُواْ يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ
بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٌ
مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن
دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ
إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا
نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ
إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

بيِّنَةٍ	: حُجّةٍ ، دليلٍ واضِحٍ .	اعْتَراكَ	: أصابَكَ .
لا تُنْظِرونَ	: لا تُمْهِلونِ .	دابّةٍ	: كلُّ ما يَدُبُّ عَلى الأرضِ .
ناصِيَتِها	: مُقَدَّمِ رَأْسِها .	يَسْتَخْلِفُ	: يَسْتَبْدِلُ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتِ الآياتُ السّابقةُ ما جاءَ بِهِ هودٌ عَلَيْهِ السّلامُ لقومِهِ ، جاءتْ هذهِ الآياتُ تُبيِّنُ مَوقفَهُمْ مِنْ دَعوتِهِ ومَصيرَهُمْ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

قالوا لِنبيِّهِمْ عَلَيْهِ السّلامُ : يا هودُ إنّكَ لم تَأْتِنا بحُجّةٍ واضِحةٍ تُقنِعُنا بأنَّكَ على الحَقِّ فيما تَدعونا إليهِ ، وتُرْضي نُفوسَنا وطِباعَنا وعاداتِنا ، ونحنُ لنْ نَدَعَ آلِهَتَنا لِنَسيرَ وراءَكَ إلى إلهٍ تَدعونا إليهِ ، فإنَّ قولَكَ قدْ خَلا عنِ الدَّليلِ ، ولَسْنا لكَ بِمُصدّقينَ في كلِّ ما جئْتَنا بهِ .

وهَكذا هو شَأْنُ الطُّغاةِ في كلِّ زمانٍ ومَكانٍ ، حينَ يَظْهَرُ لهُمُ الحَقُّ واضِحاً أبْلَجَ ، فلا يَجدونَ مِنْ وسائلِ التّخلُّصِ منهُ إلاّ مثلُ هذا الكلامِ العاتي الّذي يَدلُّ عَلى فسادِ نُفوسِهِمْ . ولم يَقِفْ أمرُ قومِ هودٍ عَلَيْهِ السّلامُ عندَ هذا الحدِّ ، بلْ زادوا في طُغْيانِهِمْ عَلى نَحْوٍ لَمْ يُسْبَقوا إليهِ ، فَزَعموا أنّ آلِهَتَهُمْ قدْ آذَتْ هوداً عليهِ السّلامُ في عَقْلِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

قالوا لِنَبيِّهِم بعدَما سَبَقَ مِنَ القَوْلِ الّذي قالوا : إنَّ عَلَيْكَ أنْ تَيأَسَ يَأْساً تامّاً مِنَ اسْتِجابَتِنا لكَ ولِدَعوتِكَ ، وحالَتُكَ الّتي نَراها بأعيُنِنا تَدلُّ عَلى أنَّ بعضَ آلِهَتِنا ـ لا كُلَّها ـ قد تسلّطَ عليكَ فأصابَكَ بالجُنونِ والهَذَيانِ . وهنا يَظهرُ المَوقِفُ الصُّلْبُ الجامدُ أمامَ هذهِ الأوهامِ ، فيُنادي نَبيُّ اللهِ هودٌ عَلَيْهِ السّلامُ بلسانِ الواثِقِ باللهِ ، المُسْتيقنِ بقدرتِهِ ، المُتحدّي لِخُصومِهِ ، المُصرِّ عَلى إيمانِهِ : إنّي أُشْهِدُ اللهَ تَعالى عَلى ما أقولُ ، واشْهدوا عليَّ أنتمْ أنّني بريءٌ مِنَ الشِّرْكِ الّذي أنتُم فيهِ ، ومِنْ كلِّ عبادةٍ تَعبدونَها لغيرِ اللهِ تَعالى ، وهاأنَذا في مُواجهتِكُمْ ، فانضمّوا إلى آلهتِكُمْ وحارِبوني بما شِئتُمْ مِنْ ألوانِ المُحارَبةِ والأذى مِنْ غيرِ تَمهُّلٍ ولا تَريُّثٍ لنْ أكُفَّ عنِ الجَهْرِ بِدَعْوتي ، ولنْ أتَراجَعَ عنِ احتقارِ الباطلِ الّذي أنتُمْ عَلَيْهِ .

ثُمَّ انتقلَ نبيُّ اللهِ تَعالى هودٌ عَلَيْهِ السّلامُ إلى بيانِ السَّببِ الّذي دعاهُ إلى البَراءةِ مِنْ شِرْكِهِمْ وإلى عَدَمِ المُبالاةِ بِهِمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

إنّني اعْتَمَدتُ عَلى اللهِ تَعالى ، وهو مالِكُ أمْري وأمرِكُمْ ، لا يُعْجِزُهُ شيءٌ عنْ ردِّ كيدِكُمْ ، وهو سُبْحانَهُ القادرُ عَلى كلِّ شيءٍ ، فما مِنْ دابّةٍ إلاّ وهو مالِكُ أمْرِها ، ومُتصرِّفٌ فيها ، فلا يُعجِزُهُ حِفْظُها مِن أذاكُمْ ، ولا إهْلاكِكُمْ ، إنّ أفعالَ ربّي تَجري عَلى طريقِ الحَقِّ والعَدْلِ في مُلْكِهِ ، فينصُرُ المُؤْمنينَ المُصْلِحينَ ، ويَخْذلُ الكافِرينَ المُفْسِدينَ . ثُمَّ خَتَمَ نبيُّ اللهِ هودٌ عَلَيْهِ السَّلامُ ردَّهُ عَلى قومِهِ

بِتحذيرِهِمْ مِنْ سوءِ عاقبةِ إصْرارِهِمْ عَلى كُفرِهِمْ فقالَ اللهُ تَعالى :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

فإنْ تُعْرِضوا عَنْ دَعوتي لمْ يَضُرَّني إعراضُكُمْ ، والعاقبةُ السَّيئةُ عَلَيْكُمْ ، فقدْ أَبلغتُكُمْ ما أَرْسَلني اللهُ تَعالى بهِ إليكُمْ ، وليسَ عليَّ إلاّ البلاغُ ، واللهُ تعالى يُهلكُكُمْ متى أرادَ ، ويجيءُ بقومٍ آخرينَ يَخْلُفونَكُمْ في دِيارِكُمْ وأموالِكُمْ ، وأنتمْ لا تَضرّونَهُ بإعْراضِكُمْ عَنْ عِبادَتِهِ ، إنَّ ربّي تَعالى مُهَيْمِنٌ على كلِّ شيءٍ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ ، فما تَخْفى عَلَيْهِ أعمالُكُمْ ، ولا يَغْفَلُ عَنْ مُؤاخَذَتِكُمْ .

ثُمَّ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ فيما بعدُ عاقبةَ هذا الحِوارِ الّذي دارَ بينَ هودٍ عَلَيْهِ السّلامُ وقومِهِ ، فقدْ نَجّى اللهُ تَعالى نبيَّهُ عَلَيْهِ السّلامُ ومَنْ آمنَ معهُ ، وأهْلَكَ عَدُوَّهُمْ ، فقالَ تعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

ولمّا جاءَ أَمْرُنا بإهْلاكِ عادٍ نَجَّينا هوداً عَلَيْهِ السّلامُ ومَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ عذابِ الرّيحِ العاتيةِ الّتي أهْلَكَتْهُمْ ، ونَجيّنا المُؤْمنينَ ونَبيَّهُمْ عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ عذابٍ ضَخْمٍ شديدٍ ، وذلكَ بِسَبَبِ رَحْمَتِنا لهُمْ بِتوفيقِهِمْ إلى الإيمانِ .

ثُمَّ جاءَ خِتامُ هذهِ الآياتِ بِوَصْفٍ عجيبٍ لقومِ هودٍ عليهِ السّلامُ كيْ يَتَّعِظَ مَنْ خَلْفَهُمْ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَتِلْكَ عَادٌ ۖ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

تلكَ عادٌ أَنْكَروا الحُجَجَ الواضِحَةَ ، وعَصَوْا رُسُلَ اللهِ تَعالى جَميعاً ، بِعصيانِهِمْ رسولَهُ عَلَيْهِ السلامُ إليهِمْ ، وطاعَتِهِمْ كلَّ طاغيةٍ شديدِ العِنادِ مِنْ رُؤَسائِهِمْ وكُبرائِهِمْ ، ومَنْ لا خَيْرَ فيهِمْ . ثُمَّ جاءَ الخِتامُ النِّهائيُّ لهذهِ القِصّةِ بقولهِ تَعالى :

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ﴾

واسْتَحقّوا مِنَ اللهِ تَعالى والمَلائِكةِ والنّاسِ أجمعينَ لَعْنَةً تَلْحَقُهُمْ في الدُّنْيا ، ولَعْنَةً تتبعُهُمْ يومَ القيامةِ ، ألا فلينتبهْ كلُّ مَنْ عَلِمَ عِلْمَ خَبرِ عادٍ ، أنَّ عاداً جَحدوا نِعْمَةَ خالِقِهِمْ عَلَيْهِمْ ، ولم يَشكُروهُ بالإيمانِ بهِ وَحْدَهُ ، فأصْبَحوا جَديرينَ بطرْدِهِمْ مِنْ رَحمةِ اللهِ تَعالى ، وإنْزالِ الهَلاكِ الشّديدِ بِهِمْ ، ألا فَهَلاكاً لهُمْ لِتَكذيبِهِمْ هوداً عَلَيْهِ السّلامُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الكافِرُ يُنكِرُ الحُجَجَ الواضِحَةَ عِناداً واسْتِكباراً ، ولا يَنتفِعُ بما يأْتيهِ بِهِ نَبيُّهُ مِنَ الحقِّ .

٢ـ قومُ هودٍ عَلَيْهِ السَلامُ بَلَغوا مِنَ السَّفاهةِ حَدّاً لم يُسْبَقوا إليه .

٣ـ قُوَّةُ هودٍ عَلَيْهِ السَلامُ في مُواجهةِ لَجاجةِ قَوْمِهِ وعِنادِهِمْ ، وهَكَذا يَجِبُ أنْ يكونَ الدّاعِيَةُ قوياً واثقاً .

٤ـ كلُّ الخَلْقِ مَصيرُهُمْ بيدِ اللهِ تَعالى الّذي أفْعالُهُ كُلُّها حِكْمَةٌ وعدْلٌ .

٥ـ ليسَ على الرَّسولِ إلاّ البلاغُ ، وحِسابُ الكافِرينَ على ربِّهِمْ .

٦ـ نجاةُ المُؤْمنينَ وحِمايَتُهُمْ إنّما هِيَ رحمةٌ مِنَ اللهِ تَعالى ، وأمّا الكافِرونَ فَمَطْرودونَ مِنْ رحمةِ اللهِ .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ التّاليةِ :

بَيِّنةٍ ، اعْتَراكَ ، لا تُنْظِرونِ ، دابَّةٍ ، ناصِيَتِها ، يَستخْلِفُ .

٢ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ لَجاجةَ قومِ هودٍ عَلَيْهِ السّلامُ وسَفاهَتَهُمْ في الرَّدِّ عَلَيْهِ ، وقدِ اشْتَمَلَ ردُّهُمْ عَلى أربعِ قضايا ، بَيِّنْ هذهِ القضايا ، وهاتِ الدَّليلَ عَلَيْها .

٣ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ شَجاعةَ هودٍ عَلَيْهِ السّلامُ في مُواجَهةِ قَوْمِهِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ بيّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ السَّببَ الّذي دعا هوداً عَلَيْهِ السّلامُ إلى البَراءةِ مِنْ عبادةِ قَوْمِهِ ، وضِّحْ ذلكَ .

٥ـ وصَفَ اللهُ تَعالى عاداً بثلاثةِ أوْصافٍ ، اذْكُرْها واذْكُرِ الدَّليلَ عَلَيْها .

٦ـ ماذا كانتْ عاقِبَةُ قومِ هودٍ عليهِ السّلامُ ؟

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الحاقّةِ التي تُبيِّنُ عذابَ قومِ هودٍ .

الدَّرْسُ الرَّابعُ والثَّلاثونَ

سورةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثَّاني عَشَرَ

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا
قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا
تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ثمودَ : اسمُ قبيلةٍ عربيّةٍ كانتْ تَسْكُنُ في مكانٍ اسْمُهُ الحِجْرُ بيْنَ الحجازِ والشّامِ .

أَنْشَأَكُمْ : أَوْجَدَكُمْ وخَلَقَكُمْ .

اسْتَعْمَرَكُمْ : جَعَلَكُمْ تَعْمُرونَ الأَرْضَ .

مَرْجُوّاً : مَرْغوباً فيهِ لِشدائِدِ الأَعْمالِ والمُهِمّاتِ .

تخسيرٍ : وُقوعٍ في الخُسْرانِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ قَصَّ اللهُ تَعالى علَيْنا قِصَّةَ هودٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، يَقُصُّ علينا قصَّةَ نَبيِّهِ صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، لِنتعرَّفَ نموذجاً إنسانيّاً رائِعاً في الصّبْرِ والثَّباتِ وحُسْنِ الدّعوةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ
وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ ﴾ .

ولقدْ أَرْسَلْنا إلى ثمودَ واحداً منهمْ تَربطُهُ بهمْ صِلَةُ النَّسَبِ والمَودّةِ ، وهو صالحٌ عَلَيْهِ السّلامُ ،

فقالَ لِقومِهِ : يا قوم اعبدوا اللهَ تَعالى وحْدَهُ ، ليسَ لكُم مَنْ يَستحقُّ العِبادَةَ غيرُهُ ، هُوَ خَلَقَكُمْ مِنَ الأرضِ ، ومَكَّنَكُمْ مِنْ عِمارَتِها ، واسْتِثْمارِ ما فيها والانْتِفاعِ بخيْرِها ، فادْعوهُ أنْ يَغفِرَ لكُمْ ما سلفَ مِنْ ذُنوبِكُمْ ، ثُمَّ ارْجِعوا إليهِ بالنَّدمِ على مَعصيَتِهِ والإقْبالِ عَلى طاعَتِهِ ، كُلَّما وَقَعتُمْ في ذنبٍ . هذا الإلهُ هُوَ اللهُ تَعالى قريبُ الرَّحمةِ مُجيبُ الدّعاءِ لِمنَ يَستغفِرُهُ ويَدعوهُ .

وقدْ جاءتْ قبيلةُ ثمودٍ خَلَفاً لعادٍ ، وكانوا يَعبدونَ الأَصْنامَ ، فَأَرْسَلَ اللهُ تَعالى لَهُمْ صالِحاً ، لِيأمُرَهُمْ بعبادةِ اللهِ تَعالى وحْدَهُ ، فكانَ منهُ عليهِ السّلامُ ومنهُمْ ما قصَّهُ عَلَيْنا القرآنُ .

وبعدَ أنْ ذكَّرَ صالحٌ عَلَيْهِ السّلامُ قومَهُ بقُدرةِ اللهِ تَعالى وبنِعَمِهِ عَلَيْهِمْ لكيْ يَستميلَهُمْ إلى التَّفكيرِ والتَّدبُّرِ ، ويُصدّقوهُ فيما يقولُ ، حَكى لنا القرآنُ الكريمُ بَعْدَ هذا كُلِّهِ ما رَدَّ بهِ قومُهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

قالَ قومُ صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ لهُ بعدَ أنْ دَعاهُمْ لِما يُسْعِدُهُمْ : يا صالحُ عَلَيْهِ السّلامُ ، لقدْ كنتَ فينا رجُلاً صالِحاً فاضِلاً نَرجوكَ لِمُهِمّاتِ الأُمورِ لعِلْمِكَ وعَقلِكَ وصِدْقِكَ قبلَ أنْ تقولَ ما قُلتَهُ ، أمّا الآنَ وبعدَ أنْ جئتَنا بهذا الدّينِ الجديدِ ، فقدْ خابَ رجاؤُنا فيكَ ، وصِرْتَ في أعْيُنِنا رجلاً مُخْتَلَّ التَّفكيرِ ، ثُمَّ قالوا أيْضاً : أجِئْتَنا بهذِهِ الدَّعوةِ الجديدةِ لِتَنْهانا عنْ عِبادةِ الآلِهَةِ الّتي كانَ يَعبُدُها آباؤُنا مِنْ قبلُ ؟ لا ، إنّنا لنْ نَستجيبَ لكَ ، فقدْ وجدْنا آباءَنا عَلى دينٍ ، وإنَّنا عَلى آثارِهِمْ نَسيرُ ، ثُمَّ زادوا في هذا الجَوابِ قائِلينَ : لنْ نَترُكَ عبادةَ الأصنامِ الّتي كانَ يَعبُدُها آباؤُنا ، وإنَّنا لَفي شكٍّ كبيرٍ مِنْ صِحَّةِ ما تَدعونا إليهِ .

وهَكذا شَأْنُ السُّفهاءِ في كلِّ زمانٍ ، يُقابلونَ الدّعوةَ الحَقّةَ بالتَّصميمِ عَلى الباطِلِ الّذي هُمْ فيهِ . ولكنَّ صالِحاً عَلَيْهِ السّلامُ لمْ يَيْأَسْ ، بلْ رَدَّ عَلَيْهِم بأُسلوبٍ رقيقٍ حكيمٍ ، فقالَ تَعالى :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

قالَ صالحٌ عَلَيْهِ السّلامُ : يا قومِ ، خَبِّروني إنْ كنتُ عَلى بَصيرةٍ نَيِّرَةٍ وَبيِّنةٍ ممّا أدْعوكُمْ إليهِ مؤيّداً بحُجَّةٍ وبُرْهانٍ مِنْ ربِّي ، وأعطاني ربّي تَعالى رحمةً لي ولكُمْ ، وهي النُّبوَّةُ والرِّسالةُ ، فكيفَ أُخالِفُ أمْرَهُ وأعصيهِ بعدمِ تَبليغِ رسالَتِهِ ، اسْتِجابةً لكُمْ ؟ ومَنْ ذا الّذي يَنْصُرُني ويُعينُني عَلى دَفْعِ عذابِهِ إنْ عَصَيْتُهُ ؟ إنّكُمْ لا تَستطيعونَ نُصْرَتي ، وَدفعَ عذابِهِ عنّي ، فما تَزيدونَني غيرَ الضَّياعِ ، والوُقوعِ في الخُسْرانِ إنْ أطعتُكُمْ وعَصيْتُ ربِّي وربَّكُمْ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَصويرٌ بليغٌ وواضِحٌ لِما كانَ عَلَيْهِ صالحٌ عَلَيْهِ السّلامُ مِنْ إيمانٍ عميقٍ باللهِ

تَعالى ، ومِنْ ثَباتٍ عَلى دَعوتِهِ ، ومِنْ حِرْصٍ عَلى طاعَتِهِ سُبْحانَهُ ، وهَكَذا يَنبغي أنْ يكونَ المُؤْمِنُ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ تَتابُعُ الرُّسُلِ إلى أقوامِهِمْ سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى الّتي لَمْ تَتَخلَّفْ ، كَيْلا تَخْلو الأزْمِنَةُ ولا الأَمْكِنَةُ مِنَ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ .

٢ـ مِنْ مُهمّاتِ الدّاعيةِ إلى اللهِ تَعالى ، تَذكيرُ النّاسِ بِنِعَمِ اللهِ تَعالى عَلَيْهِمْ .

٣ـ مَنهجُ الأُمَمِ في تَكذيبِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السّلامُ يكادُ يكونُ واحِداً .

٤ـ الدَّاعيةُ إلى اللهِ تَعالى يَنبغي أنْ يكونَ عَلى ثِقَةٍ كَبيرةٍ بِرَبِّهِ تَبارَكَ وتَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأَسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

ثَمودَ ، أَنْشَأَكُمْ ، اسْتَعْمَرَكُمْ ، مَرْجُوّاً ، تَخسيرٍ .

٢ـ ما الفائدةُ المَرْجُوَّةُ مِنْ تتابُعِ قَصصِ الأنْبياءِ في القُرآنِ الكريمِ ؟

٣ـ بماذا ردَّ قومُ صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٤ـ ماذا نَستفيدُ مِنْ رَدِّ قوم صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٥ـ ذَكَرتِ الآياتُ الكَريمةُ ما يُبيِّنُ ثِقةَ نَبيِّ اللهِ تَعالى صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، بيِّنْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ ما كانَ يَصِفُ أهلُ مكَّةَ بهِ رسولَ ﷺ قبلَ البِعْثةِ ، وما أصْبَحوا يَصِفونَهُ بهِ بَعْدَها .

❊ ❊ ❊

الدَّرسُ الخامِسُ والثّلاثونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثّالِثَ عَشَرَ

وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ
مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ
يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ
جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

ذَروها تأكُلْ	اترُكوها تَأْكُلْ وتَرْعى .
عَقَروها	ذَبَحوها .
الصَّيْحَةُ	صَوْتُ العَذابِ الشَّديدِ .
جاثِمينَ	هَلْكى ساقِطينَ عَلى الأرضِ .
لَمْ يَغْنَوْا فيها	كأنَّهُمْ لَمْ يُقيموا في دارِهِمْ في رَخاءٍ وطيبِ عَيْشٍ .
بُعْداً	هَلاكاً .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَتْ لنا الآياتُ السّابقةُ ما دارَ بينَ صالحٍ عليهِ السّلامُ وقومِهِ ، بيَّنَتْ لنا هذهِ الآياتُ التّاليةُ أنَّ صالِحاً عليهِ السّلامُ قدْ أرشَدَ قَوْمَهُ إلى المُعجِزَةِ الدّالَّةِ عَلى صِدْقِهِ فيما يُبلِّغُهُ عَنْ ربِّهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

يا قوم هذه ناقةُ اللهِ تَعالى جَعَلَها لكُم آيةً وَبيِّنَةً ومُعجزَةً دالَّةً عَلى صِدْقِ ما أقولُ ، وهذهِ النّاقةُ ناقةٌ مَخصوصةٌ مُتميِّزَةٌ ليستْ كَغيرِها مِنَ النُّوقِ ، وقدْ أمرَهُم أنْ يتركوا هذهِ النّاقةَ حُرَّةً طليقةً تأْكُلُ في أرضِ اللهِ تَعالى الواسِعَةِ ، ومِنْ رِزْقِهِ الّذي تكفَّلَ بهِ لكلِّ دابّةٍ ، وحذَّرَهُمْ مِنْ أنْ يَمسّوها بشيءٍ مِنَ السّوءِ مَهْما كانَ قليلاً . فإنْ فعلتُمْ ذلِكَ عرَّضْتُمْ أنفُسَكُمْ لِعذابِ اللهِ تَعالى العاجِلِ القريبِ .

ولكنّ قومَ صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ لَمْ يَستمِعوا إلى تَحذيرِهِ ، ولَمْ يَسْتَجيبوا لِندائِهِ ، بلْ قابَلوهُ بالطُّغيانِ والعِصْيانِ ، فقتَلوا النّاقةَ ، وبذلكَ اسْتَحقّوا عذابَ اللهِ تَعالى .

﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبٖ ﴿٦٥﴾ ﴾ .

لَمْ يَسمعِ القومُ نُصْحَ نبيِّهِمْ صالحٍ عَلَيْهِ السّلامُ ولَمْ يَسْتَجيبوا لهُ ، وبَلغَ بِهِمُ الكِبرياءُ والاسْتِهانةُ بِتَهديدِهِ أنْ قَتلوا النّاقَةَ ، فقالَ لهُمْ نَبيُّهُمْ عَلَيْهِ السّلامُ بعدَ نَحرِهِمُ النّاقةَ : إنَّ لكُمْ ثلاثةَ أيامٍ تَعيشونَ وتَستْمتِعونَ فيها في ديارِكُمْ ، هِيَ آخِرُ ما بَقِيَ لكُم مِنْ متاعِ هذهِ الدُّنْيا ومِنْ أيامِ حياتِكُمْ فيها ، وبعدَ ذلكَ يَأْتيكُمْ عذابُ اللهِ تَعالى ، ذلِكَ وعْدُهُ الحَقُّ الّذي لا يتخلَّفُ ، ولا يقعُ عليهِ تَكذيبٌ .

ولقدْ تحقَّقَ فيهم وَعْدُ اللهِ تَعالى ، فقدْ حلَّ بِهِمُ العذابُ في الوقتِ المُحدَّدِ ، قالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا صَٰلِحٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ ﴾ .

فلمّا جاءَ عذابُنا نَجّيْنا صالِحاً عَلَيْهِ السّلامُ والّذينَ معهُ مِنَ الهَلاكِ برَحْمةٍ خاصّةٍ مِنّا ، ونَجّيناهُمْ كذلكَ مِنْ مَهانةٍ وفَضيحةٍ في ذلِكَ اليومِ الّذي أهْلَكَ اللهُ فيهِ ثمودَ ، إنَّ ربَّكَ أيُّها النَّبيُّ محمّدٍ ﷺ هو القويُّ الغالِبُ ، فاطْمَئِنَّ إلى قُوَّتِهِ وعِزَّتِهِ وعَوْنِهِ ونَصْرِهِ ، ولا تَبتئِسْ ممّا أصابَكَ مِنْ قَوْمِكَ ، فربُّكَ سُبْحانَهُ قادرٌ عَلى أنْ يَفعلَ بِهِمْ ما فعَلَهُ بالظّالمينَ السّابقينَ مِنْ أمثالِهِمْ .

ثُمَّ صوَّرَ القرآنُ الكريمُ حالَ هؤلاءِ الظّالمينَ الّذينَ حَلَّ بهمْ عذابُ اللهِ تَعالى تَصويراً يَدعو إلى الاتِّعاظِ والاعْتبارِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

وأخذتِ الصّيْحةُ بِعُنْفِها ورَجْفَتِها وصاعِقَتِها الظّالمينَ ، لأنَّهُمْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بالكُفْرِ والعُدْوانِ ، فأصْبَحوا في دارِهِمْ هامِدينَ ، راقِدينَ عَلى وُجوهِهِمْ ، مَيّتينَ ، لا حَراكَ بهِمْ . ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بَعْدَ ذلِكَ أنَّ ثمودَ بما حلَّ بِها كأنّها لم تَنْعَمْ يوماً ، فقالَ سُبْحانَهُ :

الدَّرْسُ السَّادِسُ والثَّلاثونَ

سورةُ هودٍ - القِسْمُ الرّابِعَ عَشَرَ

وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ
حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ
أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ
يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟
أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ
أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

البُشْرى	:	البِشارَةُ بالخَبَرِ السّارِ .
عِجْلٍ حنيذٍ	:	عِجْلٍ مَشْوِيٍّ .
نكِرَهُمْ	:	اسْتَغْرَبَ أمْرَهُم .
أوْجَسَ منهمْ خيفَةً	:	أحسَّ بالخَوْفِ .
بَعْلي	:	زَوْجي .
الرَّوْعُ	:	الخَوْفُ والفَزَعُ .
حليمٌ	:	صَبورٌ على الأذى .
أوّاهٌ	:	كثيرُ التأوُّهِ مِنْ خَشيةِ اللهِ تَعالى .
مُنيبٌ	:	سَريعُ الرّجوعِ إلى اللهِ تَعالى .



التّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ ذكرتِ السّورَةُ الكَريمةُ قصّةَ ثَمودَ ، ساقَتْ لنا جانِباً مِنْ قصّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ مع الملائِكةِ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

ولقدْ أرْسَلْنا الملائِكةَ عَلَيْهِمُ السّلامُ إلى إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ لِبشارَتِهِ هو وزَوجَتِهِ بمولودٍ ، فلمّا جاءوهُ سلّموا عَلَيْهِ سلاماً ، فردَّ تَحيَّتَهُمْ بالسّلامِ ، وأسْرَعَ ولمْ يُبْطِىءْ ، فأحْضَرَ إليْهِمْ عِجْلاً سميناً مَشويّاً ليأكُلوا منهُ ، تكريماً لَهُمْ .

ثُمَّ بيَّنَ اللهُ تَعالى حالَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ عندَما رأى ضُيوفَهُ لا يأكلونَ طعامَهُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

فلمّا رأى إبراهيمُ عَلَيْهِ السّلامُ ضُيوفَهُ لا تَمتدُّ أيْديهِمْ إلى الطّعامِ الّذي قدَّمَهُ لهُمْ ، نَفَرَ مِنْهُمْ ، وأحسَّ في نفسهِ مِنْ جهتِهِمْ خَوْفاً ، لأنَّ امْتِناعَ الضَّيْفِ عنِ الأكْلِ مِنْ طَعامِ مُضيفِهِ ـ من دونِ سببٍ ـ يُشْعِرُ بأنَّ هذا الضَّيْفَ يَنوي شرّاً بهِ ، وما يزالُ هذا الأمرُ إلى اليومِ في كثيرٍ مِنَ البُلْدانِ .

ولِهذا قالَ الملائِكةُ عَليْهِمُ السّلامُ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ عندَما لاحظوا ما يَعتورُ نَفسَهُ مِنَ الخَوْفِ : لا تَخَفْ يا إبراهيمُ ـ عليهِ السّلامُ ـ فإنّا لَسْنا ضُيوفاً مِنَ البَشَرِ ، وإنّما نحنُ رُسُلُ اللهِ تَعالى أرْسَلَنا إلى قومِ لوطٍ لإهْلاكِهِمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما بَشَّروا بهِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾

ولاشكَّ في أَنَّ المرأةَ عندما تكونُ قدْ بلغتْ سِنّاً كبيرةً لا تُنْجِبُ معَها ، ولمْ يكُنْ لها ولَدٌ ، ثُمَّ تَأْتيها مثلُ هذهِ البِشارةِ فإنَّ كِيانَها يَهتزُّ وتَزْدادُ عُجْباً ، قال تَعالى :

﴿ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾

صاحَتْ مُتعجِّبةً ضاحِكةً ، وقالتْ : يا عَجَباً ، أَأَلِدُ وأنا عجوزٌ تقدَّمتْ بي السِّنُّ ، وهذا زَوْجي

كذلكَ شيخٌ كبيرٌ ولا يُولَدُ لِمثلِهِ ؟ إنَّ هذا الّذي أسْمَعُهُ واللهِ شيءٌ عجيبٌ ، إذْ كيفَ يُولَدُ لِهَرِمَيْنِ مِثْلي ومِثلَ زَوْجي ؟

ولمّا سَمِعَ الملائِكةُ منها هذا الكَلامَ اسْتَغْرَبوهُ ، قال تَعالى :

﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴿٧٣﴾ ﴾

قالتِ المَلائكةُ لَها : أتَعْجَبينَ أنْ يُولَدَ لكُما ولدٌ على كِبَرِكُما ، وهذا مِنْ أمْرِ اللهِ تَعالى الّذي لا يُعجِزُهُ شيءٌ ، تلكَ رحمةُ اللهِ ونِعَمُهُ الكَثيرةُ عَلَيْكُم يا أهلَ بيْتِ النّبوَّةِ ، فليسَ بِعَجَبٍ أنْ يَهَبَ لكَمْ ما لمْ يَهبَ لِغيرِكُمْ ، إنّهُ سُبْحانَهُ فاعِلٌ ما يَستوجِبُ الحَمْدَ ، عظيمٌ كثيرُ الإحسانِ والعَطاءِ .

وإنّما أنْكَرتِ المَلائكةُ على امرأةِ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ تَعجُّبَها ، لأنّها كانتْ في بَيْتِ النُّبوّةِ ومَهْبطِ المُعْجزاتِ ، والأُمورِ الخارِقةِ للعاداتِ ، فكانَ عليْها أنْ لا يَظْهَرَ منها مثلُ ذلِكَ ، وأنْ تُسبِّحَ اللهَ تَعالى وتَحْمَدَهُ وتُمجِّدَهُ بَدَلاً من هذا التَّعجُّبِ .

ثُمَّ حكى اللهُ تَعالى لنا ما كانَ مِنْ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ حينَ سكنَتْ نفسُهُ وهدأَ روْعُهُ واطْمَأنَّ إلى ضُيوفِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ ﴾

فلمّا ذهَبَ عنْ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ الخَوْفُ ، وسَمِعَ البشارَةَ السّارّةَ بالوَلَدِ ، أخَذَهُ الإشْفاقُ ، وأخَذَ يُجادِلُ رُسُلَنا في هلاكِ قومِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ . والمُجادَلَةُ هنا هي المُحاوَرَةُ عن طريقِ السّؤالِ والجَوابِ . ثُمَّ بَيّنَ اللهُ تَعالى مِنْ صفاتِ سيّدِنا إبراهيمَ بَعْضَها ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ﴿٧٥﴾ ﴾

إنّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ لَكثيرُ الحِلْمِ ، لا يُحِبُّ تَعجيلَ العِقابِ ، كثيرُ التأوُّهِ والتَّوجُّعِ مِنَ السّوءِ الّذي يُصيبُ غَيْرَهُ ، ومِنْ خَشْيَةِ اللهِ تَعالى ، تائِبٌ راجعٌ إلى اللهِ بما يُحبُّهُ ويَرْضاهُ ، فَرِقَّتُهُ ورَحْمتُه ورأفَتُهُ ، حَمَلَتْهُ عَلى المُجادَلَةِ رجاءَ أنْ يَرفَعَ اللهُ تَعالى عذابَهُ عَنْ قومِ لوطٍ لعلّهُمْ يَتوبونَ ويُنيبونَ .

ولكنَّ حِلْمَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ وإنابَتَهُ ، لم يَرُدَّ قضاءَ اللهِ تَعالى العادلَ في شأنِ قومِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، ولِذا طَلَبَتَ منهُ الملائِكَةُ عَلَيْهِمُ السّلامُ الإعْراضَ عَنْ هذا الجِدالِ ، والانْصِرافَ إلى شيءٍ آخَرَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾

قالتِ الملائكةُ لإبراهيمَ عَلَيْهِ وعليهِمُ السّلامُ : يا إبراهيمُ ، أعْرِضْ عن هذا الجِدالِ والتّماسِ الرَّحمةِ لِهؤلاءِ القَوْمِ ، إنّهُ قدْ جاءَ أمْرُ ربِّكَ تَعالى بِهلاكِهِمْ وإنّهُمْ لابُدَّ آتيهِمْ عذابٌ نافذٌ غيرُ مردودٍ بجدَلٍ أو غيرِ جدَلٍ ، فإنَّ قضاءَ اللهِ تَعالى لا يُرَدُّ عنِ القَوْمِ المُجْرِمينَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ اسْتِحْبابُ أنْ يقومَ المُبشَّرُ بِشُكْرِ اللهِ تَعالى عَلى البِشارةِ الّتي جاءَتْهُ .

٢ـ السّلامُ مشروعٌ ومُسْتَحبٌّ وهو تَحيَّةُ المُسْلِمينَ .

٣ـ مَشْروعيةُ الضّيافةِ والمُبادَرةِ إليْها ، وتَكْريمِ الضَّيْفِ بما يَسْتَحِقُّ ، وخِدْمَتِهِ بما يَليقُ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

البُشْرى ، عِجْلٍ حَنيذٍ ، نَكِرَهُمْ ، أوْجَسَ مِنْهُمْ خيفةً ، بَعْلي ، الرَّوْعُ ، حليمٌ ، أوّاهٌ ، مُنيبٌ .

٢ـ هَلِ العِبْرَةُ مِنْ قِصَّةِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ هي العِبْرَةُ نَفْسُها مِنْ قَصصِ مَنْ سَبَقَ مِنَ الأنْبياءِ ؟ وضِّحْ ذلكَ .

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ كانَ عَلى خُلُقٍ عظيمٍ ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ لِماذا تَعجَّبتِ امرأةُ إبْراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ مِنَ البِشارةِ ؟

٥ـ لِماذا أنْكَرتِ المَلائكةُ عَلَيْهِمُ السّلامُ تَعجُّبَ زوْجِ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٦ـ لِماذا كانتِ المُجادَلَةُ بَيْنَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، والملائكةِ عَلَيْهِمُ السّلامُ في شأنِ قومِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٧ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ قضاءَ اللهِ تَعالى نافذٌ لا يُرَدُّ وضِّحْ ذلكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ بِلُغَتِكَ الحِوارَ الّذي دارَ بينَ إبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ وزَوْجِهِ والملائكةِ ، مُبيِّناً دَوْرَ كلٍّ مِنهُمْ .

❊ ❊ ❊

الدَّرْسُ السَّابِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ هودٍ - القِسْمُ الخامِسَ عَشَرَ

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ
يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ
وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ
رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ
مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا
سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سِيءَ بهِمْ : حَصَلَتْ لهُ المَساءَةُ بِقُدومِهِمْ .
ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً : أصابَهُ الضِّيقُ فما عادَ يَسَعُهُ اسْتِقْبالُهُمْ .
يومٌ عصيبٌ : شديدُ الهَوْلِ والكَرْبِ .
آوي : أَلتجِىءُ وأحْتَمي .
بِقِطْعٍ مِنَ اللّيلِ : بجُزْءٍ منهُ .
سِجّيلٍ : حَجَرٍ وطينٍ مُختلِطٍ قدْ تَصلَّبَ .
مَنضودٍ : مُتَتابِعٍ دونَ انقطاعٍ .
مُسوَّمَةً : مُعَلَّمَةً بِعَلاماتٍ خاصَّةٍ .



بَعْدَ أنْ بَيَّنتِ السّورةُ الكَريمةُ ما حَصَلَ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ مِنَ الفَضْلِ والتَّكريم ، انْتَقَلتْ لِتُحدِّثَنا عَنْ قصّةِ لوطٍ وقومِهِ ، وهُمْ نَمَطٌ جديدٌ مِنَ البَشَرِ الَّذينَ انْحَرفوا عنِ الجادّةِ والأخْلاقِ ، وفَسَدتْ طِباعُهُمْ ، وأظْلَمَتْ قلوبُهُم ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

وحينَ جاءتِ الملائِكةُ عَلَيْهِمُ السّلامُ إلى لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ بَعْدَ مُفارَقَتِهِمْ لإبراهيمَ عَلَيْهِ السّلامُ ، وكانوا ذوي وُجوهٍ حِسانٍ ، حَزِنَ لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ ، وساءَهُ مَجيئُهُمْ ، لأنّه كانَ لا يَعرِفُهُمْ ، ويَعْرِفُ أنَّ قومَهُ قومُ سوءٍ ، فخَشِيَ أنْ يَعتديَ قومُهُ عَلَيْهِم ، بعادَتِهِمُ الشَّنيعةِ ، وهو عَلَيْهِ السّلامُ عاجزٌ عنِ الدّفاعِ عنْهُمْ . وقدْ صوَّرَ القرآنُ الكَريمُ حالَتَهُ النفسيَّةَ بقولهِ تَعالى : ﴿وَضَاقَ بِهِم ذَرعاً﴾ أيْ أنَّ حيلَتَهُ نَفِدَتْ ونَفْسَهُ اغْتَمَّتْ ، وعَجزَ عَنْ إيجادِ حيلةٍ لِحمايَتِهِمْ ، وللخُروجِ مِنَ المَكروهِ الّذي يوشِكُ أنْ يُلِمَّ بِهِمْ ، ثُمَّ قالَ مُتضجِّرا قَلِقاً : هذا اليومُ الّذي جاءَ فيهِ هؤلاءِ الضّيوفُ يومٌ شديدُ الهَوْلِ والكَرْبِ!!

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى ما كانَ مِنْ قومِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ عِندَما عَلِموا بِوُجودِ هؤلاءِ الضُّيوفِ عندَهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

وبَعْدَ أنْ عَلِمَ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ بوجودِ هؤلاءِ الأضْيافِ عندَ نَبيِّهِمْ عَلَيْهِ السّلامُ ، جاءوا إليهِ مُسْرِعينَ يَسوقُ بعضُهُمْ بعضاً إلى بَيْتِهِ مِنْ شدَّةِ الفَرَحِ ، ومِنْ قبلِ هذا المَجيءِ كانَ هؤلاءِ القَومُ الفَسَقَةُ الفَجَرَةُ يَرْتَكِبونَ السّيئاتِ الكَثيرةِ ، الّتي مِنْ أقْبَحِها إتْيانُهُمُ الرِّجالَ شَهْوةً مِنْ دونِ النّساءِ : « فاحِشةُ اللِّواطِ » .

وقد طوى القرآنُ الكَريمُ الغَرَضَ الّذي جاءوا مِنْ أجْلِهِ وأشارَ إليهِ بقولِهِ تَعالى :

﴿ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ لبيانِ أنَّ هذهِ الفاحِشَةَ صارتْ عادةً مِنْ عاداتِهِمُ المُتأصِّلَةِ في نُفوسِهِمُ الشّاذّةِ ، فلا يَسْعَوْنَ إلاّ مِنْ أجْلِ قَضائِها . غيرَ أنَّ لوطاً عَلَيْهِ السّلامُ لَمّا هَجَمَ عَلَيْهِ قومُهُ بادرَهُمْ بأمْرِهِمْ بالعَوْدِ إلى نسائِهِمْ قائلاً لهُمْ : هؤلاءِ بَناتي هُنَّ أطْهَرُ لكُمْ ـ إذْ كلُّ نبيٍّ أبٌ لأمّتِهِ مِنْ حَيْثُ الشَّفقةُ والرَّحمةُ وحُسْنُ التَّربيةِ والتّوجيهِ ـ ولا يَنبغي أنْ يَتوهَّمَ أحدٌ أنّهُ يَدعوهُمْ إلى بَناتِهِ حقّاً ـ

فارْجعوا إليهنَّ ، واقْضوا شَهَواتِكُمْ معهُنَّ ، فهنَّ أطهرُ لكُمْ نَفسيّاً وحِسّياً مِنَ التلوُّثِ بفاحشةِ اللّواطِ . وبعدَ أنْ أرْشَدَهُمْ إلى نِسائِهِمْ ، أمَرَهُمْ بتقوى اللهِ تعالى ، ومُراقَبتِهِ ، وقالَ لهُمْ : اتّقوا اللهَ تَعالى ، ولا تَجْعَلوني مَخزيّاً مَفضوحاً أمامَ ضُيوفي بسببِ اعْتِدائِكُمْ عَليْهِمْ . وهذا الكلامُ مِن لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ لاسْتثارةِ نَخوتِهِمْ ، مِمّا حَمَلَهُ على أنْ يقولَ لهُمْ مُسْتَفْهِماً مُسْتَنْكِراً : أليسَ منكُمْ رجلٌ رشيدٌ يَهدي إلى الرُّشدِ ، ويَنْهى عنِ الباطِلِ والرَّذيلةِ ، فيقِفُ إلى جانِبي ، ويَصْرِفُكُمْ عنْ ضُـيوفي ؟

ولكنَّ هذا النُّصْحَ واسْتثارةَ النَّخوةِ لم يَنفعْ معَ أصْحابِ القُلوبِ الميتةِ والفِطَرِ الشّاذَّةِ ، فردّوا على نَبِيِّهِمْ رَدّاً قبيحاً ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

قالوا يا لوطُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ لقدْ عَلِمْتَ عِلْماً لا شكَّ فيهِ أنّنا ليسَ عِنْدَنا رغبةٌ في النِّساءِ ، وليسَ لنا مَيْلٌ إليْهِنَّ ، وإنّكَ لَتعْلَمُ ما نُريدُ! وهذه إشارةٌ خبيثةٌ مِنْهُمْ إلى العَمَلِ الخَبيثِ الّذي أَلِفوهُ ، وهو إتيانُ الذّكورِ دونَ الإناثِ .

ولمّا سَمِعَ لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ مَقالتَهُمْ رَدَّ عَليْهِمْ ردَّ اليائِسِ مِنْ تَراجُعِهِمْ عنْ غَيِّهِمْ ، مُتمنِّياً وُجودَ قُوَّةٍ إلى جانبِهِ تَردَعُهُمْ وتَكُفُّ فجورَهُمْ ، قال تَعالى :

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ ﴾

قالَ لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ : لو أنّ لي قوّةً ، أو رُكْناً قوياً أعْتَمِدُ عَلَيْهِ لكانَ مَوقِفي منكُمْ غيرَ هذا المَوْقِفِ ، ولَدفعتُكُمْ عَنْ ضُيوفي ومَنَعْتُكمْ مِنْ إلحاقِ الأذى وفِعْلِ السّوءِ بِهِمْ .

وبَعْدَ أنْ بَلَغَ الضّيقُ بلوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ مَبْلَغاً عظيماً ، جاءَهُ الفَرَجُ مِنْ ربّهِ تَعالى ، فكشَفَ لهُ الملائكةُ عَنْ حَقيقتِهِمْ ، وبشرَّوهُ بما يُدْخِلُ السّرورَ على قلبِهِ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ .

قالتِ الملائكةُ عَلَيْهِمُ السّلامُ ، وقد أظْهَروا حَقيقَتَهُمْ : يا لوطُ ـ عَلَيْهِ السّلامُ ـ لا تَخَفْ ولا تَحْزَنْ ، إنا رُسُلُ ربّكَ ، ولَسْنا بَشَراً كَما بَدا لكَ ، ولِقَوْمِكَ ، ولنْ يَصِلَ هؤلاءِ إليكَ بشرٍّ يَسوؤُكَ ، أو ضُرٍّ يُصيبُكَ ، فَسرْ أنتَ وأهْلُكَ في بعضِ أوقاتٍ مِنَ الليلِ ، إذا دخلَ جزءٌ كبيرٌ منهُ ، واخْرُجْ بهِمْ مِنْ هذهِ القريةِ ، ولا يَلتفِتْ منكُمْ أحدٌ خَلْفَهُ ، لِكَيْلا يَرى هَوْلَ العذابِ فيُصابَ بشَرٍّ منهُ ، لكنّ امرأتَكَ الّتي كَفرتْ مِنَ الخارجينَ معكَ ، إنّه لابُدَّ مُصيبُها ما قُدِّرَ أنْ يُصيبَ هؤلاءِ المُتَفحِّشينَ ، إنَّ موعدَ هلاكِهِمُ الصُّبحَ ، وهو موعدٌ قريبٌ فلا تَخَفْ .

ثُمَّ حكى سُبْحانَهُ وتَعالى في نهايةِ هذهِ القِصَّةِ ما حلَّ بأُولئكَ المُجْرِمينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

فلمّا جاءَ وقتُ العذابِ الّذي قَدَّرناهُ ، وحدّدنا مَوْعِدَهُ ، جَعَلْنا عاليَ القريةِ الّتي كانَ يَعيشُ فيها هؤلاءِ سافِلَها ، فقلَبْناها ـ لأنّهم قَلَبوا فِطْرَتَهُمْ ـ وأمْطَرْنا عَلَيْهم في أثناءِ ذلكَ حجارةً مِنْ طينٍ حُمِيَ بالنّارِ حتّى تحجّرَ ، أرْسَلناها قويّةً مُتَتاليةً كَيْلا يَنجو منهُمْ أحدٌ .

ثُمَّ بيّنَ اللهُ لنا أنَّ هذهِ الحِجارَةَ كانتْ مُميَّزَةً مَخصوصةً ، قالَ تعالى :

﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾

وكانتْ هذه الحجارةُ مُعَلَّمَةً عندَ ربِّكَ تَنزِلُ عَلَيْهِم مُتَتابِعَةً مُنتَظِمَةً مُعْلِنةً العذابَ عَلَيْهِمْ ، وليْسَتْ هذهِ الحجارةُ أيُّها النَّبيُّ ﷺ بعيدةً عنِ الظّالمينَ ، بلْ هِيَ حاضِرَةٌ قريبةٌ تَنتَظِرُ أمْرَ اللهِ تَعالى بالنُّزولِ المُتَتابِعِ عَلى رُؤوسِ الظّالمينَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ قَدْ فَعَلوا ما لَمْ يَسبقْهُمْ إليهِ أحَدٌ ، فقدْ غيّروا ما فَطَرَهُمُ اللهُ عليهِ فاسْتَحقّوا العذابَ .

٢ـ حِرْصُ نبيِّ اللهِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ عَلى ضُيوفِهِ كَحِرْصِهِ عَلى نَفْسِهِ ، وهذا مِنْ مكارمِ الأخْلاقِ .

٣ـ لَمْ يتوانَ لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ عَنْ نَصيحةِ قوْمِهِ بالرَّغْمِ ممّا هُمْ فيهِ مِنْ فاسدِ الفاحِشَةِ وهكذا يكونُ الدّاعيةُ .

٤ـ عِنْدَما تَشْتَدُّ الأُمورُ يَأْتي الفَرَجُ مِنَ اللهِ تَعالى ﴿فإنَّ معَ العُسْرِ يُسْراً إنّ مَعَ العُسْرِ يُسرا﴾ .

٥ـ القَرابَةُ هي قَرابَةُ الدّينِ ، ولا تَنفعُ قَرابَةُ النَّسَبِ مَعَ الكُفْرِ .

٦ـ عَلى الظّالِمِ أنْ يَعتبرَ بما حلَّ بالأُمَمِ الماضيةِ ، وإلاّ أصابَهُ مِثلَما أصابَهُمْ .



أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

سيءَ بِهِمْ ، ضاقَ بِهِمْ ذَرْعاً ، يومٌ عَصيبٌ ، يُهْرَعونَ إليهِ ، آوي ، بِقِطْعٍ مِنَ اللّيلِ ، سِجّيلٍ مَنضودٍ ، مُسَوَّمةً .

٢ـ بماذا اختلفَ قومُ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ عنِ الأقوامِ الّذينَ سَبقَتْهُمْ .

٣ـ وضِّحِ الحالةَ الّتي كانَ عليها لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ حينَ جاءَتْهُ الملائكةُ عَلَيْهِمُ السّلامُ .

٤ـ كيفَ تَعاملَ لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ معَ قومِهِ حينَ تَدافعوا إليهِ يُريدونَ ضُيوفَهُ ؟

٥ـ بماذا تُفَسِّرُ قولَ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ : ﴿يا قومِ هؤلاءِ بَناتي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ؟

٦ـ لماذا لمْ تَنفَعْ نَصيحةُ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ معَ هؤلاءِ القومِ ؟

٧ـ كيفَ يُمْكِنُ أنْ تتخيّلَ لوطاً عَلَيْهِ السّلامُ وقدْ كشَفَ لهُ الملائِكةُ عَنْ حقيقَتِهِمْ ؟

٨ـ ما الّذي حلَّ بقومِ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ ؟ ولِماذا كانَ عذابُهُمْ عَلى تِلْكَ الصِّفَةِ ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ التّحريمِ الّتي تُبيِّنُ كُفْرَ امرأةِ لوطٍ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ آيةَ سورةِ الفيلِ الّتي تُبيِّنُ ما أصابَ أَصْحابَ الفيلِ مِنَ العَذابِ .

٣ـ اكْتُبْ بِلُغتِكَ الحِوارَ الّذي دارَ بينَ لوطٍ عَلَيْهِ السّلامُ وقومِهِ والمَلائِكةِ مُبيِّناً دَوْرَ كلٍّ مِنهُمْ .

* * *

الدَّرسُ الثّامنُ والثّلاثونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ السّادِسَ عَشَرَ

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟
ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾
وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟
فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم
بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ
أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مَدينَ	: اسمُ قبيلةٍ عربيةٍ أرْسَلَ اللهُ تَعالى لَها نَبيَّهُ شُعَيْباً عَلَيْهِ السّلامُ .
إنّي أراكُمْ بِخَيرٍ	: أحوالُكُمْ تُغنيكُمْ عنِ الفِعْلِ الخَسيسِ ، لأنّكُمْ أصحابُ مالٍ وغِنىً .
لا تَبْخَسوا النّاسَ	: لا تُنْقِصوهُمْ شيئاً مِنْ حُقوقِهِمْ .
ولا تَعْثَوْا في الأرضِ مُفْسِدِينَ	: لا تَسْعَوْا في الأرضِ بالفَسادِ .
بَقيّتُ اللهِ	: ما يُبقيهِ اللهُ تَعالى لَكُمْ .

التّفسيرُ :

بعدَ أنْ حَدَّثَتْنا السّورَةُ الكَريمةُ عنْ صورةٍ مِنَ الانْحِرافِ البَشعِ الّذي ابْتَدَعَهُ قوْمُ لوطٍ عليهِ السّلامُ ، انتقلتِ السّورَةُ لِتُحَدِّثَنا عَنْ صورةٍ جديدةٍ من صُوَرِ الانْحرافِ الاجْتماعيِّ الخاصِّ بالجانبِ الاقْتصاديِّ ، وذلكَ ما كانَ يفعلُهُ قومُ شُعَيْبٍ عليهِ السّلام ، قالَ تَعالى :

﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

وكما أرْسَلْنا إلى ثمودَ أخاهُمْ صالحاً عليهِ السّلامُ ،أرْسَلْنا إلى مَدْينَ أخاهُمْ شُعَيْباً عليهِ السّلامُ ،فقالَ لهمْ مَقالةَ كلِّ نبيٍّ لقومِهِ : يا قوم اعْبُدوا اللهَ وحْدَهُ ، فإنَّه لا إلهَ لكُمْ يَستَحِقُّ العِبادَةَ سِواهُ ، فَهُوَ الّذي خَلَقَكُمْ ، وهو الّذي رَزَقَكُمْ ، وهو الّذي إليهِ تُرْجَعونَ ، وبعدَ هذا الأمرِ بالتّوحيدِ وإخْلاصِ العبادةِ للهِ تَعالى ، نَهاهُمْ عَلَيْهِ السّلامُ عنِ التَّطفيفِ في الكَيْلِ والميزانِ .

وتطفيفُ الكَيْلِ والميزانِ جريمةٌ اجْتِماعِيَّةٌ ، تُؤدّي إلى شُيوعِ الاضْطرابِ في المُجتمعِ وتَحوُّلِهِ إلى كواسرَ ضاريةٍ ، يَسعى كلٌّ منها إلى اغْتِنامِ حاجاتِهِ على حسابِ الآخَرينَ . ثمّ إنَّ شُعيباً عَلَيْهِ السّلامُ بَيّنَ لهُمْ ما دعاهُ إلى نَهْيِهِمْ عنْ هذا الأمرِ الّذي هُمْ فيهِ ، قائلاً لهُمْ : إنّي أراكُمْ تَمْلِكونَ الوَفيرَ مِنَ المالِ ، وتَعيشونَ في رَغَدِ العيشِ وفي بسطةٍ مِنَ الرِّزقِ ، ومَنْ كانَ كذلكَ كانَ عَلَيْهِ أنْ يُقابِلَ هذهِ النِّعَمَ بالشُّكْرِ لِواهِبِها وهو اللهُ تَعالى ، وأنْ يَسْتَعمِلَها اسْتِعمالاً يُرضيهِ ، وأنْ يُعْطِيَ كلَّ ذي حقٍّ حقَّهُ . ثُمَّ حذَّرَهُمْ خَوْفَهُ مِنْ عقابِ اللهِ تَعالى ، قائلاً لهُم : إنّي أخافُ عَلَيْكُم إذا ما تَماديتُمْ في مُخالَفةِ ما آمُرُكُمْ بهِ وما أنْهاكُمْ عنهُ ، عذابَ يومٍ أهوالُهُ وآلامُهُ شامِلَةٌ لكلِّ ظالِمٍ بحيثُ لا يَفْلِتُ منهُ أحَدٌ .

ثُمَّ استمرَّ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السّلامُ ناصِحاً قَوْمَهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

ويا قوم أدّوا المَكيلَ والمَوْزونَ ممّا تَبيعونَهُ وافِياً عَلى وجْهِ العَدْلِ والتَّسويةِ ، ولا تُنْقِصوا النّاسَ حقَّهُم في أَشيائِهِمْ ، ولا تَجوروا وتُفْسِدوا في الأرضِ بسَرِقَةِ أمْوالِهِمْ ، أوِ الإغارةِ عليْهِمْ ، أو قَطْعِ الطَّريقِ على العابرينَ منهُمْ ، تتَّخِذونَ الفَسادَ في الأرضِ وسيلةً لِلْكَسْبِ الحَرامِ .

ثُمَّ واصَلَ عَلَيْهِ السّلامُ نُصْحَهُ وإرشادَهُ لقومِهِ دونَ توقُّفٍ ، قالَ تَعالى :

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ ﴾

ما يَبقى لَكُمْ مِنَ المالِ الحلالِ الّذي تَفضَّلَ اللهُ تَعالى بهِ عَلَيْكُم ، خيرٌ لَكُمْ مِنَ المالِ الّذي تَجمعونَهُ مِنْ حرام ، إنْ كُنْتُم تُؤْمنونَ باللهِ ، وتَجْتَنِبونَ ما حَرَّمَهُ عَلَيْكُمْ فحاسِبوا أنْفُسَكُمْ ، وراقِبوا ربَّكُمْ ، ولستُ عليْكُمْ رقيباً أُحْصي أعمالَكُمْ ، وأُحاسِبَكُمْ عَلَيْها .

وعلى هذا نَجدُ شُعيْباً عَلَيْهِ السَّلامُ قدْ أرشَدَ قَوْمَهُ إلى ما يُصْلِحُهُمْ في عَقائِدِهِمْ ، وفي مُعامَلاتِهِمْ ، وفي صِلاتِهِمْ بعضِهِمْ ببعضٍ ، وفي سُلوكِهِمُ الشّخصيِّ ، بأُسلوبٍ حكيمٍ جامعٍ لكلِّ

ما يَسْعِدُ ويَهدي للّتي هيَ أَقْوَمُ ، ولقدْ كانَ ردُّ قوْمِهِ عليهِ ، كما حَكاهُ لنا القرآنُ الكريمْ طافِحاً بالاسْتِهزاءِ بهِ والسُّخريةِ منهُ ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

قالوا ساخِرينَ مُستهزِئينَ : يا شعيبُ ، أصلاتُكَ الّتي تَزْعُمُ أنَّ ربَّكَ قد كَلَّفَكَ بها وأنتَ تُكْثِرُ منها ، تأمُرُكَ أنْ نترُكَ عِبادَةَ الأصْنامِ الّتي وَجَدْنا عليْها آباءَنا ، وتَأمُرُكَ على أنْ تَحمِلَنا على أنْ نمْتَنِعَ عنِ التّصرُّفِ في أموالِنا كما نريدُ ، ممّا نَرى فيهِ مَصلحتَنا ؟ إنّ ذلكَ في غايةِ السَّفَهِ والطَّيْشِ ، ولا يَتّفقُ معَ ما نعرِفهُ عنكَ مِنَ العَقْلِ وسَدادِ الرّأيِ ، فأنتَ المَعروفُ بكثْرَةِ الحِلْمِ والرُّشْدِ . ﴿ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ وِحدةُ الهَدَفِ مِنْ رِسالاتِ الأنْبياءِ عَلَيْهِمُ السّلامُ ، وهيَ الدّعوةُ إلى تَوحيدِ اللهِ جلَّ وعَلا .

٢ـ الوفاءُ بالكَيْلِ والوَزْنِ مبادىءُ أخلاقيّةٌ ساميَةٌ ، ونقْصُها جريمةٌ اجْتِماعيةٌ تؤدّي إلى فسادِ المُجْتَمَعِ .

٣ـ رِزْقُ اللهِ تَعالى للإنْسانِ خيْرٌ مِنَ اكْتِسابِه المالَ الحرامَ .

٤ـ تَصَرُّفُ الإنسانِ فيما يَمْلِكُهُ يجبُ أنْ يكونَ مَحكوماً بالضّوابطِ الشَّرعيّةِ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مَدْينَ ، إنّي أراكُمْ بِخَيْرٍ ، لا تَبْخَسوا النّاسَ ، لا تَعْثَوْا في الأرضِ ، بَقيّتُ اللهِ .

٢ـ ما الجَريمةُ الّتي كانَ يُمارِسُها قومُ شُعيبٍ عَلَيْهِ السّلامُ ؟

٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ شُعيباً عَلَيْهِ السّلامُ طلَبَ مِنْ قومِهِ أشياءَ ونَهاهُمْ عَنْ أشياءَ ، وضِّحْ ذلكَ مَعَ ذِكْرِ الدّليلِ .

٤ـ كانَ ردُّ قومِ شُعيبٍ عَلَيْهِ السّلامُ مُنْطَوياً عَلى السُّخريةِ بهِ والاسْتِهزاءِ منهُ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ أجبِ بـ(نعم) أو بـ(لا) عنْ كلٍّ مِمّا يلي :

أـ أرْسَلَ اللهُ تَعالى نَبيَّهُ شُعَيْباً عَلَيْهِ السّلامُ إلى ثمودَ (   ) .

ب ـ قبيلةُ مَدينَ قَبيلةٌ عَربيّةٌ (   ) .

ج ـ كانتْ جَريمةُ قومِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السّلامُ التّلاعُبُ بالكَيْلِ والميزانِ (   ) .

د ـ مِنْ عاداتِ قومِ شُعيْبٍ عَلَيْهِ السّلامُ أنّهمْ كانوا يَمْنَعونَ الفَسادَ في الأرْضِ (   ) .

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك كَيْفَ يكونُ التَّطْفيفُ في الكَيْلِ والميزانِ ، كَما جاءَ في سورةِ المُطَفِّفينَ .

٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِك آيَةَ سورةِ الإسْراءِ الّتي تَدْعو إلى إيْفاءِ حقِّ المِكْيالِ والميزانِ .

* * *

الدَّرْسُ التَّاسِعُ والثَّلاثونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ السّابِعَ عَشَرَ

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ
مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ
صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ
لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

وما أُريدُ أنْ أُخالِفَكُمْ إلى ما أنْهاكُمْ عنهُ	:	لا آمُرُكُمْ بشيءٍ وأفْعَلُ خِلافَهُ .
لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقي	:	لا تَحمِلَنَّكُمْ عَداوتي .
رَهْطُكَ	:	عَشيرَتُكَ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ لنا القرآنُ الكَريمُ ردَّ قومِ شُعيبٍ عَلَيْهِ السّلامُ عَلَيْهِ ، وسُخْرِيَتَهُمْ منهُ ، تُبَيِّنُ هذِهِ الآياتُ أنَّ شُعيباً عَلَيْهِ السّلامُ يَتغاضى عنْ سَفاهاتِهِمْ ، لأنَّهُ يَحُسُّ بقُصورِهِمْ وجَهْلِهِمْ ، كما يَحُسُّ بقوَّةِ الحَقِّ الّذي أتاهُمْ بهِ مِنْ عندِ ربِّهِ تَبارَكَ وتَعالى ، قالَ تَعالى :

﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

قالَ شُعيبٌ عَلَيْهِ السَلامُ يُخاطِبُ قومَهُ : يا قومِ أخْبِروني إنْ كنتُ على حُجَّةٍ واضِحَةٍ ، وإيمانٍ

الدَّرْسُ الأَرْبَعونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الثّامِنَ عَشَرَ

قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٞ
يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبٗا
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾
كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدٗا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

- **ظِهْرِيّا** : وراءَ ظُهورِكُمْ مِمّا لا يُتَلَفَّتُ إليهِ .
- **اعْمَلوا على مَكانَتِكُمْ** : ابْذُلوا ما في وُسْعِكُمْ
- **ارْتَقِبوا** : انتَظِروا .
- **جاثِمينَ** : هامِدينَ ، مَيِّتينَ .
- **بَعِدَتْ** : هَلَكَتْ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ ذلِكَ التلطُّفِ الّذي كانَ مِنْ شُعيبٍ عَلَيْهِ السّلامُ وهو يَرُدُّ على سَفاهةِ قومِهِ ، نَجدُهُ قدِ انتُقلَ في نِهايةِ القِصّةِ مِنَ اللّينِ إلى الشِّدّةِ ، ومِنَ التَّلَطُّفِ إلى الإنْكارِ دِفاعاً عَنْ جلالِ اللهِ تَعالى ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَهۡطِيٓ أَعَزُّ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ﴿٩٢﴾ ﴾ .

قالَ شعيبٌ عَلَيْهِ السّلامُ لقومِهِ مُنْكِراً عَلَيْهِم ما جاءوا بِهِ : يا قوم ، أَرْهْطي وعَشيرَتي الأَقْرَبونَ ، الَّذينَ مِنْ أجلِهِمْ لَمْ تَرجُموني ، أعزُّ وأكرمُ عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعالى ، الَّذي هو خالِقُكُمْ ورازِقُكُمْ ومُحْييكُمْ ومُميتُكُمْ ؟ ومعَ هذا جَعلْتُمْ أوامِرَهَ ونَواهيهِ الّتي جِئْتُكُمْ بها مِن لَدُنْهُ سُبْحانَهُ كالشّيءِ المَنبوذِ المُهْمَلِ المُلْقى مِنْ وراءِ الظّهْرِ بسببِ كُفرِكُمْ ، وطُغيانِكُمْ ، إنّ ربّي تعالى قدْ أحاطَ عِلْمُهُ بأقوالِكُمْ وأعْمالِكُمُ السيّئَةِ ، وسُيجازيكُمْ عليْها بِما تَستحقّونَهُ مِنْ عذابٍ مُهينٍ .

ثُمَّ زادَ شعيبٌ عَلَيْهِ السّلامُ في تَوْبيخِهِمْ وتَهديدِهِمْ فقالَ تَعالى :

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَمَنۡ هُوَ كَٰذِبٞۖ وَٱرۡتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمۡ رَقِيبٞ ﴿٩٣﴾ ﴾ .

قالَ لهمْ شعيبٌ عَلَيْهِ السّلامُ أيضاً : ويا قوم ، اعْمَلوا ما أنتُمْ قادِرونَ عليهِ ، وما تَستطيعونَ عَمَلَهُ إنْ لَمْ تَسْمَعوا نُصْحي ، وإنّي مُثابِرٌ على العَمَلِ بما يُخالِفُ عَمَلَكُمْ ، وسوفَ تَعلَمونَ مَنْ مِنّا الّذي يأتيهِ عَذابٌ يَفضَحُهُ ويُذِلُّهُ ، ومَنْ مِنّا الّذي هُوَ كاذِبٌ ، أأنا الّذي أُنذرُكُمْ بالعذابِ ، أمْ أنتُمُ الّذينَ أنْذَرتُموني بالإخْراجِ مِنَ القَريةِ . وانتَظِروا ماذا سَيحْصُلُ ، إنّي مَعكُمْ مُنتَظِرٌ . ولمْ يَطُلِ انْتظارُ شعيبٍ عليهِ السّلامُ ومُراقَبَتُهُ لِما يَحدُثُ لِقومِهِ ، بلْ جاءَ عِقابُ اللهِ تَعالى لهُمْ بِسُرْعَةٍ وحَسْمٍ ، بَعْدَ أنْ لجّوا في طُغيانِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ .

ولمّا وقَعَ أمْرُنا بِهلاكِهِمْ وعَذابِهِمْ ، نَجّينا شُعيباً عَلَيْهِ السّلامُ والّذينَ مَعهُ مِنَ العَذابِ والهَلاكِ ، وكانتْ نَجاتُهُمْ بِسَببِ رَحمةٍ مِنَ اللهِ تعالى لهُمْ ، وأخذَتِ الظّالمينَ مِنْ أهلِ مَدْينَ الصَّيْحةُ والرَّجْفَةُ المُهْلِكَةُ ، فأصْبَحوا في دِيارِهِمْ هامِدينَ راقِدينَ عَلى وُجوهِهِمْ لا حَراكَ بِهِمْ ، قالَ تَعالى :

﴿ كَأَن لَّمۡ يَغۡنَوۡاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّمَدۡيَنَ كَمَا بَعِدَتۡ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾ ﴾

وانتَهى أمْرُهُمْ ، وزالت آثارُهُمْ ، كأنَّهُمْ لم يُقيموا في دِيارِهِمْ ، ونَطَقَ حالُهُمْ بما يَجبُ أنْ يَتَنبَّهَ لهُ ويعتبرَ بِهِ كلُّ عاقِلٍ ، ألا هَلاكاً لِمَدْينَ ، وبُعْداً لها مِنْ رحمةِ اللهِ تَعالى كما بَعِدَتْ ثمودُ مِنْ قَبْلِهِمْ .

وهكذا طُويَتْ صَفْحَةٌ أُخْرى مِنْ صَفَحاتِ الظُّلْمِ والظّالِمينَ ، وهُمْ قومُ شعيبٍ عَلَيْهِ السّلامُ ، كما طُوِيَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ صَفحاتُ قومِ نوحٍ وهودٍ وصالِحٍ ولوطٍ ، عَلَيْهِم جَميعاً سلامُ اللهِ تَعالى وصَلاتُهُ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ إذا أرادَ الدّاعي أنْ يَنْجَحَ في دَعوتِهِ ، فَعَليهِ أنْ يُنَوِّعَ خِطابَهُ لِلمَدْعوّينَ ، ويكونَ غَيوراً عَلى دينِ اللهِ تَعالى .

٢ـ ثِقةُ الدّاعيةِ بربِّهِ تُحَتِّمُ عليهِ تَحذيرَ النّاسِ عذابَ اللهِ تَعالى ، وتُحتِّمُ عَلَيْهِ الاسْتِمْرارَ في دَعوتِهِ .

٣ـ وَعْدُ اللهِ تَعالى نافِذٌ بِنَجاةِ المُؤْمِنينَ ، وإهْلاكِ الكَافِرينَ كيْ يُصبِحوا حديثاً لِمَنْ خَلْفَهُمْ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

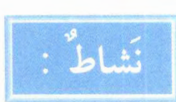
ظِهْرِيّا ، اعْمَلوا عَلى مَكانَتِكُمْ ، ارْتَقِبوا ، جاثِمينَ ، بَعِدَتْ .

٢ـ دلّتِ الآياتُ الكَريمةُ عَلى أنَّ شُعيباً عَلَيْهِ السّلامُ كانَ يُنوّعُ في أُسلوبِ دَعوتِهِ ، بيِّنْ ذلكَ .

٣ـ بَيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى الّتي لا تَتخلَّفُ ، وضِّحْها .

٤ـ بيِّنْ نوْعَ العذابِ الّذي هَلَكَ بِهِ قومُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السّلامُ .

٥ـ ما مَوقِعُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السّلامُ في الأُمَمِ الماضِيَةِ ؟



ـ املأ الجَدْولَ التّالي بما يُناسِبُ مِمّا جاءَ في آياتِ السُّورةِ ، وعلِّقْهُ على مجلّةِ الحائطِ في مَدرسَتِكَ .

الرقم	اسمُ النبيِّ	اسمُ القومِ الَّذينَ أُرْسِلَ إلِيْهِمْ	الفِعْلُ الّذي كانوا يَفعلونَهُ	نوعُ العذابَ الّذي حلَّ بِهِمْ .
١	نوحٌ عَلَيْهِ السّلامُ			
٢	هودٌ عَلَيْهِ السّلامُ			
٣	صالحٌ عَلَيْهِ السّلامُ			
٤	لوطٌ عَلَيْهِ السّلامُ			
٥	شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السّلامُ			

* * *

الدَّرسُ الحادي الأربعونَ

سورةُ هودٍ - القِسْمُ التّاسِعَ عَشَرَ

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ
أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ
ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ
نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ
عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

سلطانٍ مُبينٍ	حُجّةٍ واضحةٍ .
يَقْدُمُ قومَهُ	يَتقدَّمُهُمْ إلى جهنَّم .
فأَوْرَدَهُمُ النّارَ	دَخلَها وأدْخلَهُمْ معهُ .
بِئْسَ الوِرْدُ المَورودُ	بِئْسَ ما حلَّ بهمْ مِنْ عذابٍ في النّارِ ، بِئْسَ المَدْخَلُ الّذي دَخلوهُ يومَ القيامةِ .
بِئْسَ الرِّفْدُ المَرفودُ	بِئْسَ العطاءُ المُعْطَى لَهُمْ ، وهي اللَّعنةُ والطَّرْدُ مِنْ رَحْمةِ اللهِ .
قائمٌ	ما زالَ باقياً .
حصيدٌ	انتَهى وصارَ عِبْرَةً في التّاريخِ وليسَ لهُ أثَرٌ .
تَتْبيبٍ	خُسْرانٍ وهَلاكٍ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْضاً مِنْ قَصصِ الأنْبياءِ مَعَ أَقْوامِهِمْ ، ذَكَرَ لنا نَموذَجاً جديداً مِنْ أنماطِ

النّاسِ وسُلوكيّاتِهِمْ مَعَ أنْبيائِهِمْ ، ولكنَّهُ نَموذجٌ مَنْ عَطَّلَ عَقْلَهُ ومَشى مَعَ هوى غيرِهِ ، إنَّهم قومُ فرعونَ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ ﴾

ولقدْ أرْسَلْنا موسى عليهِ السّلامُ مؤيَّداً بِمُعجزاتِنا الدّالّةِ عَلى صِدْقِهِ ، وبالبُرْهانِ المُبينِ ذي السُّلْطانِ القاهِرِ عَلى النُّفوسِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى جِهَةَ إرْسالِ موسى عَلَيْهِ السَّلامُ ، فقالَ تعالى :

﴿ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾

أرْسَلْنا موسى عَلَيْهِ السّلامُ إلى فِرعونَ وكبارِ رِجالِهِ الَّذينَ اتَّبَعوا أمْرَهُ في كلِّ ما قرَّرهُ مِنْ كُفْرٍ ، وفي كلِّ ما أشارَ إلَيْهِمْ بِهِ مِنْ فسادٍ ، وما شأْنُ فرعونَ وأمْرُهُ بذَي رُشْدٍ وهُدىً ، بلْ هُوَ مَحْضُ الغَيِّ والضَّلالِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمَةِ تَجهيلٌ لَهُمْ ، حيثُ شايَعوهُ على أمْرِهِ ، وهو ضَلالٌ مُبينٌ ، لا يَخْفى على مَنْ فيهِ أدْنى مِسْكَةٍ مِنَ العَقْلِ ، وذلكَ أنَّهُ ادَّعى الأُلوهِيّةَ وهو بَشَرٌ مِثْلُهُمْ ، وجاهَرَ بالظُّلْمِ والشَّرِّ ، الّذي لا يأتي إلاّ مِنْ شيطانٍ ماردٍ ، فاتّبعوهُ ، وسَلَّموا لهُ دَعْواهُ ، وتَتابَعوا على طاعَتِهِ ، وكانَ الواجبُ عَلَيْهِم أنْ يَنبُذوهُ ويُهْملوهُ ، بَدَلَ أنْ يُطيعوهُ ويتَّبعوهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى بَعْدَ ذلِكَ سوءَ مَصير فِرْعَوْنَ ومَصيرَ أتْباعِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾

يَتقدّمُ فرعونُ قومَهُ يومَ القيامةِ إلى جهنَّمَ ، فيقودُهُمْ إليْها ، كما كانَ يَتقدَّمُهُمْ ويَقودُهُمْ في الدُّنْيا بالكُفْرِ والطُّغيانِ ، وهُمْ جَميعاً سَيَصْلَوْنَ جهنَّمَ ، ويَتجرَّعونَ غُصَصَ عَذابِها وأهْوالِهِ ، وما أقْبَحَ هذا المَدْخَلَ الّذي يَدْخلونَهُ وهذا المَوْرِدَ الّذي يَشْربونَ منهُ ماءَ حَميماً ليُطْفِىءَ ظَمأَهُمْ فيُقَطِّعَ أمْعاءَهُمْ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّهم مَلعونونَ في الدّاريْنِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾

وهُمْ في هذهِ الدُّنْيا قَدْ لَحِقَتْ بهمُ اللّعنةُ والفَضيحةُ ، وكذلكَ تَتبعُهُمْ يومَ القيامةِ لأنَّها عطاؤُهُمْ ، وإنَّهُ لَعطاءٌ قبيحٌ يُثيرُ الشُّعورَ بالذَّنْبِ ، ويُقالَ فيهِ : بِئْسَ العَطاءُ المُعْطَى لِهؤلاءِ الأشْرارِ .

ثُمَّ يَجيءُ بَعْدَ هذهِ النّهايةِ هذا التَّعقيبُ ، وهوُ الأوّلُ على هذهِ القَصصِ كلِّها ، فقالَ تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾

ذلكَ الّذي قَصَصناهُ عليكَ أَيُّها الرَّسولُ ﷺ في هذهِ السّورةِ الكَريمةِ هو جزءٌ مِنْ أنباءِ القُرْى

المُهْلَكةِ ، ونحنُ نَقصُّهُ عليكَ في هذا القُرآنِ عنْ طريقِ وَحْينا الصّادِقِ لِيَعْتَبرَ بهِ النّاسُ ، ويَعلَموا أنَّ هذا القُرآنَ المُشتَمِلَ عَلى هذا القَصصِ الّذي لا عِلْمَ لَهُمْ بهِ ، إنّما هُوَ مِنْ عندِ اللهِ تعالى ، وهذهِ القُرى المَقْصوصُ عليكَ خَبَرُها أيُّها الرّسولُ ﷺ ، منها ما آثارُها ما زالتْ قائمةً يَراها النّاظرُ إليْها ؛ منها آثارُ قومِ ثمودَ والفَراعنةِ وغيرِهِمْ ، ومنها ما آثارُها عَفَتْ وانْدَرَسَتْ وزالتْ ، وصارتْ كالزَّرْعِ المَحصودِ الّذي اسْتؤْصِلَ بِقَطْعِهِ ، فلم تَبْقَ منهُ باقيةٌ كديارِ قومِ نوحٍ عَلَيْهِ السّلامُ وقومِ هودٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنّهُ ما أهْلَكَ هذهِ القُرى ولا أخذَها بِظُلْمٍ منهُ ، ولكنْ بِظُلمٍ مِنَ النّاسِ أنْفُسِهِمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ .

وما ظَلمناهُمْ بإهلاكِهِمْ ، ولكنْ ظَلَموا أنْفُسَهُمْ بالكُفْرِ وعبادةِ غَيْرِ اللهِ تَعالى والفَسادِ في الأرْضِ ، فما اسْتَطاعتْ أنْ تَرُدَّ عنهُمُ الهَلاكَ آلِهتُهُمُ الّتي كانوا يَعبدونَها مِنْ دونِ اللهِ تعالى ، ولا نَفعَتْهُمْ بشيءٍ لَمّا جاءَ أمْرُ ربِّكَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ ، وما زادَهُمْ إصْرارُهُمْ عَلى عبادةِ الأوثانِ إلاّ الهَلاكَ والضَّياعَ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ كلُّ رسولٍ أُرْسِلَ مَعَهُ مِنَ الآياتِ ما مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ .

٢ـ إنّ مِنْ جَهْلِ النّاسِ أنْ يَتّبعوا سادَتَهُمُ الظّالمينَ دونَ تدبُّرٍ أو تَفكيرٍ .

٣ـ ضرورةُ أخْذِ العِبرةِ مِنْ أحوالِ الأُممِ الماضِيَةِ ، فإنَّ مَنْ يَظلِمُ تَعودُ عاقبةُ ظُلْمِهِ عَلى نَفْسِهِ .

التَّقويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

سلطانٍ مُبينٍ ، يَقْدُمُ قَوْمَهُ ، أوْرَدَهُمُ النّارَ ، بِئسَ الوِرْدُ المَوْرودُ ، بِئسَ الرِّفْدُ المَرْفودُ ، قائِمٌ ، حَصيدٌ ، تَتْبيبٍ .

٢ـ ماذا كانَ مِنْ أمْرِ مَلأ فِرْعَونَ عِنْدَما جاءَهُم موسى عَلَيْهِ السّلامُ ؟
٣ـ بيّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ عاقِبَةَ الظُّلْمِ عَلى أهْلِه ، وضِّحْ ذلِكَ .
٤ـ ما قيمةُ الآلِهةِ المَزْعومةِ وأثَرُها عِنْدما يَجيءُ أمْرُ اللهِ تَعالى ؟

نَشاطٌ :

١ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيتيْنِ اللّتيْنِ أيَّدَ اللهُ بهما موسى عَلَيْهِ السّلامُ .
٢ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ العَذابَ الّذي أهْلَكَ اللهُ تَعالى بِهِ فِرْعونَ وقومَهُ في الدُّنْيا .

* * *

الدَّرْسُ الثّاني والأرْبَعونَ

سورَةُ هودٍ - القِسْمُ العِشْرونَ

وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ
خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ
مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى
ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أخْذُ ربِّكَ عِقابُهُ السَّريعُ الّذي لا يُرَدُّ .

زفيرٌ إخْراجُ النَّفَسِ مِنَ الصَّدْرِ مَعَ المَشقَّةِ النّاشِئَةِ مِنَ العَذابِ .

شَهيقٌ إدْخالُ النَّفَسِ إلى الصّدْرِ مَعَ المَشقَّةِ النّاشِئَةِ مِنَ العَذابِ .

سُعِدوا حلَّتْ عَلَيْهِمُ السَّعادةُ .

غيرَ مَجذوذٍ غيرَ مَقطوعٍ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ بَيَّنَ اللهُ تَعالى لَنا ما جَرى لِفرعونَ وَملَئِهِ ، وأنَّهُ سُبْحانَهُ جَعَلَهُ هو ومَنْ هَلَكَ مِنَ الأُمَمِ عبْرَةً يَعْتَبِرْ بها أصحابُ العُقولِ ، بَيَّنَ اللهُ تَعالى سُنَّتَهُ في أخْذِ الظّالِمينَ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾

ومِثْلُ هذا الأخْذِ الشّديدِ ، الّذي أخَذَ ربُّكَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغَيْرَهُمْ ، يأخذُ اللهُ إذا شاءَ أَهْلَ القُرى الَّذينَ ظَلَموا بالكُفْرِ والفَسادِ ، إنَّ أخْذَ اللهِ تَعالى وعقابَهُ قويٌّ وشديدٌ وُمؤْلِمٌ عَلى الظّالِمينَ .

روى البُخاريُّ أنَّ رسولَ ﷺ قالَ : « إنّ اللهَ لَيُمْلي للظّالِمِ حتّى إذا أخَذَه لَمْ يُفْلِتْهُ » .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنّ ما ساقَهُ في هذا القرآنِ الكَريمِ عنْ أحوالِ السّابقينَ المُهْلَكينَ ، فيهِ العِبْرَةُ لِمَنِ اعْتَبَرَ ، وفيهِ العِظَةُ لِمنْ خافَ عذابَ الآخِرَةِ ، ذلكَ اليومِ الّذي يَنقسِمُ الناسُ فيهِ إلى شَقيٍّ وسَعيدٍ ، فَقال سُبْحانَهُ :

﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

إنّ في ذلِكَ القَصصِ الّذي قَصصناهُ عليكَ يا مُحمّدُ ﷺ والمُشْتملِ عَلى بيانِ سُنّةِ اللهِ تَعالى الّتي لا تَتخلَّفُ في إهْلاكِ الظّالِمينَ ، لَعبرةً وعِظَةً بليغةً وحُجَّةً واضحةً ، لِمَنْ خافَ عذابَ الآخِرَةِ . وهذا العذابُ يكونُ في يومٍ تَجتمِعُ فيهِ الخَلائِقُ بينَ يدي اللهِ تَعالى ، وهو يومٌ يَشْهَدُهُ المَلائِكَةُ والنّاسُ أجْمَعونَ ، وهو لا شكَّ أشدُّ عذاباً وأكثرُ خِزْياً لِمَنْ كَفَرَ باللهِ ولم يَتّبِعْ رُسُلَهُ ، والعاقِلُ هوَ المُنتفِعُ بالعِبَرِ والعِظاتِ ، لِصِدْقِ إيمانِهِ وصفاءِ نَفْسِهِ ، وإيقانِهِ بأنَّ هناكَ في الآخِرَةِ ثواباً وعِقاباً ، وحِساباً عَلى الأعمالِ الدُّنيويَّةِ ، أمّا الّذي يُنْكِرُ الآخِرَةَ وما فيها مِنْ ثوابٍ وعِقابٍ ، فإنّهُ لا يَعتبرُ بما أصابَ الظّالِمينَ مِنْ عذابٍ دُنيويٍّ دَمَّرَهُمْ تدميراً ، بل يَنْسِبُ ذلكَ إلى أسبابٍ طبيعيّةٍ أو فَلَكيّةٍ ، لا علاقةَ لها بكُفْرِهِمْ وظُلْمِهِمْ وطُغيانِهِمْ ، ولأنَّ الخائِفَ مِنْ عذابِ الآخِرَةِ عندما يَرى ما حلَّ بالمُجْرمينَ في الدُّنْيا مِنْ عِقابٍ يَزدادُ إيماناً مَعَ إيمانِهِ وتَصديقاً عَلى تَصْديقِهِ ، بأنَّ اللهَ تَعالى قادِرٌ عَلى أنْ يُعذِّبَهُمْ في الآخِرَةِ عذاباً أشدَّ وأبْقى مِنْ عذابِ الدُّنْيا .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ عذابَ الآخِرَةِ آتٍ لا رَيْبَ فيهِ ، ذلِكَ اليَومَ ؛ يَوْمَ يُجْمَعُ النّاسُ لأجْلِ مُحاسَبَتِهِمْ ، ومُجازاتِهِمْ عَلى أعمالِهِمْ ، ويَشْهَدُهُ جميعُ الخَلائِقِ الّذينَ يُؤْمَرونَ بِشُهودِهِ دونَ أنْ يَغيبَ منهمْ أحَدٌ .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ تَأْخيرَ هذا اليومِ إنّما هُوَ لأمَدٍ مَحدودٍ لا يَتجاوَزُهُ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ ﴾

إنّنا لا نُؤَخِّرُ هذا اليومَ إلاّ لوقتٍ مَحدودٍ مَعلومٍ لنا ، فإذا ما جاءَ مَوْعِدُ هذا الوَقتِ حَلّ هذا اليومُ الهائِلُ الشَّديدُ ، وهو يومُ القيامةِ ، الّذي اقْتَضَتْ حِكْمَتُنا عَدَمَ إطلاعِ أحَدٍ عَلى مَوْعِدِه .

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ تَعالى جانِباً مِنْ أهوالِ يَوْمِ القِيامةِ ومِنْ أحوالِ النّاسِ فيه ، قالَ تَعالى :

﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾

حينَ يَأْتي هذا اليومُ وهو يومُ القيامةِ بما فيهِ مِنْ أهوالٍ ، لا يَستطيعُ أحَدٌ أنْ يَتكلَّمَ إلاّ بإذنِ اللهِ تَعالى ، فَمِنَ النّاسِ شَقيٌّ بما يُعاني مِنْ ألوانِ الشّدَّةِ وهو الكافِرُ ، ومِنهُمْ سعيدٌ بما يَنتظِرُهُ مِنْ نعيمِ الآخِرَةِ ، وهو المُؤْمِنُ .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

فأمّا الَّذينَ كانَ نَصيبُهُمُ الشقاءَ في الآخِرَةِ بسببِ كُفْرِهِمْ واقْتِرافِهِمُ المَعاصي في الدُّنْيا ، فَمَصيرُهُمُ الاستقرارُ في النّارِ ، لهمْ فيها شَهيقُ الأنْفاسِ وَحَرَجُ الصُّدورِ وشِدَّةُ الكُروبِ ، ما يَجعلُهُمْ يُفضِّلونَ المَوْتَ عَلى ما هُمْ فيهِ ولكنْ لا موتَ ، إنّهُ العذابُ خالدينَ فيهِ ، قالَ تَعالى :

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾

هؤلاءِ الأشقياءُ سَيبقَوْنَ خالدينَ في النّارِ ، ما دامتِ السّمواتُ والأرْضُ ، لا يَخْرُجونَ مِنْها إلاّ في الوَقْتِ الّذي يشاءُ اللهُ تَعالى إخراجَهُمْ فيهِ ، لِيُعذِّبَهُمْ بنوعٍ آخَرَ مِنَ العَذابِ ، وإنَّ ربَّكَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ فعّالٌ لِما يريدُ فِعْلَهُ لا يَمنعُهُ أحدٌ عنهُ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى حُسْنَ عاقبةِ السُّعداءِ ، قالَ سُبْحانَهُ :

﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ .

وأمّا الَّذينَ رَزَقَهُمُ اللهُ تَعالى السَّعادةَ فآمَنوا باللهِ واتَّبَعوا رُسُلَهُ فَسوفَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ ، خالِدينَ فيها مِنْ أوّلِ لَحظةٍ ، بَعْدَ انتهاءِ مَوْقِفِ الحِساب إلى ما لا نِهايةَ ، إلاّ الفَريقُ الّذي يَشاءُ اللهُ تَعالى تأخيرَهُ عَنْ دُخولِ الجنّةِ مَعَ السّابقينَ ، وهُمْ عُصاةُ المُؤْمِنينَ الَّذينَ يَتأخَّرونَ في النّارِ بمقدارِ تَوقيعِ الجَزاءِ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ يَخْرجونَ مِنها إلى الجَنّةِ ، ويُعطي ربُّكَ هؤلاءِ السُّعداءَ في الجَنّةِ عطاءً عظيماً مُسْتَديماً غيرَ مَنقوصٍ ولا مَقطوعٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لَنْ يَفلِتَ الظّالِمُ مِنْ عقابِ اللهِ تَعالى ، فما وَقَعَ عَلى القُرى الظّالِمَةِ مِنْ عذابٍ شَديدٍ كانَ بِسَببِ ظُلْمِهِمْ وكُفْرِهِمْ .

٢ـ المُؤْمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ هُمُ الَّذينَ يَعتبرونَ ويَتَّعِظونَ بِمَنْ كانَ قَبْلَهُمْ .

٣ـ يومُ القيامةِ آتٍ لا مَحالةَ مَهما طالَ الزَّمنُ .

٤ـ الشَّقيُّ مَنْ شَقِيَ في آخِرَتِهِ ، والسَّعيدُ مَنْ سَعِدَ فيها .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

أخْذُ ربِّكَ ، زفيرٌ ، شَهيقٌ ، سُعِدوا ، غَيرَ مَجْذوذٍ .

٢ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ المُنْتَفِعينَ بالعِبَرِ والآياتِ هُمْ فريقٌ مِنَ النّاسِ ، بيّنْ هذا الفَريقَ .

٣ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ سُنّةً مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى . وضِّحْ هذهِ السُّنَّةَ .

٤ـ بيَّنَتِ الآياتُ الكَريمةُ أقْسامَ النّاسِ يومَ القيامةِ . وضِّحْ ذلكَ مُبيِّناً ما أُعِدَّ لِكُلِّ قِسْمٍ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ مِنْ سورةِ البَيِّنةِ الّتي تُؤكِّدُ المَعْنى الوارِدَ في الآيةِ (١٠٧) مِنْ هذهِ السّورةِ .

* * *

الدَّرْسُ الثَّالِثُ والأَرْبَعونَ

سورَةُ هودٍ ـ القِسْمُ الحادي والعِشْرونَ

فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ
نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْۚ إِنَّهُۥ بِمَا
يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾
وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا
تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ
ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

مِرْيَةٍ : شَكٍّ .

ولا تَرْكَنوا إلى الّذينَ ظَلَموا : لا تَميلوا إليْهِمْ وتَعتمِدوا عَلَيْهِمْ .

زُلَفاً مِنَ اللَّيلِ : طائِفَةً مِنْ أوَّلِهِ .

التَّفْسيرُ :

بَعْدَ أنْ فَصّلتِ الآياتُ السّابقةُ أحْوالَ السُّعداءِ وأحْوالَ الأشْقياءِ تَفصيلاً يَدْعو العُقَلاءَ إلى أنْ يَسْلُكوا طريقَ السُّعداءِ ، وأنْ يَتجَنَّبوا طريقَ الأشْقياءِ ، بَعْدَ ذلِكَ ساقتِ الآياتُ الكَريمَةُ ما فيهِ تَسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ أذى قَوْمِهِ ، وما فيهِ تَثبيتٌ لِقلوبِ المُؤْمنينَ ، وما فيهِ إرْشادٌ لهمْ إلى ما يُقرِّبُهُمْ مِنَ الخيْرِ ويُبعدُهُمْ عنِ الشَّرِّ ، قالَ تَعالى :

﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ (١٠٩) ﴾ .

لقدْ قَصصنا عَلَيْكَ أيُّها الرَّسولُ الكَريمُ ﷺ الكثيرَ مِنْ أخبارِ السّابقينَ ، وبيَّنّا لكَ مَصيرَ السُّعداءِ والأشْقياءِ ، وما دامَ الأمْرُ كذلك ، فلا تَكُ في شَكٍّ واضْطِرابٍ مِنْ أنَّ عبادةَ هؤلاءِ المُشركينَ لأصْنامِهِمْ إنّما هِيَ تَقليدٌ لِما كانَ يَعبدُهُ آباؤُهُمْ مِنْ قبلُ ، وهذهِ العِبادةُ لِغيرِ اللهِ تَعالى سَتؤدّي بالجَميعِ إلى سوءِ العَاقِبَةِ ، وإلى العذابِ الأليمِ ، وليسَ ذلِكَ العذابُ بناقصٍ شيئاً فكلٌّ سيأخذُ حقَّهُ مِنَ العَذابِ كامِلاً ، فاللهُ تعالى سَيوفّيهِمْ نَصيبَهُمْ دونَ نَقْصٍ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ اخْتِلافَ النّاسِ في الحَقِّ مَوجودٌ قبلَ بعثةِ النَّبيِّ ﷺ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١١٠) ﴾ .

ونُؤكِّدُ لكَ أيُّها الرَّسولُ أنَّا أعْطَيْنا موسى عليهِ السّلامُ التَّوراةَ ، فاخْتَلَفَ قومُهُ في تَفْسيرِها ومَعناها ، حَسَبَ أهوائِهِمْ وشَهَواتِهِم ، كلٌّ يُريدُ إخْضاعَها لِشَهواتِهِ ، فَتفرَّقوا شيَعاً وأحْزاباً ، وابْتَعَدَ كثيرٌ مِنْهُمْ عنِ الحَقِّ الّذي جاءَهُم بهِ رسولُهُمْ ، ولولا وعْدُ اللهِ تَعالى سابقٌ بتأخيرِ عَذابِهِمْ إلى يوم القيامةِ ، لحلَّ بِهِمْ في دُنياهُمْ قضاءُ اللهِ تَعالى وحُكْمُهُ بإهْلاكِ المُبْطِلينَ ونَجاةِ المُحقِّينَ ، كما حلَّ بغيرِهِمْ مِنَ الأُمَمِ الَّذينَ اخْتَلفوا في كُتبِهِمْ مِمّا حَمَلَهُمْ عَلى تَحريفِها وتَبْديلِها ، فأصْبَحوا بَعْدَ ذلكَ في شَكٍّ وحَيْرةٍ واضْطِرابٍ وبُعْدٍ عَنِ الحَقِّ ، وكذلكَ مِنْ كُفّارِ قَوْمِكَ لا يَدْرونَ أحقٌّ هذا القرآنُ أم باطِلٌ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى مَصيرَ هؤلاءِ الشّاكّينَ المُكَذِّبينَ ، قال تَعالى :

﴿ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ ۚ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١١) ﴾

إنَّ كُلَّ فريقٍ مِنْ هَؤلاءِ سَيُوفّيهِمْ ربُّكَ تَعالى حتْماً جزاءَ أعمالِهِمْ ، إنَّهُ سُبْحانَهُ خَبيرٌ بِهِمْ مُحيطٌ بدقائِقِ ما يَعملونَ مِنْ خيْرٍ أو شَرٍّ ، ويُجازي كلاًّ مِنْهُم حَسَبَ عَمَلِهِ .

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالى رَسولَهُ ﷺ وأتْباعَهُ بالتِزامِ الصِّراطِ المُستقيمِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) ﴾

وإذا كانَ هذا هُوَ حالُ الأُمَمِ الّتي جاءَها كتابٌ مِنَ اللهِ تَعالى فاخْتلفَتْ فيهِ ، وخَرَجتْ عَلَيْهِ ، فداوِمْ أنتَ ومَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمنينَ على التزامِ الطّريقِ المُستقيمِ ، كما أَمَرَكَ اللهُ تَعالى ، ولا تَجاوَزوا حُدودَ الاعْتِدالِ بتقصيرٍ أوْ إهْمالٍ أوْ مُغالاةٍ في تكليفِ أنْفُسِكُمْ ما لا تُطيقونَ ، إنّهُ

سُبْحانَهُ مُحيطٌ عِلْمُهُ بكلِّ ما تَعملونَ ، ومُطَّلِعٌ عَلَيْكُمْ ثُمَّ يُجازيكُمْ بما تَستحقّونَ .

ثُمَّ نَهى اللهُ سُبْحانَهُ وتَعالى بَعْدَ ذلِكَ عَنِ المَيْلِ إلى الظّالِمينَ ، قالَ تَعالى :

﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ .

ولا تَميلوا أدْنى مَيْلٍ إلى أعداءِ اللهِ تَعالى وأعدائِكُمُ الَّذينَ ظَلَموا أَنْفُسَهُمْ وتَجاوزوا حُدودَ اللهِ تَعالى ، واعْتَدَوْا عَلى الآخَرينَ مِنْ عِبادِهِ سُبْحانَهُ ، ولا تُعوِّلوا عَلَيْهِم أو تَستحسنوا طَريقَهُمْ ، فَتَستحقّوا بِسَببِ هذا المَيْلِ عذابَ النّارِ ، ثُمَّ لا تَجدوا أحداً يَدْفَعُهُ عنْكُمْ ، ثُمَّ تكونُ عاقِبَتُكُم أنَّكُمْ لا تُنْصَرونَ عَلى أَعْدائِكُمْ بِخُذْلانِ اللهِ تَعالى لكُمْ ، ولِرُكونِكُمْ إلى عَدوِّهِ .

﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

وأدِّ الصَّلاةَ أيُّها النَّبيُّ ﷺ على أكْمَلِ وَجْهٍ في طَرفي النَّهارِ ، وفي أوقاتٍ مُتفرِّقَةٍ مِنَ الليلِ ، فإنَّها تُطهِّرُ النّفوسَ ، فَتَتغلَّبُ عَلى نَزْعَةِ الشّرِ ، وتَمحو آثارَ السَّيِّئاتِ الّتي قَلَّما يَخْلو مِنْها بَشَرٌ ، ذلِكَ الّذي أُمِرْتَ بِهِ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ مِنَ الإرْشادِ إلى الخَيْرِ عِظَةٌ يَنتَفِعُ بِها المُستعدّونَ لِقَبولِها ، الَّذينَ يَذكُرونَ ربَّهم تَعالى ولا يَنْسَوْنَهُ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذهِ التّوجيهاتِ الحَكيمةَ بقولِهِ سُبْحانَهُ :

﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

واصْبِرْ أيُّها النَّبيُّ ﷺ أنتَ ومَنْ مَعَكَ مِنَ المُؤْمنينَ على مشاقِّ التّكاليفِ الّتي كَلَّفكُمُ اللهُ تَعالى بِها ، فإنَّهُ سُبْحانَهُ لا يُضيعُ أجْرَ مَنْ أحْسَنَ عَمَلاً ، بلْ إنّهُ سُبْحانَهُ مُوَفّي الصّابِرينَ أجْرَهُمْ بِغيرِ حسابٍ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ الصِّراعُ بينَ الحَقِّ والباطِلِ مُسْتَمِرٌّ ما دامَ عَلى وجْهِ الأرْضِ إنْسانٌ .

٢ـ مِنْ قَضاءِ اللهِ تَعالى إمْهالُ الظّالِمينَ والكافِرينَ إلى يوم القِيامَةِ .

٣ـ كلُّ مَنْ عَمِلَ شيئاً اسْتَوْفى عليهِ ما يَسْتَحِقُّهُ ، ولا يَظْلُمُ ربُّكَ أحداً .

٤ـ عَلى المُسْلِمِ الاسْتِقامةُ عَلى أمْرِ اللهِ تَعالى ، وتَرْكُ الطُّغيانِ .

٥ـ الصَّلاةُ سَبَبٌ في تَهذيبِ النّفوسِ ، والصَّبْرُ طريقٌ إلى رِضوانِ اللهِ تَعالى .

التَّقْويمُ :

أَجبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ هاتِ مَعانِيَ المُفْرَداتِ والتّراكيبِ التّاليةِ :

مِرْيَةٍ ، ولا تَرْكَنو إلى الَّذينَ ظَلَموا ، زُلَفاً مِنَ اللَّيلِ .

٢ـ بَيَّنَت الآياتُ الكَريمَةُ أنَّ الكافِرَ لا يُنْقَصُ مِنْ عذابِهِ شيءٌ . وضِّحْ ذلِكَ .

٣ـ حَثَّتِ الآياتُ الكَريمَةُ عَلى الاسْتقامةِ ، هاتِ الآيَةَ الدّالَّةَ عَلى ذلِكَ .

٤ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ حُرْمَةَ الرُّكونِ إلى الَّذينَ ظَلَموا وبيَّنَتْ عاقِبَتَهُ ، وضِّحْ ذلِكَ .

٥ـ بَيَّنَتِ الآياتُ الكَريمَةُ أثَرَ الصّلاةِ في تَهذيبِ النّفوسِ ، وضِّحْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيَةَ مِنْ سورةِ البَقَرةِ الّتي تَدعو المُؤْمنينَ إلى الاسْتعانةِ بالصَّبْرِ والصّلاةِ .

* * *

الدَّرْسُ الرَّابِعُ والأرْبَعونَ

سورَةُ هودٍ - القِسْمُ الثّاني والعِشْرونَ

فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ
أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ
لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا
يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ
ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ
ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾
وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ
وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

مَعاني المُفْرَداتِ :

أُولوا بقيَّةٍ : أصحابُ مَناقِبَ حَميدةٍ ، وخِصالٍ كَريمةٍ .

أُتْرِفوا فيهِ : نَعِموا بهِ مِنَ المَلذّاتِ والشَّهَواتِ .

التَّفسيرُ :

بَعْدَ أنْ سلّى اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ عمّا أصابَهُ مِنْ قومِهِ ، وحثَّهُ وأتْباعَهُ على الاسْتِعانةِ بالصَّبْرِ والصَّلاةِ ، خَتَمَ اللهُ تَعالى هذهِ السّورَةَ الكَريمةَ بآياتٍ دالّةٍ على سُنَنِ اللهِ تعالى في خَلْقِهِ ، وعلى الحِكَمِ التّي مِنْ أجْلِها ساقَ اللهُ تَعالى تلكَ القَصصِ في كتابِهِ العزيزِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

كانَ يَجبُ أنْ يكونَ مِنْ تلكَ الأُممِ السّابقةِ ، الّذينَ أهْلَكناهُمْ بِذُنوبِهِمْ ، جماعةٌ منهمْ لهمُ كلمةٌ مَسْموعةٌ ، وفضلٌ مِنْ دينٍ وعَقْلٍ ، يَنْهَوْنَ غيرَهُمْ عنِ الفسادِ في الأرضِ ، فَيَحفظونَهُمْ مِنَ العذابِ الّذي حلَّ بِهِمْ ، لكنَّ الّذي حَدَثَ أنَّهُ كانَ فيهِمْ قليلٌ مِنَ المُؤْمنينَ لم يُسْمَعْ لَهُمْ رأيٌ ولا تَوجيهٌ ، فأَنْجاهُمُ اللهُ تَعالى مَعَ رُسُلِهِمْ في الوقتِ الّذي أصرَّ فيه الظّالمونَ المُعانِدونَ عَلى ما تَعوَّدوهُ مِنْ قبلُ مِنْ حياةِ التَّرَفِ والفَسادِ ، فحالَ ذلِكَ بَيْنَهُمْ وبيْنَ الانْتِفاعِ بدعوةِ الحَقِّ والخَيْرِ ، وكانوا في إيثارِهِمْ لِهذهِ الطّريقِ غارِقينَ في الذُّنوبِ والسَّيئاتِ ، فأهْلَكَهُمُ اللهُ تَعالى تَنفيذاً لِسُنَّتِهِ في خَلْقِهِ .

وفي هذهِ الآيةِ الكَريمةِ تَوبيخٌ لأهْلِ مَكَّةَ ، وكلِّ مَنْ تَقاعسَ عنِ الأمْرِ بالمَعروفِ والنَّهْيِ عنِ المُنْكَرِ ، لأنَّ اللهَ تَعالى بَيَّنَ أنَّ عذابَ الاسْتِئصالِ الّذي حَلَّ بالظّالِمينَ السّابِقينَ كانَ مِنْ أسبابِهِ عدمُ نَهْيِهِمْ عنِ الفَسادِ في الأرْضِ ، وقدْ وَرَدَ في الحديثِ الشّريفِ : « إنَّ النّاسَ إذا رأوْا المُنْكَرَ فلمْ يُغيِّروهُ ، أوْشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بعقابِهِ »[1] . ولِهذا أمرَ اللهُ تَعالى هذِهِ الأُمَّةَ المُحمَّديَّةَ المُبارَكَةَ أنْ يكونَ فيها مَنْ يأمرُ بالمَعروفِ ، ويَنهى عنِ المُنْكَرِ .

ثُمَّ بَيَّنَ اللهُ تَعالى أنَّ رَحمتَهُ بِعبادِهِ تَقْتَضي عدمَ ظُلْمِهِ لَهُمْ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ .

وما كانَ مِنْ سنَّةِ اللهِ تَعالى ، ولا مِنْ عَدْلِهِ في خَلْقِهِ ، أنْ يَظلِمَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ فَيُهْلِكَها وهي مُتمسِّكَةٌ بالحَقِّ ، مُلتَزِمَةٌ بفضائِلِهِ ، عاملةٌ عَلى ما يُصلِحُ أمْرَها وأمْرَ غَيرِها .

ثُمَّ أخبرَ سُبْحانَهُ وتَعالى أنَّ قُدرَتَهُ لا يُعْجِزُها شيءٌ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾

ولوْ شاءَ اللهُ تَعالى أيُّها النَّبيُّ ﷺ لَجَعَلَ النّاسَ عَلى دينٍ واحِدٍ ، مُطيعينَ للهِ بطبيعةِ خِلْقَتِهِمْ ، كالمَلائِكَةِ ، ولَكانَ العالَمُ غيرَ هذا العالَمِ ، ولكنَّهُ سُبْحانَهُ لم يَشأْ ذلِكَ ، بلْ تركَهُمْ مُختارينَ ، فلا يَزالونَ مُختلِفينَ في كلِّ شيءٍ ، حتّى في أُصولِ العَقائِدِ ، كالإيمانِ باللهِ تَعالى ، ومَلائِكَتِهِ ، ورُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السّلامُ ، واليومِ الآخِرِ ، ممّا لا يَجوزُ الخِلافُ فيهِ تَبَعاً لِمُيولِهِمْ وشَهَواتِهِمْ وتَفْكيرِهِمْ ، يَتعصَّبُ كلُّ فَريقٍ لِرَأيِهِ ، وما وُجِدَ عليهِ آباؤُهُ .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ١/ ٢ حديث رقم (١) .

ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحانَهُ أنَّ رحْمَتَهُ اقْتَضَتْ وُجودَ مَنِ اتَّفقوا عَلى الإيمانِ ، وسَلِموا مِنَ الخِلافِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

لكنَّ الَّذينَ رَحِمَهُمُ اللهُ تَعالى لِسلامةِ فِطَرِهِمْ ، فإنَّهُمُ اتّفقوا عَلى حُكْمِ اللهِ تَعالى فيهِمْ فآمَنوا بجميعِ رُسُلِهِ ، وكُتُبِهِ ، واليومِ الآخِرِ ، ولهذِهِ المَشيئةِ الّتي اقْتَضَتْها حِكْمَتُهُ تَعالى في نِظامِ هذا العالَمِ ، خَلَقَهُمُ اللهُ سُبْحانَهُ مُستَعدّينَ لهذا الثّوابِ والعقابِ ، وبهذا يَتحقَّقُ وعْدُ ربِّكَ تَعالى ، بأنّهُ لا بُدَّ مِنْ أنْ يملأَ جهنَّمَ مِنْ أتباعِ إبليسَ مِنَ الجنِّ والنّاسِ السّابقينَ مَعَ أقوامِهِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

وَنَقصُّ عليْكَ أَيُّها النَّبيُّ ﷺ مِنْ كلِّ نَوْعٍ مِنْ أخبارِ الرُّسُلِ عليهمُ السَّلامُ مَعَ أُممِهِمْ ، ما نقوّي بهِ فُؤادَكَ عَلى القيامِ بمشاقِّ الرِّسالةِ ، وقدْ جاءَكَ في هذهِ الأخْبارِ بيانُ الحَقِّ الّذي تَدعو إليهِ ، مِثْلَما دَعا السّابقونَ مِنَ الرُّسُلِ مِنْ تَوْحيدِ اللهِ تَعالى ، والبُعْدِ عمّا يُغضِبُهُ ، كما جاءَكَ فيها ما فيهِ عِظَةٌ وعِبْرَةٌ ينتفعُ بها المُؤْمنونَ ، فَيزْدادونَ إيماناً ، ويَنتفعُ بها المُؤْمِنونَ ، فَيُسارِعونَ إلى الخَيْرِ والصّلاحِ .

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ تَعالى نبيَّهُ ﷺ بالسَّيْرِ في طريقِ الحَقِّ دونَ مُبالاةٍ بتهديدِ أعدائِهِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾

وقلْ أَيُّها الرّسولُ ﷺ لِهؤلاءِ المُشْركينَ الّذينَ يَضَعونَ العَقَباتِ في طريقِ دَعْوَتِكَ ، ويُصِرّونَ عَلى الكُفْرِ والعِنادِ ، قلْ لَهُمْ : ابْذُلوا أقْصى ما في قُدْرَتِكُمْ من مُحارَبَةِ الإسْلامِ ، وإيذاءِ المُؤْمِنينَ ، فإنّنا ماضونَ في طَريقِنا ثابِتونَ عَلى عَمَلِنا الّذي هَدانا اللهُ تَعالى إليهِ مِنْ دونِ الْتِفاتٍ إلى كُفْرِكُمْ وأذاكُمْ .

ثُمَّ أَمَرَهُمُ اللهُ تَعالى عَلى لِسانِ نبيِّهِ ﷺ بالانْتِظارِ ، فقالَ تَعالى :

﴿ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

وانْتَظِروا ما تَترَقَّبونَهُ لَنا ، إنّا كَذلِكَ منتظِرونَ وعْدَ اللهِ تَعالى لَنا بِنَجاحِ الدَّعوةِ والانْتِصارِ عَلَيْكُمْ .

ثُمَّ خَتَمَ اللهُ تَعالى هذهِ السّورةَ الكَريمَةَ بالآيةِ الجامِعَةِ ، فقالَ سُبْحانَهُ :

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ .

ولله تَعالى وحْدَهُ عِلْمُ كلِّ غَيْبٍ في السّمواتِ والأرْضِ ، فَيَعْلَمُ ما سَيحِلُّ بكمْ ، وما يكونُ لَنا ، وإليهِ وحْدَهُ يَرْجِعُ تَصريفُ كلِّ أمْرٍ مِنَ الأُمورِ ، وإذا كانَ الأمْرُ كذلكَ فاعْبُدْ ربَّكَ وحْدَهُ ، وتوكَّلْ عليهِ ، ولا تَخْشَ أحداً سِواهُ ، وما ربُّكَ بغافِلٍ عمّا تَعملونهُ جَمعياً أيُّها المُؤْمِنونَ والكافِرونَ ، وسَيُجازي كلاً بما يَستَحِقُّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ .

دُروسٌ وعِبَرٌ :

تُرشِدُ الآياتُ الكَريمةُ إلى دُروسٍ وعِبَرٍ كثيرةٍ ، مِنْها :

١ـ لا تَستقيمُ الحياةُ إلاّ أنْ يُوجَدَ مِنْ أهلِ الأخْلاقِ والدّينِ مَنْ يَنهى عَنِ الفسادِ .

٢ـ في الأمْرِ بالمَعروفِ والنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ حياةٌ للأُمَّةِ وحِمايةٌ لها مِنَ الهَلاكِ .

٣ـ صَلاحُ النّاسِ الدّينيُّ والدُّنيويُّ مانِعٌ مِنْ أخْذِ اللهِ تَعالى لَهُمْ بالعذابِ .

٤ـ الاخْتِلافُ بَيْنَ النّاسِ مِنْ سُنَنِ اللهِ تَعالى .

٥ـ في قَصصِ الأنْبياءِ تَثبيتٌ لِفؤادِ النَّبيِّ ﷺ والمُؤْمِنينَ .

التَّقْويمُ :

أَجِبْ عَنِ الأسئلةِ التّاليةِ :

١ـ ما معنى : أُولو بَقيَّةٍ ؟

٢ـ هاتِ الدّليلَ مِنْ آياتِ الدرّس عَلى ما يلي :

أـ الَّذينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الفَسادِ في الدُّنْيا قِلَّةٌ .

ب ـ الصّالِحونَ المُصْلِحونَ آمِنونَ مِنْ إهْلاكِ اللهِ تعالى لَهُمْ .

ج ـ الاخْتِلافُ سُنَّةٌ إلهيَّةٌ في البَشَرِ .

د ـ قَصصُ الأنْبياءِ لِتَثْبتِ فُؤادِ النَّبيِّ ﷺ .

٣ـ بَيَّنتِ الآياتُ الكَريمةُ أنَّ عَدَمَ الأمْرِ بالمَعروفِ والنَّهْي عَنِ المُنْكَرِ مَدعاةٌ لِعذابِ اللهِ تَعالى ، وضِّحْ ذلكَ .

٤ـ في الآياتِ الكَريمةِ تَوبيخٌ لأهْلِ مَكَّةَ ولِكُلِّ المُفْسِدينَ ، وضِّحْ ذلِكَ .

نَشاطٌ :

ـ اكْتُبْ في دَفْتَرِكَ الآيةَ الّتي تُبيِّنُ خَيْرِيّةَ هذهِ الأُمّةِ الّتي تَنهى عَنِ الفَحشاءِ والمُنْكَرِ .

* * *

المراجعُ

١ـ القرآن الكريم .

٢ـ تفسير التحرير والتنوير ، لمحمد الطّاهر بن عاشور .

٣ـ تفسير القرآن كلمات وبيان ، لمحمد حسنين مخلوف .

٤ـ تفسيرُ المنار ، لمحمد رشيد رضا .

٥ـ التفسير الوسيط ، لمحمد سيد طنطاوي .

٦ـ التفسير الوسيط ، للجنة من علماء الأزهر .

٧ـ في ظلال القرآن ، لسيّد قطب .

٨ـ تفسير الطَّبريِّ .

٩ـ سنن أبي داود .

١٠ـ سنن ابن ماجة .

١١ـ سنن التِّرمذيّ .

١٢ـ صحيح البخاريِّ .

١٣ـ المعجم الصغير ، للطبرانيِّ .

* * *